عمادة الدراسات العليا
جامعة القدس

الكلام في السنة النبوية أصول وآداب

نور الدين "محمد رضوان" حسن كراكرة

رسالة ماجستير

القدس–فلسطين

1439هـ/2018م

الكلام في السنة النبوية أصول وآداب

إعداد:

نور الدين محمد رضوان حسن كراكرة

بكالوريوس دعوة وأصول الدين من جامعة القدس/فلسطين

المشرف: د. موسى إسماعيل محمد البسيط

قدِّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين/

كلية الدراسات العليا/ جامعة القدس- فلسطين.

1439هـ/2018م

جامعة القدس
عمادة الدراسات العليا
برنامج أصول الدين

إجازة الرسالة

الكلام في السنة النبوية أصول وآداب

اسم الطالب: نور الدين "محمد رضوان" حسن كراكرة.
الرقم الجامعي: 21412179.
المشرف: د. موسى البسيط.

نوقشت هذه الرسالة واجيزت بتاريخ: 2018/7/25 من أعضاء لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتوقيعاتهم أدناه:

1- رئيس لجنة المناقشة : د. موسى البسيط التوقيع:.....

2- ممتحناً داخلياً: د. حمزة ذيب التوقيع:.....

3- ممتحناً خارجياً: د. غسان هرماس التوقيع:.....

القدس– فلسطين

1439هـ/2018م

الإهداء

إلى أصحاب الفضل الكبير والدي ووالدتي – حفظهما الله تعالى–.

إلى التي شاركتني آمالي، وشاطرتني آلامي... زوجتي المخلصة.

إلى العلماء العاملين والدعاة المخلصين السائرين على نهج النبوة أدباً وخلقاً وسلوكاً.

إلى كل من علمني حرفاً، وأسدى إليَّ نُصْحاً، ورَبَا شوقاً أن يراني أبلغ هذه الدرجة.

إليهم جميعاً أُهدي هذا الجهد المتواضع وفاءً وعِرفاناً.

إقْرارٌ

أُقرُّ أنا مُعدُّ هذه الرِّسَالة أنَّها قُدِّمَت إلَى جَامعَة القُدْس؛ لنَيْلِ دَرجَة المَاجِسْتير، وأنَّها نتيجة أبْحَاثي الخاصَّة باسْتثناء ما تمَّت الإشارة له حيثما ورد، وأَن هذه الدِّراسة، أو أي جزء منها، لم يُقدَّم لنيل درجة عليا لأي جَامعة أو مَعْهد آخر.

التَّوْقيع:.....

الاسم: نور الدين "محمد رضوان" حسن كراكرة.

التَّاريخ:25/ 7 /2018م.

شكر وتقدير

الحمد لله حمداً يوافي نعمه، ويدفع نقمه، ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال تعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) [إبراهيم : 7].

فأول ما يلهج لساني بشكره إلهي وخالقي وسندي ومعيني، فيا ربِّ لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، لك الحمد كله، ولك الشكر كله، وإليك الأمر كله، علانيته وسرُّه.

كما ويطيب لي أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم التقدير والامتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور : (موسى إسماعيل محمد البسيط) على تفضله بقبول الإشراف على هذه الرسالة، ولِما بذله من جهد مُخلص، وأبداه من توجيهات وإرشادات سديدة وتعليقات نفيسة ومتابعة جادة، فجزاه الله خير الجزاء.

وكذا الشكر موصول إلى الأستاذين الفاضلين: الدكتور حمزة ذيب والدكتور غسان هرماس اللذيْن تكرما بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة وإبداء ملحوظاتهما الدقيقة؛ إسهاماً في تخليص هذه الرسالة وتهذيبها من الهفوات والهَنات فجزاهما الله بذلك جزاءً موفوراً.

كما وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان لشيخي وخالي وقرة عيني الدكتور خالد خليل علوان حفظه الله وسدد خطاه على كل خير، الذي لم يألُ جهداً في مساعدتي، وكان له أثر طيب في توجيهي إلى جادّة الطريق القويم، فأقول له جزاك الله عنّي كل خير.

كما أدين بخالص الشكر لجامعتي الزاهرة– جامعة القدس– ممثلة بكلية الدراسات العليا – قسم أصول الدين، وجميع الأساتذة الذين تشرفّت بالتتلمذ على أيديهم، فجزاهم الله كل خير.

وأختم بطاقات الشكر لكل من كان لي عوناً على إتمام هذا البحث وإخراجه إلى النور بهذه الصورة أو دعا لي دعوة صالحة في ظهر الغيب.

لهم مني عاطر الثناء وفائق الاحترام ووافر التقدير

الباحث

ملخص

تُعنى هذه الدراسة بتجلية أصول الكلام وآدابه في السنة النبوية؛ حيث يسعى الباحث من خلالها إلى تحقيق جملة من الأهداف؛ على رأسها التوصُّل إلى معرفة أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في التحدث وعرض الخطاب، وإبراز صفات كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان الأصول التي يقوم عليها الكلام، والضوابط التي ينضبط بها، وتجلية المحاذير والمناهي المتعلقة به.

وقد قام الباحث بتقسيم هذه الرسالة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة:

أما الفصل الأول: فيدور حول تعريف الكلام أصولاً وضوابطَ وآداباً؛ فهي القواعد التي من خلالها يُصَان اللسان عن الخطأ والخلل، وتحدث هذا الفصل عن أهمية الكلام وأثره في بناء العلاقات الاجتماعية والدعوة إلى الإسلام.

وأما الفصل الثاني: فقد تمحور حول دراسة صفات كلام النبي صلى الله عليه وسلم ومنها: الإيجاز والتقعيد والتقسيم والوضوح وجمال البدء وحسن الختم، وكذلك حول أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب، وكيف كان يراعي أحوال المخاطَبين، وانتقاء طيب الكلام وليّنه، والبعد عن فُحشه.

والفصل الثالث: تناول الباحث فيه مناسبة الكلام للمقام، ومراعاة السبب المناسب للكلام، واستغلال المواقف المناسبة في عرض الكلام، والتلميح في المقام الذي لا يصلح فيه التصريح، والتصريح في المقام الذي لا يصلح فيه التلميح.

وكان الكلام في الفصل الرابع عن المحاذير والمناه الشرعية في الكلام، ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن الألفاظ المنكرة، والكذب والغيبة والنميمة، وكلمات السخرية والاستهزاء، والسباب واللعن والتكفير، والنهيَ عن لغة الجسد التي ورد التحذير عن فعلها.

ثم كانت الخاتمة والتي ضمَّنَها الباحث خلاصة ما توصل إليه من نتائج، وأهم ما رآه من توصيات.

ثمَّ ذيّل الباحث هذه الدراسة بمجموعة من الفهارس الفنية مرتبة حسب منهجية البحث العلمي وأصوله.

The talk in Sunnah Nabawiya is origins and literatures

Prepared By: Noor Eldin Muhammad Radwan hassn karakrh

Dr. Mossa Ismail Mohammed Al- baseet

Abstract

The study aims to achieve the following objectives: First, to know the methods of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) to speak and present the speech, to highlight the qualities of the words of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) Based on the speech, and the controls that are controlled by, and the disclosure of caveats and related to it.

The researcher divided this thesis into an introduction, four chapters and a conclusion:

The first chapter revolves around the definition of speech, principles, rules and etiquette. They are the rules through which the tongue protects the mistakes and mistakes. This chapter speaks about the importance of speech and its impact on building social relations and advocacy for Islam.

The second chapter deals with the study of the characteristics of the words of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him), including: Briefness, conciliation, division, clarity, beauty and good sealing, as well as the manner in which the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) Forgery.

Chapter 3: The researcher dealt with the occasion of speech to the place, and take into account the reason for the appropriate speech, and exploitation of the appropriate positions in the presentation of speech, and hint at the place where the statement is not valid, and the statement in the place where the hint is not correct.

In the fourth chapter, there was a talk about the prohibitions and legal prohibitions in the speech, and the approach of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) in forbidding false words, lies, negations and slander, and words of ridicule and mockery, and cursing and cursing and forbidding the language of the body.

Then the conclusion was summarized by the researcher and the results of his findings, and the most important recommendations.

The researcher followed this study with a set of technical indexes arranged according to the methodology of scientific research and its principles in Al-Quds University - Abu Dis.

مقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة.

أما بعد:

فإنّ اللسان هو أداة التواصل بين بني البشر، وهي نعمة إذا أحسن الإنسان استغلالها في طيِّب القول وحَسَنَه، وقد تكون نقمة إذا وظفها في قبيح القول وسِيِّئَه، ويُلحظ أنّ النبي صلى الله عليه وسلم ركز أشدّ التركيز على اللسان، فاللسان قد يكون سبباً للنجاة والسعادة، وقد يكون سبباً في الهلاك والشقاء، فربَّ كلمة رَفَعَتْ صاحبها إلى أعلى عليِّين، وربَّ كلمة هَوَتْ بصاحبها إلى الجحيم.

وتناولت هذه الدراسة جملةً من الأصول والضوابط النبوية في الكلام، كأن يراعِ المتكلم المقام المناسب للكلام، وصفات كلامه، والطريقة المناسبة في عرض الكلام، ومراعاة حال المخاطَب، سواءٌ أكان طفلا، أو امرأة، أو رجلاً.

وعرضت هذه الرسالة جملة من الآداب النبوية، التي تزيد الكلام جمالاً ورونقاً، وتضفي عليه لمسة من الصلاح، وصيانةً من الخطأ كأدب المزاح، وأدب النقد والنصح، وأدب الحوار.

أهمية الموضوع:

يكتسب هذا الموضع أهمية كبيرة في نظر الباحث؛ ويمكن إجمال ذلك فيما يأتي:

1- التعرف على منهج النبي صلى الله عليه وسلم في كلامه مع الناس.

2- إنّ هذا الموضوع متعلق بصفة ملازمة من صفات النبي صلى الله عليه وسلم، وهي كلامه، فكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الكلام، وهديه أفضل الهدي، والكلام له أهمية كبيرة، فربَّ كلمة رفعت صاحبها إلى أعلى الدرجات، وربَّ كلمة هَوَتْ بصاحبها إلى أسفل الدركات.

3- إنّ هذه الدراسة تلقي الضوء على المنهج النبوي في الخطاب، والتأثير في الناس، وإحداث التغيير الإيجابي، في عقولهم وعواطفهم وفي واقع حياتهم.

4- إنّ هذه الدراسة فيها ارتقاء بالمسلم نحو الكمال الأدبي، والسمو الأخلاقي، وتساهم في تزكية الألسنة والقلوب.

5- هذه الدراسة تقدّم أساليب وطرائق تربوية وتقويمية وإصلاحية مستقاة من توجيهات وهدي صاحب أكبر مشروع تربوي في تاريخ البشرية، وهو سيّد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم.

أسباب اختيار الموضوع :

يمكن إجمال أهم الأسباب والدواعي لاختيار هذا الموضوع في الأمور الآتية:

1- حيوية الموضوع، واتصاله الوثيق بحياة البشر جميعاً، فالكلام هو وسيلة التواصل الأهم والأخطر بين الناس، وهي وسيلة الأنبياء والدعاة الأولى في هداية الخلق ومحاورتهم، وإقامة الحُجة عليهم، وقد قال الله تعالى : (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ) [إبراهيم :4].

2- إشارة شيخي وخالي الدكتور خالد علوان حفظه الله تعالى بالكتابة في هذا الموضوع، وما لقيته من تشجيع فضيلة أستاذي الدكتور موسى البسيط حفظه الله تعالى على الكتابة في هذا الموضوع.

3- خدمة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ورِفداً للمكتبة الإسلامية بشكل عام، والدراسات الحديثية الموضوعية بشكل خاص.

إشكالية الدراسة :

تبرز إشكالية هذه الدراسة من خلال محاولة الإجابة على جملة من التساؤلات، من أهمها :

1- ما أهمية الكلام في بناء العلاقات الاجتماعية والدعوة إلى الإسلام؟

2- ما الصفات العامة لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

3- ما هي أساليب الخطاب التي كان يستعملها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم؟

4- ما هي الأصول والضوابط التي تضمنتها السنة النبوية في الكلام؟

5- ما هي آداب الكلام التي تضمنتها السنة النبوية، وما أهمية الالتزام بتلك الآداب؟

6- هل هناك محاذير ومناهٍ شرعية في الكلام نبَّهت عليها السنة النبوية؟

أهداف الدراسة:

يسعى الباحث من خلال هذه الدراسة إلى محاولة تحقيق جملة من الأهداف على رأسها :

1- التوصل إلى معرفة أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في التحدث وعرض الخطاب.

2- إبراز صفات كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

3- إبراز منهج النبي صلى الله عليه وسلم في مراعاة أحوال المخاطبين.

4- استخلاص طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في عرض الخطاب.

5- بيان الأصول التي يقوم عليها الكلام، والضوابط التي ينضبط بها من خلال السنة النبوية.

6- بيان آداب الكلام والمحاذير والمناهي المتعلقة به، من خلال السنة النبوية.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على دراسة علمية شملت كل مفردات بحثه، ولكنه عثر على دراسات لها صلة ببحثه منها:

1- بحث بعنوان: "**أدب التخاطب في السنة النبوية أصول وضوابط**"، إعداد: د. علي عبد الله صيّاح (أستاذ الحديث وعلومه المشارك، قسم الثقافة الإسلامية)، كلية التربية – جامعة الملك سعود.

بين فيه الباحث جانباً من توجيهات السنة في أدب التخاطب، وجملة من الأصول والضوابط والوسائل التي تضمنتها السنة النبوية في موضوع التخاطب، ولكنه بحث صغير في حجمه، وجيز في مادته.

2- دراسة بعنوان: "**الخطاب النبوي للنساء في ضوء السنة النبوية دراسة موضوعية**"، للطالبة: دعاء يوسف جمعة سلامة، إشراف: إسماعيل سعيد رضوان، قدمت هذه الدراسة لنيل درجة الماجستير في قسم الحديث الشريف، كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية– غزة، عام: 1435هـ / 2014م.

أَبرزت فيه الباحثة هديَ النبي صلى الله عليه وسلم في خطابه للنساء، واهتمامه بتعليمهنّ وتوعيتهنّ بأمور دينهنّ، واشتمل البحث على مفهوم الخطاب النبوي للنساء ومقوماته ومقاصده، وبيان لأهم أساليب الخطاب النبوي للنساء وخصائصه، والأحاديث الواردة في الخطاب النبوي للنساء باختلاف موضوعاتها.

3- "**أدب التخاطب**"، للشيخ مصطفى الندوي (ت 1420هـ).

وهي رسالة موجزة في أدب التخاطب والحديث مع الناس، استلها الكاتب من كتابه "فقه الأخلاق والمعاملات مع المؤمنين"، وقام بتنقيحها والإضافة إليها، واستخلص مادته العلمية من القرآن الكريم، والسنة النبوية، ومن أقوال السلف.

4- دراسة بعنوان: "**الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**"، إعداد: الطالب يحيى بن محمد حسن بن أحمد زمزمي، إشراف: د. محمد ولد سيدي ولد حبيب، قدمت هذه الرسالة لنيل درجة الماجستير، قسم الدراسات العليا، كلية الدعوة وأصول الدين قسم الكتاب والسنة – جامعة أم القرى في مكة المكرمة، عام: 1414هـ.

بين فيه الباحث طريقة إدارة الحوار، والقواعد السلوكية والصفات الخلقية التي ينبغي مراعاتها قبل وأثناء وبعد الحوار، والآداب اللازمة للحوار التي أتت في الكتاب والسنة، وقام بتأصيل آداب الحوار تأصيلا علميا شرعيا، وقام بربطها بنصوص القرآن والسنة ربطا مباشرا.

إنَّ الناظر في هذه الدراسة يرى الفرق واضحاً بينها وبين تلك الدراسات المشار إليها، فتلك الدراسات هي ما بين بحث وجيز، وبحث في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم للنساء خاصة، وآخر في الحوار وآدابه في القرآن والسنة، فتمتاز هذه الدراسة بأنها أشمل وأوسع مما تقدم بيانه من تلك الدراسات ؛ بما تضمنته هذه الدراسة من مباحث ومطالب تخلو منها تلك الدراسات.

منهجية الدراسة وإجراءاتها:

للمنهج أهمية بالغة في السير الصحيح في خطى البحث العلمي، وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون قائما على المناهج الآتية:

1- المنهج الاستقرائي: والذي يقوم على استقراء الأحاديث النبوية الواردة في الكتب الستة الأصول والمتعلقة "بأصول الكلام وآدابه"، مع الإشارة إلى أنّ الباحث قد يخرج إلى خارج الكتب الستة إذا رأى حاجة لاستكمال جوانب في البحث مقتصرا على الأحاديث الصحاح والحسان غالباً.

2- المنهج الوصفي: والذي يقوم على وصف مفردات الموضوع، وجوانبه وما يتعلق به كما هو وارد في الأحاديث النبوية.

3- المنهج التحليلي: والذي من خلاله تتم دراسة الأحاديث الواردة في أدب الكلام وأصوله وضوابطه وآثاره، لمعرفة هذه الأمور بدقة وعمق.

وقد اتّبع الباحث جملة من الإجراءات لتحقيق أهداف الدراسة، والإجابة عن أسئلتها، فقام بالآتي:

1- جمع الأحاديث المتعلقة بالموضوع من الكتب الستة مكتفياً بالصحاح والحسان غالباً، مع ملاحظة أن المقصود من منهج الاستقراء في هذا البحث ليس الاستقراء التام، الذي يقوم على جمع كل الأحاديث الواردة في أدب معين أو أصل من الأصول الواردة في البحث، فقد يدل على هذا الأدب أو ذاك الأصل عدد من الأحاديث، لكن الباحث يكتفي بواحد منها أو أكثر حسب الحاجة. وإذا احتاج الباحث إلى أيراد حديث ضعيف فإنه يلتزم بيان ضعفه بشرط ألا يكون ضعفه شديداً.

2- قد يخرج الباحث إلى خارج الكتب الستة للحاجة كما أشار.

3- تخريج الأحاديث الواردة في البحث من مصادرها الأصلية.

4- إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما، فكفى بذلك صحة، وإذا كان في غيرهما فإنّ الباحث يأتي بحكم واحد من العلماء عليه أو أكثر، ولم أصرِّح بأسماء كتابيِّ الصحيحين إلا في أول موضع من توثقهما.

5- إذا لم يكن الحديث في الصحيحين أو أحدهما، فإذا وجدته في الكتب الأربعة أو أحدها فإنني أكتفي بذلك.

6- توثيق المادة العلمية من مصادرها الأصلية، كما هو متبع في كتابة الأبحاث العلمية.

7- بيان الألفاظ الغريبة الواردة في الأحاديث النبوية.

8- بيان مواضع الآيات القرآنية في القرآن الكريم، بذكر اسم السورة ورقم الآية.

9- القيام بوضع الفهارس الآتية:

أ. فهرس الآيات القرآنية

ب. فهرس الأحاديث النبوية

ج. فهرس المصادر والمراجع

د. فهرس الموضوعات

خطة الدراسة:

تتألف خطة هذه الدراسة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، وهي على النحو الآتي :

مقدمة : تضمنت الإشارة إلى أهمية الموضوع، وأسباب اختيار البحث، وإشكالية الدراسة، وأهدافها، والدراسات السابقة، ومنهجية الدراسة، وخطتها.

الفصل الأول : مفهوم الكلام وأهميته ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول :مفهوم الكلام والأصول والآداب ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : مفهوم الكلام

المطلب الثاني : مفهوم الأصول

المطلب الثالث: مفهوم الآداب

المبحث الثاني : أهمية الكلام وأثره في بناء العلاقات الاجتماعية، والدعوة إلى الإسلام، ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: البيان واختلاف اللغات نعمة دالة على الله

المطلب الثاني : مسؤولية الكلمة وخطورتها

المطلب الثالث : الكلمة الطيبة صدقة

المطلب الرابع : أهمية الكلام في الإصلاح بين الناس

المطلب الخامس : أهمية الكلام في الدعوة إلى الإسلام

الفصل الثاني:صفات كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأسلوبه في الخطاب، ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : صفات عامة في كلامه صلى الله عليه وسلم، وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : الإيجاز

المطلب الثاني : التقعيد

المطلب الثالث : التقسيم

المطلب الرابع : الوضوح

المطلب الخامس : جمال البَدء

المطلب السادس : حسن الختم

المبحث الثاني : أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : مراعاة أحوال المخاطبين

المطلب الثاني : انتقاء طيّب الكلام وليّنه

المطلب الثالث : الابتعاد عن الفُحش والفظاظة في الكلام

المطلب الرابع : طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في عرض الخطاب

الفصل الثالث : مناسبة الكلام للمقام ، ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : السبب المناسب للكلام، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: وجود سبب مناسب للكلام

المطلب الثاني: إيجاد سبب مناسب للكلام

المبحث الثاني: لكل مقام مقال، وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: التلميح في المقام الذي لا يحسن فيه التصريح

المطلب الثاني: التصريح في المقام الذي لا يصلح فيه التلميح

المطلب الثالث: الكلام مع الأهل بهدف الترويح والتسلية

المطلب الرابع : الكلام مع الصاحب في السفر بهدف الترويح والتسلية

المطلب الخامس : غناء العرس

المطلب السادس : هجاء المشركين

المطلب السابع : أدب المزاح

المطلب الثامن : أدب النقد والنصح

المطلب التاسع : أدب الحوار

الفصل الرابع : محاذير ومناهٍ شرعية في الكلام، ويشتمل على خمسة مباحث :

المبحث الأول : الألفاظ المنكرة

المبحث الثاني : الكذب والغيبة والنميمة، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الكذب

المطلب الثاني : الغيبة

المطلب الثالث : النميمة

المبحث الثالث : كلمات السخرية والاستهزاء

المبحث الرابع : لغة الجسد المنهي عنها

المبحث الخامس : السباب واللعن والتكفير، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : السباب

المطلب الثاني : اللعن

المطلب الثالث : التكفير

الخاتمة : وقد تضمنت أهم نتائج البحث، وأبرز التوصيات.

وبعد:

فهذا جهد المقلِّ ولا أدعي لنفسي إصابة الغاية وبلوغ النهاية، فإنه عمل البشر وهو عُرضة لأن يعتريه النقص والخطأ والتقصير، ولا معصوم إلا من عصمه الله تعالى، وحالي هنا كحال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى عن كتابه "الإتقان" حيث قال : " إِنِّي لَا أَبِيعُهُ بِشَرْطِ الْبَرَاءَةِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، وَلَا أَدَّعِي أَنَّهُ جَمَعَ سَلَامَةً، كَيْفَ وَالْبَشَرُ مَحَلُّ النَّقْصِ بِلَا رَيْبٍ " ([1])، وحسبي بذلك أني بذلت ما بوسعي، فما كان في هذا البحث من صواب فمن توفيق الله تعالى لي، وما كان فيه من خطأ أو سهوٍ فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه، وأسأله تعالى الإخلاص في القول والعمل، وأن يكون عملي هذا حُجة لي يوم القيامة لا حجة عليَّ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

1 : السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، " الإتقان في علوم القرآن"، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974 م، (4 / 300).

الفصل الأول
مفهوم الكلام وأهميته

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: مفهوم الكلام والأصول والآداب

المبحث الثاني: أهمية الكلام وأثره في بنـــاء العلاقات الاجتماعية، والدعوة إلى الإسلام

المبحث الأول

مفهوم الكلام والأصول والآداب

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول

مفهوم الكلام لغة واصطلاحا

أولا : مفهوم الكلام لغة :

الكلام من (كَلَمَ)، ويدل على أمرين:

أحدهما : (النطقُ المُفْهِم) : قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: 54]، وقال تعالى : ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل : 82]، وفي الحديث : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ :عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ..." الحديث ([1]).

والكلمة تطلق على الآتي :

– اللفظة الواحدة المفهمة : مثل : فرس، جبل، طير.

– الجملة المفيدة : كقوله تعالى : ﴿كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون : 100]، يعني سبحانه : قول المحتَضَر: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ﴾ [المؤمنون : 99-100].

---

1 : متفق عليه : البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت 256 هـ)، " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، تح : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى : (واذكر في الكتاب مريم..)، (4 / 165 / رقم : 3436)، ومسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، تح : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب البر والصلة والآداب، باب تقديم بر الوالدين على الطوع بالصلاة وغيرها، (1976/4/ رقم : 2550).

– الكلام المتضمن جملا كثيرة مفيدة، فنقول : ألقى فلان كلمة أمام الجمهور.

– القصة.

– القصيدة بطولها : والعرب تقول: أنشدني كلمته، أي: قصيدته ([1]).

الثاني : (الجَرْح) : كما في قوله تعالى : **(أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ)** [النمل :82] على قراءة ابن عباس وأبي زُرْعَةَ وأبي رَجَاء والحَسَن: (تَكْلَمُهُم) بفتح التاء وسكون الكاف من (الكَلْم)، وهو الجرح ([2]).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة : عن النبي صلى الله عليه وسلم : "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ.." ([3]).

والعلاقة بين المعنيين هو : التأثير، فالكلام بمعنى النطق المُفهم مؤثر في السامع، والكلام بمعنى الجرح مؤثر في المجروح، لكنَّ الأول مُدرَك بحاسة السمع، والثاني مُدرك بحاسة البصر، قال الراغب الأصفهاني : "الكلْمُ: التأثير المدرك بإحدى الحاسّتين، فَالْكَلَامُ: مدرك بحاسّة السّمع، والْكَلْمُ: بحاسّة البصر، وكَلَّمْتُهُ: جرحته جراحة بَانَ تأثيرُها، ولاجتماعهما في ذلك قال الشاعر: والْكَلِمُ الأصيل كأرعب الْكَلْمِ.

---

1 : انظر : الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت 170هـ)، "كتاب العين"، تح : د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (5 / 378).

والأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري، أبو منصور (ت 370هـ)، "تهذيب اللغة"، تح : محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م، (10 / 147-148).

وابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، "معجم مقاييس اللغة"، تح : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م، (5 / 131).

والرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت 666هـ)، "مختار الصحاح"، تح : يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط 5، 1420هـ / 1999م، (ص : 272).

والشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت 1250هـ)، "فتح القدير"، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط1، 1414 هـ، (1 / 387).

2 : الشوكاني، "فتح القدير"، (4 / 175).

3 : رواه الشيخان : البخاري ، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، (7 / 96 / رقم : 5533) . ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، (3 / 1495 / رقم : 1876) واللفظ لمسلم.

الْكَلمُ الأوّل جمع كَلِمَةٍ، والثاني جراحات، والأرعب: الأوسع.

وقال آخر: وجرح اللّسان كجرح اليد" ([1]).

ثانيا : مفهوم الكلام اصطلاحا :

يختلف مفهوم الكلام عند العلماء باختلاف تخصصاتهم:

الكلام: هو الأصوات المسموعة، والحروف المؤلفة. وهو ينقسم إلى مفيد وغير مفيد. وأهل العربية يخصون الكلام بما كان مفيدًا، وهو: الجملة المركبة من مبتدأ وخبر، أو فعل وفاعل، أو حرف نداء واسم.

وما عداه: إن كان لفظة واحدة: فهي كلمة وقول، وإن كثر فهو كَلِمٌ وقول، والعرف: ما قلناه مع أنه لا مُشاحة في الاصطلاح.

والكلام المفيد ينقسم ثلاثة أقسام: نص، وظاهر، ومجمل.

القسم الأول– النص: وهو: ما يفيد بنفسه من غير احتمال، كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة : 196] وقيل: هو الصريح في معناه...

القسم الثاني– الظاهر: وهو: ما يسبق إلى الفهم منه عند الإطلاق معنى، مع تجويز غيره.

وإن شئت قلت: ما احتمل معنيين هو في أحدهما أظهر...

---

1 : الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ)، " المفردات في غريب القرآن"، تح : صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط1، 1412 هـ، (ص : 722).

القسم الثالث– المجمل: وهو: ما لا يُفهم منه عند الإطلاق معنى. وقيل: ما احتمل أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر، وذلك مثل: الألفاظ المشتركة كلفظة "العين": المشتركة بين الذهب والعين الناظرة وغيرها. و"القرء" للحيض والطهر، و"الشفق" للبياض والحمرة... ([1]).

تضمن الكلام السابق أموراً عدة :

الأول : تعريف الكلام عُرفاً، والظاهر أنه يريد بالعرف هنا : ما هو متعارف عليه بين الناس جميعا، العلماء منهم والعوام، وهو أن الكلام: عبارة عن الأصوات المسموعة والحروف المؤلفة.

الثاني : أنّ الكلام عند علماء العربية يطلق على الجملة المركبة المفيدة، فإن كان لفظة واحدة يسمى كلمة، وإن كان أكثر من لفظة فهو كَلِمٌ وقول.

الثالث : أنّ الكلام عند علماء الأصول ينقسم إلى ثلاثة أقسام : النص، والظاهر، والمجمل.

والكلام في اصطلاح البلاغيين يقسم إلى قسمين : خبر، وإنشاء.

فالخبر : ما احتمل الصدق والكذب، والإنشاء : ما لا يحتمل صدقاً ولا كذباً.

– مثال الخبر : قولنا : حرقت مكتبة الإسكندرية قبل عهد عمر بن الخطاب.

– ومثال الإنشاء : قول الشاعر : قم للمعلم وفِّه التبجيلا ([2]).

---

1 : انظر : ابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، (ت: 620هـ)، "روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل"، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ – 2002م، (1 / 505–517)، وابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين (ت: 761هـ)، "شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب"، تح : عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا، (ص : 15– 16). وابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت : 769هـ)، "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك"، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، ط20، 1400 هـ – 1980 م، (1 / 13)،

2 : عباس، فضل حسن، "البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني "، دار الفرقان، عمان – الأردن، ط2، 1409هـ – 1989م، (ص : 99– 100).

وقال الجرجاني : " الكلام: علم يُبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته، وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام... – وقال أيضاً : علم باحث عن أمور يُعلم منها المعاد، وما يتعلق به من الجنة والنار، والصراط والميزان، والثواب والعقاب، وقيل: الكلام هو العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة عن الأدلة" ([1]).

تضمن كلام الجرجاني ثلاثة تعريفات :الأول : تعريف علم الكلام عند المشتغلين به، أما التعريف الثاني والثالث : فليس واحدٌ منهما خاصاً بعلماء الكلام، هذا ما يبدو لي والله تعالى أعلم .

وقد يطلق الكلام على المعنى القائم في النفس، قال الفيومي : " وَالْكَلَامُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِالنَّفْسِ لِأَنَّهُ يُقَالُ: فِي نَفْسِي كَلَامٌ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [المجادلة: 8]، كَقَوْلِهِ : إنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا... جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلَا" ([2]).

والمراد بالكلام في بحثنا هذا (الكلام في السنة النبوية أصول وآداب) : هو الألفاظ المنظومة نظما مؤثراً المتضمنة المعاني الحسنة، قال الراغب الأصفهاني : "فالكلام يقع على الألفاظ المنظومة وعلى المعاني التي تَحْتَهَا مجموعة" ([3]).

---

1 : الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ)، " التعريفات "، تح: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1، 1403هـ –1983م، (ص : 185).

2 : الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو 770هـ)، " المصباح المنير في غريب الشرح الكبير"، المكتبة العلمية – بيروت، (2 / 539).

3 : الراغب الأصفهاني، " المفردات في غريب القرآن" (ص : 722).

المطلب الثاني

مفهوم الأصول لغة واصطلاحا

أولاً : مفهوم الأصول لغة :

الأصول جمع أصل، ويطلق على الأمور الآتية :

1- الأساس الذي يُبنى عليه غيره.

2- أسفل الشيء.

4- العقل ([1]).

والمعنى الأول والثاني متقاربان، فالقاعدة التي بُني عليها البيت هي أصله وأساسه وهي أسفله، ويمكن القول أنّ العقل يقوم من حياة الإنسان مقام الأصل والأساس من البنيان.

قال الفيومي : " أَصْلُ الشَّيْءِ أَسْفَلُهُ، وَأَسَاسُ الْحَائِطِ أَصْلُهُ، وَاسْتَأْصَلَ الشَّيْءُ ثَبَتَ أَصْلُهُ وَقَوِيَ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى قِيلَ: أَصْلُ كُلِّ شَيْءٍ مَا يَسْتَنِدُ وُجُودُ ذَلِكَ الشَّيْءِ إلَيْهِ، فَالْأَبُ أَصْلٌ لِلْوَلَدِ، وَالنَّهْرُ أَصْلٌ لِلْجَدْوَلِ، وَالْجَمْعُ: أُصُولٌ، وَأَصُلَ النَّسَبُ – بِالضَّمِّ – أَصَالَةً شَرُفَ فَهُوَ أَصِيلٌ، مِثْلُ: كَرِيمٍ، وَأَصَّلْته تَأْصِيلًا جَعَلْت لَهُ أَصْلًا ثَابِتًا يُبْنَى عَلَيْهِ... وقال ابن الأعرابي : الأصل : العقل... واستأصلته : قلعته بأصوله " ([2]).

---

1 : انظر : الفيومي، " المصباح المنير في غريب الشرح الكبير"، (1 / 16).

والزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى(ت : 1205هـ)، " تاج العروس من جواهر القاموس"، تح : مجموعة من المحققين، دار الهداية، (27 / 447 – 449).

2 : الفيومي، " المصباح المنير في غريب الشرح الكبير"، (1 / 16). وانظر : الزبيدي، "تاج العروس"، (27 / 447).

ثانيا : مفهوم الأصول اصطلاحا :

عرَّف الجرجاني الأصول بقوله : "الأصول: جمع أصل، وهو في اللغة: عبارة عما يُفتقر إليه، ولا يَفتقر هو إلى غيره. وفي الشرع: عبارة عما يبنى عليه غيره، ولا يبنى هو على غيره، والأصل: ما يثبت حكمه بنفسه ويبنى عليه غيره " ([1]).

وأصول الفقه : "هو العلم بالقواعد التي يُتوصل بها إلى الفقه" ([2]).

وأصول الدين: هي أسسه وقواعده التي يقوم عليها، فأصوله العملية هي أركانه الخمس فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ " ([3])، وأصوله العلمية هي أركان الإيمان الستة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " ([4])، والأصول الثلاثة هي الإيمان بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : "ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا" ([5]).

والعلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لكلمة الأصول في غاية الوضوح، فالأصل في اللغة هو الأساس الذي يُبنى عليه غيره، وهو كالقاعدة التي تكون في الأسفل، والدين كالبناء كما شبهه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : "بني الإسلام على خمس"، والبناء له قواعد وأصول.

---

1 : الجرجاني، "التعريفات "، (ص : 28).

2 : المرجع السابق: (ص : 28). وانظر : الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت : 476هـ)، اللمع في أصول الفقه"، دار الكتب العلمية، ط1، 2003 م – 1424 هـ، (ص : 6). وابن قدامة، "روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه"، (1 / 54).

3 : متفق عليه، البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : "بني الإسلام على خمس"، (1 / 11 / رقم 8)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس، (1 / 45 / رقم : 16).

4 : مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ ، (1 / 36 / رقم : 8)، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

5 : مسلم، كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان، (1 / 62 / رقم : 34)، عن الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه .

المطلب الثالث

مفهوم الأدب لغة واصطلاحا

أولا : مفهوم الأدب لغة :

يطلق الأدب في اللغة على المعاني الآتية :

1- الدعوة والاجتماع : قال الأزهري : " وأصل الأدْب الدّعاء، وَقيل للصَّنيع يُدْعَى إِلَيْهِ النَّاس: مَدعاةٌ ومأْدَبة" (1).

وقال ابن فارس : " فَالْأَدْبُ أَنْ تَجْمَعَ النَّاسَ إِلَى طَعَامِكَ. وَهِيَ الْمَأْدَبَةُ وَالْمَأْدُبَةُ. وَالْآدِبُ الدَّاعِي"(2).

2- الظُرف والحُسن : ذكر الزبيدي أن الأدب : "مَلَكَةٌ تَعصِمُ من قامت به عمّا يَشِينُه " (3).

3- الترويض : " فيقال للبعير إذا ريضَ وذُلِّلَ : أديبٌ مُؤَدَّبٌ" (4).

4- العِلم : قال الفيومي : " أَدَّبْته أَدَبًا... عَلَّمْته رِيَاضَةَ النَّفْسِ وَمَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ" (5).

ويقال : أدَّبه بمعنى علَّمه، فتأدب واستأدب" (6).

5- العقوبة : قال الفيومي : " أَدَّبْته تَأْدِيبًا : إذَا عَاقَبْته عَلَى إسَاءَتِهِ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ يَدْعُو إلَى حَقِيقَةِ الْأَدَبِ" (7).

---

1 : الأزهري، "تهذيب اللغة"، (14 / 147).

2 : ابن فارس، "مقاييس اللغة"، (1 / 75).

3 : الزبيدي، "تاج العروس"، (2 / 12).

4 : الأزهري، "تهذيب اللغة "، (14 / 147).

5 : الفيومي، "المصباح المنير، (1 / 9).

6 : انظر : الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ)، "القاموس المحيط"، مكتب تحقيق التراث التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط2، 1426 هـ - 2005 م، (1 / 58).

7 : الفيومي، المصباح المنير، (1 / 9).

والعلاقة واضحة بين هذه المعاني، فحتى يصبح الأدب ملكة لابد من رياضة النفس، ورياضة النفس لابد أن تقوم على أساس من العلم، فإذا حصل الإنسان على هذه الملكة أكسبه ذلك ظُرفاً وحُسناً وتأثيراً وجذباً يجمع الناس عليه.

ثانياً : مفهوم الأدب اصطلاحاً :

تعددت تعريفات الأدب في الاصطلاح، وهي على النحو الآتي :

1- عرف ابن القيم الجوزية الأدب أنه : " اجتماع خصال الخير في العبد، ومنه المأدبة. وهي الطعام الذي يجتمع عليه الناس.

وعلم الأدب: هو علم إصلاح اللسان والخطاب، وإصابة مواقعه، وتحسين ألفاظه، وصيانته عن الخطأ والخلل. وهو شعبة من الأدب العام " ([1]).

2- وعرفه الجرجاني بقوله : "الأدب :عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ" ([2]).

3- وذكر المناوي : "أن الأدب : رياضةُ النفس ومحاسنُ الأخلاق، ويقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل" ([3]).

وأنسب هذه التعريفات لبحثنا هو تعريف ابن القيم أنّ الأدب: هو علم إصلاح اللسان والخطاب، وإصابة مواقعه، وتحسين ألفاظه، وصيانته عن الخطأ والخلل. وعلاقة هذا التعريف بالمعاني اللغوية لكلمة الأدب واضحة ؛ فإصلاح اللسان، وإصابة مواقع الكلام، وتحسين الألفاظ، وصيانة اللسان عن الخطأ والخلل لا يتم ذلك إلا إذا أصبح ملكة عند الإنسان، ولا يكون الشيء ملكة إلا بعد رياضة وتدريب للنفس، على أساس من العلم، ومن ترك الأدب استحق العقوبة.

---

1 : ابن قيم الجوزية، "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، تح : محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط1، 1416 هـ - 1996م، (2 / 355-356).

2 : الجرجاني، "التعريفات"، (ص: 15).

3 : المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي (ت 1031هـ)، "التوقيف على مهمات التعاريف"، عالم الكتب – القاهرة، ط1، 1410هـ-1990م، (ص : 42). وانظر : الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ)، "الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"، تح : عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، (ص: 65).

المبحث الثاني

أهمية الكلام وأثره في بناء العلاقات الاجتماعية

والدعوة إلى الإسلام

حفلت نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة بتوجيهات وإرشادات في بيان أهمية الكلام وخطورته في بناء العلاقات الاجتماعية وفي الدعوة إلى الله تعالى، ومسؤولية الإنسان عن كل ما يصدر عنه من كلام، وأنه (مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [ق :18]، وساوى النبي صلى الله عليه وسلم بين إنفاق المال على المحتاجين وبين مخاطبة الناس بالكلام الطيب؛ وذلك عندما وصف الكلمة الطيبة بأنها صدقة، قال النبي صلى الله عليه وسلم : "والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ" ([1]).

المطلب الأول

البيان واختلاف اللغات نعمة دالة على الله

امتن الله على الإنسان بأن علمه البيان، فقال عز وجل : (الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾) [الرحمن : 1-4] وهذا دالٌ على أن البيان من أعظم النعم، ودليل ذلك أنه قَرَنَهُ بهاتين النعمتين العظيمتين وهما : تعليم القرآن وخلق الإنسان، واقتران تعليم البيان بخلق الإنسان؛ فيه إشارة إلى أن البيان من خصائص الإنسان.

يقول صاحب الظلال : "إننا نرى الإنسان ينطق ويعبر ويبين، ويتفاهم، ويتجاوب مع الآخرين.. فننسى بطول الألفة عظمة هذه الهبة، وضخامة هذه الخارقة، فيردنا القرآن إليها، ويوقظنا لتدبرها، في مواضع شتى.. فلننظر كيف يكون البيان؟ : (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾) [النحل : 78].. إنَّ تكوين جهاز النطق وحده عجيبة لا ينقضي منها العجب.. اللسان والشفتان والفك والأسنان. والحنجرة والقصبة الهوائية والشعب والرئتان.. إنها كلها تشترك في عملية التصويت الآلية وهي حلقة في

---

[1] : متفق عليه : البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه، (4 / 56/ رقم : 2989)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من معروف، (2 / 699 / رقم : 1009).

سلسلة البيان. وهي على ضخامتها لا تمثل إلا الجانب الميكانيكي الآلي في هذه العملية المعقدة، المتعلقة بعد ذلك بالسمع والمخ والأعصاب. ثم بالعقل الذي لا نعرف عنه إلا اسمه. ولا ندري شيئا عن ماهيته وحقيقته. بل لا نكاد ندري شيئا عن عمله وطريقته ! كيف ينطق الناطق باللفظ الواحد" ([1]).

كما بيَّن سبحانه أنّ اللغات واختلافها من آياته البيِّنات الدالة على وجوده وربوبيته وقدرته، قال الله تعالى : (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾) [الروم : 22].

قال الرازي : "فإنَّ عَرَبِيَّيْنِ هما أخوان إذا تكلما بلغة واحدة يُعرف أحدُهما من الآخر حتى أن مَنْ يكونُ محجوبا عنهما لا يبصرهما يقول: هذا صوت فلان وهذا صوت فلان الآخر، وفيه حكمة بالغة؛ وذلك لأن الإنسان يحتاج إلى التمييز بين الأشخاص ليعرف صاحب الحق من غيره، والعدو من الصديق؛ ليحترز قبل وصول العدو إليه، وليُقبلَ على الصديق قبل أن يفوته الإقبال عليه، وذلك قد يكون بالبصر، فخلق اختلاف الصور، وقد يكون بالسمع، فخلق اختلاف الأصوات، وأما اللمس والشم والذوق فلا يفيد فائدة في معرفة العدو والصديق فلا يقع بها التمييز" ([2]).

ومما يشير إلى هذه الحقيقة، وأهمية البيان للإنسان كي يقوم بوظيفته على هذه الأرض في هذه الحياة، قول الله تعالى : (وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾) [البقرة : 31]، فلولا أنّ البيان وقدرة الإنسان على الكلام من الأهمية بمكان في حياة الإنسان ووظيفته لما كانت هذه المعلومة قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، ليتفكر الإنسان بهذه الآية الدالة على عظمة الخالق والدالة على رحمته كيف أنعم عليه بهذه النعمة.

"ها نحن أولاء نشهد طرفاً من ذلك السر الإلهي العظيم الذي أودعه الله هذا الكائن البشري، وهو يسلمه مقاليد الخلافة. سر القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات. سر القدرة على تسمية الأشخاص والأشياء بأسماء يجعلها- وهي ألفاظ منطوقة- رموزاً لتلك الأشخاص والأشياء

---

1 : سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، "في ظلال القرآن"، دار الشروق، بيروت – القاهرة، ط7، 1412 هـ، (6/ 3446- 3447).

2 : الرازي،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي (المتوفى: 606هـ)، "مفاتيح الغيب "، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، 1420 هـ، (25 / 92).

المحسوسة. وهي قدرة ذات قيمة كبرى في حياة الإنسان على الأرض. ندرك قيمتها حين نتصور الصعوبة الكبرى، لو لم يوهب الإنسان القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات، والمشقة في التفاهم والتعامل، حين يحتاج كل فرد لكي يتفاهم مع الآخرين على شيء أن يستحضر هذا الشيء بذاته أمامهم ليتفاهموا بشأنه.. الشأن شأن نخلة فلا سبيل إلى التفاهم عليه إلا باستحضار جسم النخلة! الشأن شأن جبل. فلا سبيل إلى التفاهم عليه إلا بالذهاب إلى الجبل! الشأن شأن فرد من الناس فلا سبيل إلى التفاهم عليه إلا بتحضير هذا الفرد من الناس.. إنها مشقة هائلة لا تُتَصَور معها حياة! وإنَّ الحياة ما كانت لتمضي في طريقها لو لم يودع الله هذا الكائن القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات" ([1]).

1 : سيد قطب، "في ظلال القرآن"، (1 / 57).

المطلب الثاني
مسؤولية الكلمة وخطورتها

دلّ القرآن الكريم على أنّ الإنسان مسؤول عن كل ما يصدر عنه قال الله تعالى : ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات : 24] ومن أخطر ما يصدر عنه هو الكلام، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ" ([1]).

وليس أدلَّ على ذلك من أنّ الدخول في الإسلام يكون بالكلمة، فإنّ مفتاح الإسلام بأن ينطق الإنسان بكلمة التوحيد بأن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وكذلك يكون خروج الإنسان من الإسلام بأن ينطق بكلمة الكفر قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة : 74].

وإن العقود التي أمر الله بالوفاء بها في قوله سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة : 1]، تنعقد بالكلام كعقد الزواج، وعقد البيع، وغير ذلك.

وقد عرض لنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشاهد مرعبة للذي لا يتقي الله في كلامه منها :

1- مشهد الذي يكذب الكذبة فتطير في الآفاق على أنها حقيقة :

كما في حديثٍ طويلٍ عن سَمُرَة بن جُندب رضي الله عنه – في مشاهدَ رآها النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ورؤيا الأنبياء حق – ومنها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ، يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ ([2]) إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ" ([3]).

2- مشهد النمام الذي يفسد بين الناس :

---

1 : البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، (8 / 100 / رقم : 6477)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، (4 / 2290/ رقم : 2988)، واللفظ لمسلم.

2 : أي يشققه ويقطعه. [ابن الأثير، "النهاية"، (2 / 459)].

3 : البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، (9 / 44 / رقم : 7047).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: "إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ " ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: "لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا"، ([1]).

3- مشهد خطباء الفتنة الذين تُقْرَضُ شفاههم وألسنتهم بالمقاريض :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ. قَالَ: قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ " ([2]).

وهذا كله يبين أهمية الكلام وخطورة اللسان وأنه من أخطر الأعضاء فقد جاء في الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: " إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ ([3]) فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا " ([4]).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ([5]) ذَلِكَ كُلِّهِ"؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: "كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا"، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ،

---

1 : البخاري، كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، (1/ 53 / رقم:218)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول، (1 / 240 / رقم : 292)، واللفظ للبخاري.

2 : أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، "المسند"، تح : شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ – 2001 م، (19 / 244 / رقم : 12211). قال المحقق شعيب الأرنؤوط : (حديث صحيح)، وقال الألباني : (حسن)، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح الأشقودري (المتوفى: 1420هـ)، "صحيح الجامع الصغير وزياداته"، المكتب الإسلامي، (1 / 88 / رقم : 129).

3 : أَيْ تَتَذَلَّلُ وَتَتَوَاضَعُ لَهُ. [المباركفوري، "تحفة الأحوذي"، (7 / 74)].

4 : الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، "سنن الترمذي"، تح : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، 1998 م، (4 / 605 / رقم : 2407). قال الألباني : (حسن)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (1 / 124-125 / رقم : 351).

5 : الْمِلَاكُ مَا بِهِ إِحْكَامُ الشَّيْءِ وَتَقْوِيَتُهُ. [المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: 1353هـ)، "تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي"، دار الكتب العلمية – بيروت، (7 / 305)].

وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ([1]) يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ" ([2]).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيصْمُتْ" ([3]).

قال ابن رجب: "فَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ أُمِرَ بِقَوْلِ الْخَيْرِ، وَبِالصَّمْتِ عَمَّا عَدَاهُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ كَلَامٌ يَسْتَوِي قَوْلُهُ وَالصَّمْتُ عَنْهُ، بَلْ إِمَّا أَنْ يَكُونَ خَيْرًا، فَيَكُونُ مَأْمُورًا بِقَوْلِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ غَيْرَ خَيْرٍ، فَيَكُونُ مَأْمُورًا بِالصَّمْتِ عَنْهُ" ([4]).

---

1 : فَقَدَتْكَ وَأَصْلُهُ الدُّعَاءُ بِالْمَوْتِ ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي التَّعَجُّبِ. [المباركفوري، "تحفة الأحوذي"، (7 / 345)].

2 : الترمذي، "سنن الترمذي"، (5 / 12 / رقم : 2616)، وقال الترمذي : (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ). وقال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (2 / 913، رقم : 5136).

3 : متفق عليه : البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف، (8 / 32 / رقم : 6136)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، (1 / 68 / رقم : 47).

4 : ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، "جامع العلوم والحكم"، تح : شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط7، 1422هـ – 2001م، (1 / 336).

المطلب الثالث

الكلمة الطيبة صدقة

للكلمة الطيبة والقول الحسن أثرٌ كبير نحتاجه في تعاملنا مع الآخرين، مع الزوجة والأولاد والأقارب والجيران، بل مع الأعداء، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : "والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ" ([1]).

قال ابن بطال : "الكلام الطيب مندوب إليه وهو من جليل أفعال البر؛ لأن النبيَّ عليه السلام جعله كالصدقة بالمال، ووجه تشبيهه عليه السلام الكلمة الطيبة بالصدقة بالمال هو أن الصدقة بالمال تحيا بها نفس المتصدق عليه ويفرح بها، والكلمة الطيبة يفرح بها المؤمن ويحسن موقعها من قلبه فاشْتَبَهَا من هذه الجهة، ألا ترى أنها تذهب الشحناء وتُجلي السَّخِيمَة كما قال تعالى: (ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾) [فصلت : 34] والدفع بالتي هي أحسن قد يكون بالقول كما يكون بالفعل" ([2]).

ومن أهم أنواع الكلم الطيب : (النَّصِيحَةُ)، فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ" قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: "لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" ([3])، والنصيحة من حقوق المسلم على أخيه المسلم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ" قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: "إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ" ([4]).

---

1 : سبق تخريجه ص : 20.

2 : ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ)، "شرح صحيح البخاري"، تح : أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ – 2003م، (9 / 224).

3 : مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (1 / 74، رقم : 55).

4 : مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم على المسلم رد السلام، (4 / 1705 / رقم : 2162).

وإنّ الكلام الطيب من حسن الخلق، بل هو من أوضح الأدلة التي يستدل بها على حسن خلق الإنسان فعَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ ([1]) وَالمُتَشَدِّقُونَ ([2]) وَالمُتَفَيْهِقُونَ ([3])"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: "المُتَكَبِّرُونَ" ([4]).

وقد بين صلى الله عليه وسلم أنّ الكلام الطيب من أسباب الوقاية من النار، وأنه بديل الصدقة عند عدم القدرة عليها، بل سماه النبي صلى الله عليه وسلم صدقة كما تقدم، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: "اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ" ([5]).

---

1 : هُم الَّذِينَ يُكْثِرون الْكَلَامَ تَكَلُّفاً وَخُرُوجًا عَنِ الحقِّ. [ابن الأثير، ، " النهاية في غريب الحديث والأثر"، تح : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م، (1 / 209)].

2 : هُم المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز. وقيل: أراد بالمتشدق: المستهزئ بالناس يلوي شدقه بهم وعليهم. [ابن الأثير، "النهاية"، (2 / 453)].

3 :هم الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواهم، مأخوذ من الفهق،وهو الامتلاء والاتساع. [ابن الأثير، "النهاية"، (3 / 482)].

4 : أخرجه الترمذي،، "سنن الترمذي "، تح : أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط2، 1395 هـ – 1975 م، (4 / 370 / رقم : 2018). قال الترمذي : (حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ)، وقال الألباني : (حسن الإسناد)،، "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها"، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1415 هـ – 1995 م، (2 / 418–419 / رقم : 791).

5 : البخاري، كتاب الرقائق، باب صفة الجنة والنار، (8 / 115 / رقم : 6563)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الزكاة ولو بشق تمرة، (2 / 704 / رقم : 1016)، واللفظ للبخاري.

المطلب الرابع

أهمية الكلام في الإصلاح أوالإفساد بين الناس

للكلام دور مهم وخطير في الإصلاح بين الناس أو الإفساد بينهم، أما عن أهمية دوره في الإصلاح بين الناس فقد قال الله تعالى : (لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾) [النساء :114]، فقد بينت الآية أنّ الكلام في الإصلاح بين الناس مما يرضي الله تعالى.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ" ([1]).

قال ابن بطال معلقا على الحديث : "ما أحقَّ من علم أن عليه حفظةً مُوَكَّلين به، يحصون عليه سقط كلامه وعثرات لسانه، أن يَحْزُنَهَ ويقلَّ كلامه فيما لا يعنيه، وما أحراه بالسعي في أن لا يرتفع عنه ما يطول عليه ندمه من قول الزور والخوض في الباطل، وأن يجاهد نفسه في ذلك ويستعين بالله ويستعيذ من شر لسانه" ([2]).

وأما دور الكلام وخطورته في الإفساد بين الناس فقد بيّن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صاحبَي القبرين اللذين يعذبان، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: "إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ " ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: "لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا" ([3]).

والمشي بالنميمة هو : "نقل الحديث من قوم إلى قوم، على جهة الإفساد والشر" ([4]).

---

1 : البخاري، كتاب الرقائق، باب حفظ اللسان، (8 / 101، رقم : 6478) .

2 : ابن بطال، "شرح صحيح البخاري"، (10 / 185-186).

3 : تقدم تخريجه ص : 23

4 : ابن الأثير، "النهاية"، (5 / 120).

وعن حذيفة قال: قال رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ" ([1])، والقتات هو : "النمام. يقال: قَتَّ الحديثَ يَقُتُّهُ إذا زَوَّرَهُ وَهَيَّأَهُ وَسَوَّاهُ" ([2]).

وقد رخص النبي صلى الله عليه وسلم في الكذب إذا كان وسيلة للإصلاح وزيادة الأُلفة وتمتين العلاقة، عَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقُولُ: "لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْراً" ([3]).

1 : البخاري، كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمة، (8 / 17 / رقم : 6056)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة، (1 / 101 / رقم : 105)، واللفظ للبخاري.

2 : ابن الأثير، "النهاية"، (4 / 11).

3 : مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه، (4 / 2011 / رقم : 2605).

المطلب الخامس

أهمية الكلام في الدعوة إلى الإسلام

لا ريب أن الكلمة هي الوسيلة الأولى والأهم في الدعوة إلى الله تعالى عند جميع الأنبياء والرسل، قال الله تعالى : (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ) [إبراهيم : 4]، ولما بعث الله رسوله موسى إلى فرعون وقومه دعا موسى ربّه بقوله : (وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي) [طه : 27-28] وطلب من الله تعالى أن يبعث معه أخاه هارون؛ لأنه أفصح منه لسانا فقال : (وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤) [القصص : 34].

"إنّ الرسل عليهم الصلاة والسلام بوصفهم حملة رسالة كانوا دائما يتمتعون بدرجة عالية من وضوح البيان والقدرة على الشرح والإقناع. وقد اعترف قوم نوح عليه السلام له بأنه جادلهم فأطال في جدالهم : (قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ) [هود : 32]، وكان من جملة مِنن الله تعالى على داود عليه السلام ما آتاه إياه من القدرة البيانية حين قال : (وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ) [ص : 20].

وقد ذكر بعض المفسرين ([1]) أنّ المراد بفصل الخطاب هو البيان الفاصل بين الحق والباطل، أو هو الإيجاز بجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل " ([2]).

والدارس لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم يرى أنّ الكلام كان أهم وسائله صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله، فهو وسيلة النبي صلى الله عليه وسلم في حواره للمشركين وتفنيده لعقائدهم، ومن ذلك :

---

1 : أنظر : الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: 538هـ)، " الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، 1407 هـ، (4 / 80). قال : (وهو من الفصل بين الحق والباطل، ويدخل فيه قول بعضهم: هو قوله "أمّا بعد» لأنه يفتتح إذا تكلم في الأمر الذي له شأن بذكر الله وتحميده، فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق إليه: فصل بينه وبين ذكر الله بقوله: أمّا بعد. ويجوز أن يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخلّ ولا إشباع مملّ. ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم: فصل لا نذر ولا هذر).

2 : بكار، عبد الكريم، "المتحدث الجيد"، دار السلام، مصر، ط2، 1433هـ / 2012م، (ص : 6).

1- حواره مع عدي بن حاتم الطائي :

قال عدي بن حاتم : " لَمَّا بَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَرْتُ مِنْهُ، حَتَّى كُنْتُ فِي أَقْصَى أَرْضِ الْمُسْلِمِينَ، مِمَّا يَلِي الرُّومَ، قَالَ: فَكَرِهْتُ مَكَانِي الَّذِي أَنَا فِيهِ ، حَتَّى كُنْتُ لَهُ أَشَدَّ كَرَاهِيَةً لَهُ مِنِّي مِنْ حَيْثُ جِئْتُ، قَالَ: قُلْتُ: لَآتِيَنَّ هَذَا الرَّجُلَ، فَوَاللهِ لَئِنْ كَانَ صَادِقًا، فَلَأَسْمَعَنَّ مِنْهُ، وَلَئِنْ كَانَ كَاذِبًا، مَا هُوَ بِضَائِرِي. قَالَ: فَأَتَيْتُهُ، وَاسْتَشْرَفَنِي ([1]) النَّاسُ، وَقَالُوا: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، قَالَ: فَقَالَ لِي : " يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ أَسْلِمْ تَسْلَمْ " قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي مِنْ أَهْلِ دِينٍ. قَالَ: " يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ " قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي مِنْ أَهْلِ دِينٍ. قَالَهَا ثَلَاثًا. قَالَ: " أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ "، قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ بِدِينِي مِنِّي؟ قَالَ: " نَعَمْ ". قَالَ: " أَلَيْسَ تَرْأَسُ قَوْمَكَ؟ "قُلْتُ: بَلَى،... قَالَ: " فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ فِي دِينِكَ الْمِرْبَاعُ ([2]) ". قَالَ: فَلَمَّا قَالَهَا، تَوَاضَعَتْ مِنِّي هُنَيَّةٌ ([3]) وَقَالَ: " إِنِّي قَدْ أَرَى أَنَّ مِمَّا يَمْنَعُكَ خَصَاصَةٌ ([4]) تَرَاهَا بِمَنْ حَوْلِي، وَأَنَّ النَّاسَ عَلَيْنَا أَلْبٌ وَاحِدٌ ([5]). هَلْ تَعْلَمُ مَكَانَ الْحِيرَةِ ؟([6]) قُلْتُ: قَدْ سَمِعْتُ بِهَا، وَلَمْ آتِهَا. قَالَ: " لَتُوشِكَنَّ الظَّعِينَةُ ([7]) أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا بِغَيْرِ جِوَارٍ ([8]) حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، وَلَتُوشِكَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ أَنْ تُفْتَحَ، "قُلْتُ: كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ! قَالَ: " " كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ " قُلْتُ: كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ! قَالَ: " كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلَيُوشِكَنَّ أَنْ يَبْتَغِيَ مَنْ يَقْبَلُ مَالَهُ مِنْهُ صَدَقَةً، فَلَا يَجِدُ "، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ ثِنْتَيْنِ : قَدْ رَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَخْرُجُ مِنَ

---

1 : أي خرجوا إلى لقائه. [انظر : ابن الأثير، " النهاية "، (2 / 462)].

2 : المرباع : هو أخذ ربع الغنيمة. [انظر: ابن الأثير، "النهاية "، (2 / 186)] .

3 : الهنية : القليلُ من الزمان، وهو تصغير هَنَة . [ابن الأثير، "النهاية "، (5 / 279)].

4 : الفقر والحاجة إلى الشيء.[انظر : ابن الأثير، "النهاية"، (2 / 37)].

5 : القوم يجتمعون على عداوة إنسان. [ابن الأثير، "النهاية"، (1 / 59)].

6 : بالكسر ثم السكون، مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النّجف، والنسبة إليها حاريّ على غير قياس. [ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (المتوفى: 626هـ)، " معجم البلدان" , دار صادر، بيروت، ط1، 1995م، (2 / 328)].

7 : أصلُ الظَّعِينَة: الرَّاحلَةُ الَّتِي يُرحَل ويُظْعَنُ عَلَيْهَا: أَيْ يُسار. وَقِيلَ لِلْمَرْأَةِ ظَعِينَة، لِأَنَّهَا تَظْعَنُ مَعَ الزَّوج حَيثُما ظَعَنَ، أَوْ لأنَّها تُحْمَل عَلَى الرَّاحِلَة إِذَا ظَعَنَتْ. وَقِيلَ الظَّعِينَة: المَرأَةُ فِي الْهَوْدَجِ، ثُمَّ قِيلَ للهَودَج بِلَا امْرَأَة، وللِمَرأة بِلَا هَودَج: ظَعِينَة. [ابن الأثير، "النهاية"، (3 / 157)].

8 : أي : بدون أن تكون في جوار أحد يحميها.

الْحِيرَةِ بِغَيْرِ جِوَارٍ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، وَكُنْتُ فِي الْخَيْلِ الَّتِي أَغَارَتْ عَلَى الْمَدَائِنِ. وَأَيْمُ اللهِ لَتَكُونَنَّ الثَّالِثَةُ، إِنَّهُ لَحَدِيثُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنِيهِ" ([1]).

2- حواره مع الحصين والد عمران:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَوْ غَيْرِهِ، أَنَّ حُصَيْنًا، أَوْ حَصِينًا (2) أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ لَعَبْدُ الْمُطَّلِبِ كَانَ خَيْرًا لِقَوْمِهِ مِنْكَ؛ كَانَ يُطْعِمُهُمُ الْكَبِدَ وَالسَّنَامَ، وَأَنْتَ تَنْحَرُهُمْ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ فَقَالَ لَهُ: مَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَقُولَ؟ قَالَ: " قُلِ اللهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي، وَاعْزِمْ لِي عَلَى أَرْشَدِ أَمْرِي ". قَالَ: فَانْطَلَقَ فَأَسْلَمَ الرَّجُلُ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: إِنِّي أَتَيْتُكَ فَقُلْتَ لِي: " قُلِ اللهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي، وَاعْزِمْ لِي عَلَى أَرْشَدِ أَمْرِي ". فَمَا أَقُولُ الْآنَ؟ قَالَ: " قُلِ اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَخْطَأْتُ وَمَا عَمَدْتُ، وَمَا عَلِمْتُ وَمَا جَهِلْتُ " ([2]).

والكلام من أهم وسائله صلى الله عليه وسلم في تعليم المسلمين ونصيحتهم ووعظهم وإرشادهم، وقد بقيت سيرته وأقواله تحفظ لنا آلاف الأقوال من مواعظ وخطب ونصائح وتعاليم وحوارات.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن للكلام المؤثر أثراً بالغاً كأثر السحر فعن عبد الله بن عمر قال: جَاءَ رَجُلَانِ مِنَ المَشْرِقِ فَخَطَبَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا"([3]).

---

1 : أحمد، "المسند"، (33 / 197 / رقم : 19992). قال شعيب الأرنؤوط محقق المسند : (أسناده صحيح على شرط الشيخين).

2 : أخرجه الترمذي، "سنن الترمذي"، (5 / 519/ رقم : 3483)، والبزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: 292هـ)، "مسند البزار"، تح : محفوظ الرحمن زين الدين، وأخرون، ط1، 1988م، (9 / 53 / رقم : 3580). والطبراني، "الأسط"، (2 / 280 / رقم : 1985). وقال الترمذي : (هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الحَدِيثُ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ مِنْ غَيْرِ هَذَا الوَجْهِ).

3 : البخاري، كتاب النكاح، باب الخطبة، (7 / 19 / رقم : 5146).

وقد قال الله تعالى لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا)[النساء :63]، وقد كان للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطيب هو ثابت بن قيس ([1]) فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: "كَانَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ خَطِيبَ الْأَنْصَارِ" ([2]).

وكان له صلى الله عليه وسلم أكثر من شاعر: عبد الله بن رواحة ([3])، وكعب بن مالك ([4])، وحسان بن ثابت ([5]) ، يدافعون عن الإسلام في وجه المشركين، وكان أبرزهم حسان بن ثابت شاعر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحق، فعَنِ البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَسَّانَ: "اهْجُهُمْ – أَوْ هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ" ([6]).

وعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ" فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ: "اهْجُهُمْ" فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ حَسَّانُ: قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ

---

1 : ثابت بن قيس بن شمّاس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس – غير الشاعر المعروف– بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاريّ الخزرجي. خطيب الأنصار. يكنى أبا محمد، وقيل أبا عبد الرحمن. أول مشاهده أحد، وشهد ما بعدها، وبشّره النّبيّ صلّى اللَّه عليه وسلم بالجنة. واستشهد يوم اليمامة. [ابن حجر العسقلاني،أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، "الإصابة في تمييز الصحابة"، تح:عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1، 1415 هـ، (1 / 511)].

2 : مسلم، كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله، (1 / 110 / رقم : 119).

3 : عبد اللَّه بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ – القيس–غير الشاعر المعروف بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجيّ، الشاعر المشهور. يكنى أبا محمد. ويقال كنيته أبو رواحة. ويقال أبو عمرو. وكان أحد النقباء ليلة العقبة، وشهد بدرا وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة. [ابن حجر العسقلاني، "الإصابة في تمييز الصحابة"، (4 / 72)].

4 : كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة، بكسر اللام، ابن سعد بن علي بن أسد بن ساردة، أبو عبد اللَّه الأنصاري السّلمي بفتحتين، ويقال أبو بشير، ويقال أبو عبد الرحمن. كانت كنية كعب بن مالك في الجاهلية أبا بشير، فكناه النبيّ صلّى اللَّه عليه وآله وسلم أبا عبد اللَّه، وشهد العقبة وبايع بها وتخلّف عن بدر وشهد أحدا وما بعدها، وتخلّف في تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم.، مات أيام قتل علي بن أبي طالب على أقوالٍ كثيرة.[ابن حجر العسقلاني، "الإصابة في تمييز الصحابة"، (5 / 457)].

5 : حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن عديّ بن عمرو بن مالك بن النّجار الأنصاريّ الخزرجيّ ثم النجاريّ، شاعر رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم. يكنى: أبا الوليد، وهي الأشهر، وأبا المضرّب، وأبا الحسام، وأبا عبد الرحمن. روى عن النبي صلّى اللَّه عليه وسلّم أحاديث، روى عنه سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعروة بن الزبير، وآخرون. توفي سنة أربع وخمسين مائة وأربع عشرة. [ابن حجر العسقلاني، "الإصابة في تمييز الصحابة"، (2 / 55–56)].

6 : البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (4 / 112 /رقم : 3213).

الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ، ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي" فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ لِحَسَّانَ: "إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ"، وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى" قَالَ حَسَّانُ:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ... وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَـــزَاءُ

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا... رَسُولَ اللهِ شِيمَتُهُ الْوَفَـــــاءُ

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَـــاءُ

تَكِلْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا... تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَنَفَيْ كَـــدَاءِ ([1])

يُبَارِينَ الْأَعِنَّةَ([2])... مُصْعِدَاتٍ ([3])... عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسَلُ الظِّمَاءُ([4])

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ([5])..... تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَـــاءُ

فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا... وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَـاءُ

وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ... يُعِزُّ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَـــــاءُ

وَقَالَ اللهُ: قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا... يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَـــاءُ

وَقَالَ اللهُ: قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا... هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَـــاءُ

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ... سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَـــــاءُ

---

1 : كَدَاءِ: بِفَتْحِ الْكَافِ وَبِالْمَدِّ هِيَ ثَنِيَّةٌ عَلَى بَابِ مَكَّةَ، [النووي، " المنهاج شرح صحيح مسلم "، (16 / 50)].

2 : وَمَعْنَاهُ أَنَّهَا لِصَرَامَتِهَا وَقُوَّةِ نُفُوسِهَا تُضَاهِي أَعِنَّتَهَا بِقُوَّةِ جَبْذِهَا لَهَا، [النووي، " المنهاج شرح صحيح مسلم "، (16 / 50)].

3 : أَيْ مُقْبِلَاتٍ إِلَيْكُمْ وَمُتَوَجِّهَاتٍ، [النووي، " المنهاج شرح صحيح مسلم "، (16 / 50)].

4 : وَالْأَسَلُ : الرِّمَاحُ، وَالظِّمَاءُ : الرِّقَاقُ، [النووي، " المنهاج شرح صحيح مسلم "، (16 / 50)].

5 : أَيْ تَظَلُّ خُيُولُنَا مُسْرِعَاتٍ يَسْبِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، [النووي،" المنهاج شرح صحيح مسلم"، (16 / 50-51)].

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَـــوَاءُ

وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِينَا... وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَـاءُ " ([1]).

وقد بيَّن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تغيير المنكر على ثلاثة مراتب : باليد واللسان والقلب، فعن أبي سعيد الخدريِّ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ" ([2]).

1 :مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، (4 / 1935/ رقم: 2490).

2 : مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، (1 / 69 / رقم: 49).

الفصل الثاني

صفات كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأسلوبه في الخطاب

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : صفات عامة في كلامه صلى الله عليه وسلم

المبحث الثاني : أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب

الفصل الثاني

صفات كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأسلوبه في الخطاب

يجتمع في كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجموعة من الصفات تجعله كلاماً متفرِّداً متميزاً عن كلام غيره، قال ابن القيم : " كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْصَحَ خَلْقِ اللَّهِ، وَأَعْذَبَهُمْ كَلَامًا، وَأَسْرَعَهُمْ أَدَاءً، وَأَحْلَاهُمْ مَنْطِقًا، حَتَّى إِنَّ كَلَامَهُ لَيَأْخُذُ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ وَيَسْبِي الْأَرْوَاحَ، وَيَشْهَدُ لَهُ بِذَلِكَ أَعْدَاؤُهُ. وَكَانَ إِذَا تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ مُفَصَّلٍ مُبَيَّنٍ يَعُدُّهُ الْعَادُّ، لَيْسَ بِهَذٍّ مُسْرِعٍ لَا يُحْفَظُ، وَلَا مُنْقَطِعٍ تَخَلَّلُهُ السَّكَتَاتُ بَيْنَ أَفْرَادِ الْكَلَامِ، بَلْ هَدْيُهُ فِيهِ أَكْمَلُ الْهَدْيِ، قَالَتْ عائشة: "مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا، وَلَكِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ بَيِّنٍ فَصْلٍ يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ"([1]). وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُعِيدُ الْكَلَامَ ثَلَاثًا لِيُعْقَلَ عَنْهُ، وَكَانَ إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا. وَكَانَ طَوِيلَ السُّكُوتِ لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتَتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ ([2])، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلَامِ، فَصْلٌ لَا فُضُولٌ وَلَا تَقْصِيرٌ، وَكَانَ لَا يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا يَرْجُو ثَوَابَهُ، وَإِذَا كَرِهَ الشَّيْءَ عُرِفَ فِي وَجْهِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا" ([3]).

---

1 : وأخرجه الترمذي، أبواب المناقب، باب في كلام النبي صلى الله عليه وسلم، (5 / 600/ رقم : 3639)، والبغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (المتوفى: 516هـ)، "شرح السنة"، تح : شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، ط2، 1403هـ – 1983م، (13 / 256 / رقم : 3696). وشطره الأول عند البخاري ومسلم بلفظ : "إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ "، البخاري، كتاب المناقب، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (4 / 190 / 3568). ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، (4 / 1940 / رقم : 2493).

2 : هي جوانبُ الفَم، وَإِنَّمَا يكونُ ذَلِكَ لرُحْب شِدْقَيْهِ. والعَرَب تَمْتدح بِذَلِكَ.[ابن الأثير، "النهاية"، (2 / 453)].

3 : ابن قيم الجوزية ، " زاد المعاد في هدي خير العباد"، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط 27، 1415هـ /1994م، (1 / 175).

المبحث الأول

صفات عامة في كلام النبي صلى الله عليه وسلم

المتأمل في كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجده كلاماً جامعاً، وجيزاً، واضحاً، وإذا تناول أكثر من فكرة أو موضوعٍ كان مُبَيَّناً، مُقسَّماً، جاذباً للانتباه في فصاحة ألفاظه وعمق معانيه، وجمال بدئه وحسن ختمه، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ" ([1])، وفيما يأتي الكلام عن أهم هذه الصفات :

المطلب الأول

الإيجاز

الناظر في كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجده دليلاً واضحاً على صدق قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ" ([2])، فمعظم كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتصف بالإيجاز، وكثير منه كالعناوين والشعارات، كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "الدِّينُ النَّصِيحَةُ" ([3])، وكقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "الحج عرفة" ([4])، وقوله : "لاَ تَغْضَبْ" ([5])، وقوله : "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" ([6])، وقوله : "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ" ([7]).

---

1 : البخاري، كتاب التعبير، باب المفاتيح في اليد، (9 / 36 / رقم : 7013)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (1 / 317/ رقم :523)، واللفظ لمسلم، عن أبي هريرة.

2 : البخاري، كتاب التعبير، باب المفاتيح في اليد، (9 / 36 / رقم : 7013)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (1 / 317/ رقم :523)، واللفظ لمسلم، عن أبي هريرة.

3 : مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم على المسلم رد السلام، (4 / 1705 / رقم : 2162)، عن تميم الداري.

4 : النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (المتوفى: 303هـ)، " المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي "، تح : عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط2، 1406هـ – 1986م، (5 / 256 / رقم : 3016). قال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (1 / 606 / رقم : 3172)، عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ.

5 : البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، (8 / 28 / رقم :6116)، عن ابي هريرة.

6 : البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، (1 / 6 / رقم : 1).

7 : رواه الشيخان : البخاري، كتاب الصلح، بَابُ إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ، (3 / 184، رقم : 2697). ومسلم، كتاب الأقضية، بَابُ نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ ، (3 / 1343/ رقم : 1718).

إنَّ الأحاديث النبويةَ الطويلةَ قليلةٌ نسبياً، وأكثرها أحاديث فعليةٌ يصف بها الصحابي مشهداً مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر أو غزوة أو موقف، يتخلل ذلك كلامُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعَنْ عَبَايَةَ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذِي الحُلَيْفَةِ، فَأَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ، فَأَصَابُوا إِبِلًا وَغَنَمًا، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أُخْرَيَاتِ القَوْمِ، فَعَجِلُوا، وَذَبَحُوا، وَنَصَبُوا القُدُورَ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالقُدُورِ، فَأُكْفِئَتْ، ثُمَّ قَسَمَ، فَعَدَلَ عَشَرَةً مِنَ الغَنَمِ بِبَعِيرٍ فَنَدَّ مِنْهَا بَعِيرٌ، فَطَلَبُوهُ، فَأَعْيَاهُمْ وَكَانَ فِي القَوْمِ خَيْلٌ يَسِيرَةٌ، فَأَهْوَى رَجُلٌ مِنْهُمْ بِسَهْمٍ، فَحَبَسَهُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ لِهَذِهِ البَهَائِمِ أَوَابِدَ كَأَوَابِدِ الوَحْشِ ([1])، فَمَا غَلَبَكُمْ مِنْهَا فَاصْنَعُوا بِهِ هَكَذَا"، فَقَالَ جَدِّي: إِنَّا نَرْجُو – أَوْ نَخَافُ – العَدُوَّ غَدًا، وَلَيْسَتْ مَعَنَا مُدًى، أَفَنَذْبَحُ بِالقَصَبِ؟ قَالَ: " مَا أَنْهَرَ الدَّمَ، وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلُوهُ، لَيْسَ السِّنَّ وَالظُّفُرَ، وَسَأُحَدِّثُكُمْ عَنْ ذَلِكَ: أَمَّا السِّنُّ: فَعَظْمٌ، وَأَمَّا الظُّفُرُ: فَمُدَى الحَبَشَةِ " ([2])، وقد يكون الحديث الطويل قصة كحديث الأعمى والأبرص والأقرع ([3])،

وحديث الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار ([4])، وقد يكون الحديث الطويل مشهداً من مشاهد يوم القيامة كحديث الشفاعة ([5]).

وقد صحّ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه خطب المسلمين يوما كاملا فحدثهم عن بدايات الأمور ونهاياتها، حتى دخل أهل الجنةِ الجنةَ، وأهل النارِ النارَ كما صحّ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : "قَامَ فِينَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا، فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الخَلْقِ، حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ" ([6])،

---

[1] : الْأَوَابِدُ جَمْعُ آبِدَة وَهِيَ الَّتِي قَدْ تَأَبَّدَتْ أَيْ تَوَحَّشَتْ ونَفَرَتْ مِنَ الْإِنْسِ. [ابن الأثير، "النهاية "، (13/1)].

2 : البخاري، كتاب الشركة، باب قسمة الغنم، (3 / 138 / رقم : 2488).

3 : متفق عليه : البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (4 / 171 / رقم : 3464). ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، (4 / 2275، رقم : 2964)، عن ابي هريرة.

4 : متفق عليه : البخاري، كتاب الإجارة، باب مَنِ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَتَرَكَ الأَجِيرُ أَجْرَهُ، (3 / 91 / رقم 2272). ومسلم، كتاب كتاب الرقاق، بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلَاثَةِ وَالتَّوَسُّلِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ، (4 / 2100 / رقم : 2743)، عن عبد الله بن عمر.

5 : متفق عليه : البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) [الإسراء: 3]، (6 / 84 / / رقم : 4712). ومسلم، كتاب الإيمان، بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا، (1 / 184 / رقم : 194)، عن أبي هريرة.

6 : البخاري ، كتاب بدء الخلق، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) [الروم:

وصح عن حذيفة رضي الله عنه قال : "قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ" ([1])، وكما في حديث عمرو بن أخطب قال : "صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا" ([2]).

ونلحظ أن هذه المواضع التي أطال فيها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْسُنُ الإطالة فيها، فإن القصة يلاحظ فيها المتعة والتسلية إلى جانب مقصدها الأصلي وهو العبرة والعظة، ونظير ذلك في القرآن الإطالة في قصة يوسف عليه السلام وقصص أخرى.

كما أن الحديث عن مشاهد يوم القيامة يشبه القصة، وجه الشبه بينهما أن القصة فيها سردٌ لأحداث ماضية، ومشاهد يوم القيامة فيها سردٌ لأحداثٍ آتية مع ما يُحدثه ذلك من أثر في النفس .

أما بالنسبة لقيامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوما كاملا يخطب في أصحابه ففيه حجة باهرة ودليل ساطع على صدق قول الله تعالى لنبيه الأميّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء : 113]، فلعل من جملة المراد منه إظهار هذه الآية الربانية في تعليم نبيه الأميّ، إذ كيف يمكن للأميِّ الذي لم يقرأ ولم يكتب ولم يعلمه أحد من البشر، أن يقوم يوما كاملا ليعلم المسلمين ما لم يكونوا يعلمون.

27]، (4 / 106 / رقم : 3192).

1 : مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إِخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، (4 / 2217 / رقم : 2891).

2 : مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إِخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، (4 / 2217 / رقم : 2892).

المطلب الثاني

التقعيد

إنّ وضع الأصول وإرساء القواعد التي يُبنى عليها ويفرّع منها كان غالباً على كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكثيرٌ من كلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان قواعدَ موجزةً يُستنبط منها ويُبنى عليها، فتكون كالنبع الذي يُستقى منه، وكقواعدِ البيت التي يُرفع عليها، وقد وصف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلام نفسه بذلك في قوله : "أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ" ([1])، وساق كلمته هذه في سياق الآيات الدالات على صدق نبوته، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ"([2]).

وإنّ المتدبر في كلماته الجوامع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتتراءى له دلائل النبوة، فإنها كلمات موجزة تتضمن معانيَ متعددةً كثيرٌ منها جديد على ثقافة العالم في ذلك الوقت وإلى وقتنا هذا.

لقد ذكر العلماء أن قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" ([3]) ثلث العلم ([4]) "قال الشافعي رحمه الله: يدخل في هذا الحديث ثلث العلم. وقال أيضا: يدخل في سبعين بابا من الفقه"([5]) ،وقد وصف ابن رجب الحنبلي هذا الحديث بأنه الميزان الباطن للأعمال، وأن قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ" ([6]) هو الميزان الظاهر ([7]).

والمتدبر لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: "لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ" ([8]) يجد أنه يتضمن قاعدة مهمة يستنبط منها أحكام كثير في شتى مجالات الحياة، ويبنى عليها أمور وتصورات كثيرة، فهذه قاعدة

---

1 : تقدم تخريجه في صفحة : 38 .

2 : مسلم، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، (1 / 371 / رقم : 523).

3 : تقدم تخريجه في صفحة : 38 .

4 : انظر : ابن رجب الحنبلي، " جامع العلوم والحكم "، (1 / 61-62).

5 : النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، "المجموع شرح المهذب "، دار الفكر، (1 / 311).

6 : تقدم تخريجه في صفحة : 38 .

7 : انظر : ابن رجب، " جامع العلوم والحكم"، (1 / 176).

8 : مالك بن أنس، ابن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ)،موطأ الإمام مالك، تعليق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1406 هـ - 1985 م، كتاب الأقضية، باب القضاء في المرفق، (2 /

عظيمة من القواعد التي وضعها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، والتي يدخل تحتها الكثير من المسائل ([1]).

ومن ذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في شأن المواريث : " أَلْحِقُوا الفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ " ([2])، فهذا الحديث أساسٌ وقاعدةٌ في بيان كيفية قسمة المواريث، فقد ذكر ابن رجب أنّ هذا الحديث مشتمل على أحكام المواريث وجامع لها ([3])، وقال : " فَهَذَا الْحَدِيثُ مُبَيِّنٌ لِكَيْفِيَّةِ قِسْمَةِ الْمَوَارِيثِ الْمَذْكُورَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ بَيْنَ أَهْلِهَا، وَمُبَيِّنٌ لِقِسْمَةِ مَا فَضُلَ مِنَ الْمَالِ عَنْ تِلْكَ الْقِسْمَةِ مِمَّا لَمْ يُصَرِّحُ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ أَحْوَالِ أُولَئِكَ الْوَرَثَةِ وَأَقْسَامِهِمْ، وَمُبَيِّنٌ أَيْضًا لِكَيْفِيَّةِ تَوْرِيثِ بَقِيَّةِ الْعَصَبَاتِ الَّذِينَ لَمْ يُصَرَّحْ بِتَسْمِيَتِهِمْ فِي الْقُرْآنِ، فَإِذَا ضُمَّ هَذَا الْحَدِيثُ إِلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ، انْتَظَمَ ذَلِكَ كُلُّهُ مَعْرِفَةَ قِسْمَةِ الْمَوَارِيثِ بَيْنَ جَمِيعِ ذَوِي الْفُرُوضِ وَالْعَصَبَاتِ" ([4]).

وقال ابن عثيمين : " واعلم أنك إذا جمعت قوله صلى الله عليه وسلم: "ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر" ([5])، إلى آيات المواريث؛ وجدتها قد استوعبت عامة أحكام المواريث ومهماته" ([6]).

---

745 / رقم: 31). وقال الألباني : (صحيح)، " صحيح الجامع الصغير وزياداته"، (2 / 1249 / رقم : 7517)، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى الْمَازِنِيِّ، عَنْ أَبِيه.

1 : انظر : ابن رجب، "جامع العلوم والحكم"، (2 / 206-210).

2 : متفق عليه : البخاري، كتاب الفرائض، بَابُ مِيرَاثِ ابْنِ الِابْنِ إِذَا لَمْ يَكُنِ ابْنٌ، (8 / 151 / رقم : 6735)، ومسلم، كتاب الفرائض، بَابُ أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ، (3 / 1233 / رقم : 1615) ، عن عبد الله بن عباس.

3 : انظر: ابن رجب، "جامع العلوم والحكم، (2 / 419).

4 : ابن رجب، "جامع العلوم والحكم "، (2 / 424).

5 : متفق عليه : وقد تقدم تخريجه في نفس الصحفة.

6 : ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت 1421هـ)، " تسهيل الفرائض"، دار ابن الجوزي، 1427هـ، (ص : 6).

المطلب الثالث

التقسيم

وهذه السِّمَةُ في كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تظهر في اسهابه حين يقتضي الأمر كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ" ([1]).

فقد بين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ أمور الشريعة على ثلاثة أقسام : حلال بيّن، وحرام بيّن، وأمور مشتبِهة على كثير من الناس، ثم حذّر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الشبهات بأسلوب جميل وهو ضرب المثل، بقوله : " كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى "، وفي آخر الحديث بيّن دور القلب في التعامل مع هذه الأمور الثلاثة : الحلال والحرام والشبهات، وأنّ صلاح القلب هو الضمانة الوحيدة لاجتناب الشبهات. فهذا كلام فيه جمل متعددة، واضحة، مقسمة، يتضمن معانيَ مهمة، وكل ذلك في حديث لا يتجاوز الأربعة أسطر.

ومن ذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١)[المؤمنون: 51] وَقَالَ: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢) [البقرة: 172]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ " ([2]).

---

1 : مسلم، كتاب المساقاة، بَابُ أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، (3 / 1219/ رقم : 1599)، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه .

2 : مسلم، كتاب الزكاة، بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا، (2 / 703 / رقم 1015) ، عن ابي هريرة رضي الله عنه .

فهذا كلام بيّنٌ مُفَصَّلٌ إلى أقسام : فقد قرر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاعدة عقدية بقوله : "إن الله طيب"، ثم أردفها بقاعدة أخرى بقوله : "لا يقبل إلا طيباً"، ثم أردف هاتين القاعدتين بقاعدة ثالثة بقوله : " وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ "، ثم استشهد بآيتين من القرآن الكريم لهذه القاعدة، ثم ذكر مثالاً وهي صورة الرجل الأشعث الأغبر، المُلِحِّ بالدعاء والذي يمدُّ يديه إلى السماء، ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذيَ بالحرام، ثم عَقَّبَ على هذا المشهد بقوله : "فأنى يستجاب لذلك"، فهذا تقسيم في غاية الجمال والبيان.

المطلب الرابع

الوضوح

إنَّ كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واضحٌ بيّنٌ، وقد اختاره الله أفصح العرب؛ ليبيِّن أعظم الكلام وأفصحه وهو القرآن الكريم، قال الله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل :44]، وكلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجمع بين الفصاحة والجزالة والجامعيَّة والوضوح، كما وصف نفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث بقوله : " فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ "([1])، أما وضوح كلامه ويُسر فهمه بالنسبة للمخاطبين على اختلاف مستوياتهم، فهو أمر منسجمٌ مع وظيفته التي بَعثه الله بها وهي البيان كما في الآية : ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل :44]، فقد بعثه الله تعالى معلماً ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة :2]، وقد بيّن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهمته التي بُعث بها فقال : " إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا" ([2]).

وقد وصف الواصفون كلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه فصل مبيّنٌ، يحفظه كل من سمعه، فعن عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْرِدُ الْكَلَامَ كَسَرْدِكُمْ هَذَا، كَانَ كَلَامُهُ فَصْلًا يُبَيِّنُهُ، يَحْفَظُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ" ([3])، وفي رواية : "إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ "([4]) قال النووي تعليقا على الحديث : " يكثره ويتابعه" ([5]).

---

1 : تقدم تخريجه صفحة 42 .

2 : مسلم،كتاب الطلاق، بَابُ بَيَانِ أَنَّ تَخْيِيرَ امْرَأَتِهِ لَا يَكُونُ طَلَاقًا إِلَّا بِالنِّيَّةِ، (2 / 1104 / رقم : 1478) ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

3 : هذا اللفظ للنسائي (9-158/ رقم : 10173)، وسبق تخريجه ص33.

4 : متفق عليه : البخاري، كتاب المناقب، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (4 / 190 / 3568). ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، (4 / 1940 / رقم : 2493).

5 : النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: 676هـ)، " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط2، 1392هـ، (16 / 54).

وعنها رضي الله عنها قالت : "كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ العَادُّ لَأَحْصَاهُ " ([1]). قال ابن حجر : " أَيْ لَوْ عَدَّ كَلِمَاتِهِ أَوْ مُفْرَدَاتِهِ أَوْ حُرُوفَهُ لَأَطَاقَ ذَلِكَ وَبَلَغَ آخِرَهَا وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ الْمُبَالَغَةُ فِي التَّرْتِيلِ وَالتَّفْهِيمِ" ([2]).

وكان صلى الله عليه وسلم يعيد الكلام ثلاثاً ليَفهم عنه من يسمعه، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعِيدُ الكَلِمَةَ ثَلَاثًا لِتُعْقَلَ عَنْهُ" ([3])، وكان صلى الله عليه وسلم لا يعجل بكلامه، بل كان يتأنى في كلامه، فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، قَالُ: "كَانَ فِي كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْتِيلٌ، أَوْ تَرْسِيلٌ" ([4])، قال العظيم آبادي : " تَرْتِيلٌ: أَيْ تَأَنٍّ وَتَمَهُّلٍ مَعَ تَبْيِينِ الْحُرُوفِ وَالْحَرَكَاتِ بِحَيْثُ يَتَمَكَّنُ السَّامِعُ مِنْ عَدِّهَا، (أَوْ تَرْسِيلٌ) شَكٌّ مِنَ الرَّاوِي، وَمَعْنَى التَّرْتِيلِ وَالتَّرْسِيلِ وَاحِدٌ وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ بِالْوَاوِ فَهُوَ عَطْفُ تَفْسِيرٍ ([5]). لكنّ الصحيح أنه بينهما فرق :

لقد جاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برسالة شاملة كاملة تتناول كل جوانب الحياة، الفكرية، والسلوكية، والأخلاقية، وغيرها من الجوانب، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعبِّر عن موضوعات الرسالة بأسلوبٍ واضحٍ مُفهمٍ وهذا من دلائل صدق نبوته: أن يعبر عن موضوعاتٍ دقيقة – وكثيرٌ منها جديد على ثقافة العالم – بلغةٍ قوية وأسلوب واضح.

---

1 : البخاري، كتاب المناقب، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (4 / 190 / رقم : 3567).

2 : ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (المتوفى: 852هـ)، " فتح الباري شرح صحيح البخاري"، دار المعرفة – بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (6 / 578).

3 : الترمذي، "سنن الترمذي"، أبواب المناقب، بَابٌ فِي كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (5 / 600 / رقم : 3640). وقال الترمذي : (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ). وقال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (2 / 892 / رقم : 4990).

4 : أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، "سنن أبي داود"، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، كتاب الأدب، بَابُ الْهَدْيِ فِي الْكَلَامِ، (4 / 260 / رقم : 4838). وقال الألباني : (حسن) ، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (2 / 873 / رقم : 4823).

5 : العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر،، (المتوفى: 1329هـ)، " عون المعبود شرح سنن أبي داود"، دار دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، 1415 هـ، (13 / 126).

المطلب الخامس

جمال البدء

أهل البلاغة والفصاحة يحرصون على أن يبدؤوا كلامهم بما يشد انتباه السامع ويهيئه لفهم الخطاب واستيعاب المعنى، ولقد أوتيَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوتي فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه. وقد تنوعت أساليبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بداية كلامه لتحقيق الغرض المطلوب وهو شدُّ انتباه السامع وتهيئته لاستيعاب المعاني وفهم الخطاب، ونورد على ذلك أمثلة للتنويه لا للحصر، من ذلك :

1- **النداء** : ومن أهم مقاصد النداء تنبيه الغافل واستدعاء عقله وفهمه لاستقبال ما يُوجّه إليه من خطاب ([1]). وقد استعمل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النداء في كثير من خطاباته فمن ذلك ما رواه ابْنَ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ" ([2]).

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ"، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ" ([3]).

2- **القسم:** إن من عادة العرب في كلامهم إذا أرادوا أن يؤكدوا أمراً أن يُقسموا، والقسم من أساليب القرآن من أجل إتمام الحجة وتأكيدها "؛ وذلك أن الحكم يُفصَل باثنين : إما بالشهادة، وإما بالقسم، فذكر الله تعالى في كتابه النوعين، حتى لا يبقى لهم حجة، فقال :

---

1 : انظر في بيان أغراض النداء : عباس، فضل حسن، "البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني"، دار الفرقان – عمان، ط2، 1409هـ – 1989م، (ص :162-167).

2 : مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الِاسْتِغْفَارِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهُ، (4 / 2075 / رقم : 2702).

3 : متفق عليه : البخاري، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابٌ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ أَوَّلَ النَّهَارِ أَخَّرَ القِتَالَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ، (4 / 51 / رقم : 2965). ومسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ كَرَاهَةِ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَالْأَمْرِ بِالصَّبْرِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، (3 / 1362 / رقم 1742).

(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران : 18]، وقال : (وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ) [يونس : 53].

وعن بعض الأعراب أنه لمّا سمع قوله تعالى : (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ) [الذاريات : 22-23] صرخ وقال : من ذا الذي أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين" ([1])، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرا ما يبدأ كلامه بالقسم بصيغٍ متعددة فمن ذلك:

- قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً"([2]).

- وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا.." ([3]).

- وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا " ([4]).

3- **القصر** : وهو في اصطلاح علماء البلاغة بمعنى: "تخصيص شيءٍ بشيءٍ بعبارة كلاميّةٍ تدلُّ عليه" ([5])، "ومن أدواته : النفي والاستثناء - وكلمتا "إنَّما" و"أَنَّما" " ([6]). "وهو أحد الأساليب البلاغية التي يقتضيها المقام، ويدعو إليها حال المخاطب" ([7]). ومن ذلك ما رواه أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ:

---

1 : انظر : الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، "الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، تح : أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت، ط1، 1422هـ / 2002م، (115/9). السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، " الإتقان في علوم القرآن "، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974 م، (4 / 53).

2 : البخاري، كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ اسْتِغْفَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، (8 / 67 / رقم 6307)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

3 : البخاري، كتاب البيوع، باب قتل الخنزير، (3 / 82 / رقم : 2222) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

4 : البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغدر، (4 / 175 / رقم : 3475).

5 : حبنكة، عبد الرحمن بن حسن الدمشقي الميداني (المتوفى: 1425هـ)، "البلاغة العربية"، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416 هـ - 1996 م، (1 / 523).

6 : المرجع السابق، (1 / 531).

7 : عباس، "البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني "، (ص : 357).

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،قَالَ: " إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ " ([1]). وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا" ([2]).

4- **التوكيد بـ (إنَّ)** : افتتح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيراً من كلامه بـ (إنّ) التي تفيد التوكيد، " والغرضُ من توكيد المتكلّم كلامَهُ، إعْلاَمُ المخاطَبِ بأَنّه يقول كلامه جازماً، قاصداً لما يَدُلُّ عليه كلامُهُ، مُتَثَبِّتاً مِنْه، لا يقولُه عن تَوَهُّمٍ أَوْ تَزْتَزَةٍ أوْ تَضْلِيلٍ أو اختراعٍ أو نحو ذلك " ([3]). فمن ذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ" ([4]). وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ المُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ" ([5]).

والظاهر أنّ أكثر ما كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبتدئ كلامه به من أساليب التوكيد هو التوكيد بـ (إنَّ)، وأنه كان يؤكد كلامه بغيرها في بعض كلامه، مثل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ" ([6]). وهذه اللام تسمى لام الابتداء، "وهي التي تقع في صدر الجملة، وتُفِيد توكيد مضمون الجملة" ([7])، كما كان يؤكد كلامه في بعض الأحيان بالقسم، وأحياناً بـ (إنما) التي تفيد القصر، وغير ذلك من أساليب التوكيد.

---

1 : البخاري، كِتَابُ الصَّلاَةِ، بَابُ الصَّلاَةِ فِي السُّطُوحِ وَالمِنْبَرِ وَالخَشَبِ، (1 / 85 / رقم : 378).

2 : الترمذي، "السنن"، (4 / 588 / رقم : 2377)، قال الترمذي : (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ). وقال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (2 / 989 / رقم : 5668)، عن عبد الله بن مسعود.

3 : حبنكة، "البلاغة العربية "، (1 / 186).

4 : مسلم، كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ، بَابُ الْأَمْرِ بِإِحْسَانِ الذَّبْحِ وَالْقَتْلِ، وَتَحْدِيدِ الشَّفْرَةِ، (3 / 1548 / رقم رقم : 1955)، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه.

5 : البخاري، كِتَابُ النِّكَاحِ، باب الغيرة، (7 / 35 / رقم :5223)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

6 : البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، (8 / 68 / رقم : 6308)، عن عبد الله بن مسعود.

7 : حبنكة، "البلاغة العربية"، (1 / 188).

5- اسم الشرط (مَنْ) : " يدخل الشرط على الجملة لربط الحكم فيها بحكم آخرَ في جملة أخرى ربطاً شرطيًّاً، فتكون الجملتان بمثابة جملة واحدة، وتُسمّى عندئذٍ جملة شرطيّة" ([1]).

وافتتاح الكلام بالشرط يهيئ السامع ويشد انتباهه ؛ فإنه إذا سمع فعل الشرط انشدّ ذهنه لسماع الجواب.

وقد افتتح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جملةً من خطاباته بأسلوب الشرط، وكان أكثر ما يستخدم اسم الشرط (مَنْ)، كما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ" ([2]). وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ " ([3])، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " ([4]).

.([4])

6- **العدد** : الملاحَظ من كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه إذا كان متضمناً لجملة من الأمور المتجانسة أو المتشابهة، أو ذات العلاقة ببعضها، أنه كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحصرُها بعددٍ يذكره في صدر الكلام ثم يُتبعه بتعداده. ولا شك أنَّ المخاطب إذا سمع العدد انشدَّ ذهنه لسماع المعدود، وإذا ذكر المتكلم بعض المعدود، بقي ذهن السامع مشدوداً لسماع بقيته.ومن فوائد ذكر العدد : حصر المعدود، والذي يُستدل به على أنّ المتكلم قد أحاط علماً بما سيقول.

ومن أمثلة ذلك : ما رواه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ " ([5]).

---

1 : حبنكة، "البلاغة العربية"، (1 / 471).

2 : مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الِاسْتِغْفَارِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهُ، (4 / 2076 /رقم : 2703)، عن ابي هريرة.

3 : البخاري، كتاب الصلح، بَابُ إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ، (3 / 184 / رقم : 2697).

4 : البخاري، كتاب الجنائز، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ النِّيَاحَةِ عَلَى المَيِّتِ، (2 / 80 / رقم : 1291)، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

5 : متفق عليه : البخاري،كتاب الإيمان، بَابُ حَلاَوَةِ الإِيمَانِ، (1 / 12 / رقم :16). مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ خِصَالٍ خِصَالٍ مَنِ اتَّصفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، (1 / 66 / رقم : 43).

وما روته عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ ([1])، وَنَتْفُ الْإِبِطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ " ([2]).

وما رواه أَبِو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ " ([3]).

7- **الخبر باستعمال الفعل الماضي** : وذلك إذا كان كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصة أو خبراً عن حدثٍ مضى، ومن أمثلة ذلك :

- قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ.. إلى آخر القصة " ([4]).

- وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ" ([5]).- وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "غَزَا نَبِيٌّ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لاَ يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ ([6]) امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا؟ وَلَمَّا يَبْنِ

---

[1] : هِيَ العُقَد الَّتِي فِي ظُهُورِ الْأَصَابِعِ يَجْتمع فِيهَا الوَسَخ. [ابن الأثير، "النهاية"، (1 / 113)].

2 : مسلم، كتاب الطهارة، بَابُ خِصَالِ الْفِطْرَةِ، (1 / 223 /رقم : 261).

3 : رواه الشيخان : البخاري،كتاب الأذان، بابُ مَنْ جَلَسَ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ وَفَضْلِ المَسَاجِدِ، (1 / 133 / رقم : 660)، ومسلم،كتاب الزكاة، بَابُ فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ، (2 / 715/ رقم : 1031)، واللفظ للبخاري.

4 : مسلم،كتاب الزهد والرقائق، بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ، (4 / 2299 / رقم : 3005)، عن صهيب رضي الله عنه.

5 : البخاري،كتاب الإكراه، بَابُ مَنِ اخْتَارَ الضَّرْبَ وَالقَتْلَ وَالهَوَانَ عَلَى الكُفْرِ، (9 / 20 / رقم : 6943)، عن خباب بن الأرت رضي الله عنه.

6 : البُضْع يطْلق عَلَى عَقْدِ النِّكَاحِ وَالْجِمَاعِ مَعاً، وَعَلَى الفَرْج. [ابن الأثير، "النهاية"، (1 / 133)].

يَبْنِ بِهَا، وَلاَ أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلاَ أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ ([1]) وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلاَدَهَا... الحديث " ([2]).

8- **المثل** : إنّ الإتيان بالكلام على صورة المثل من ضروب البلاغة، ولا أدلَّ على ذلك من إكثار القرآن الكريم منه، وقد قال الله تعالى : (وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ) [العنكبوت : 43]، ومن فوائد ضرب المثل:

أ) توضيح المعنى: قال الزمخشري : " لأنّ الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار، حتى تبرزها، وتكشف عنها، وتصوّرها للأفهام" ([3]).

ب) قوة التأثير في نفس المُخاطَب، قال الرازي : " لأن التشبيه يؤثر في النفس تأثيرا مثل تأثير الدليل" ([4]).

وقد أكثر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ضرب الأمثال في كلامه، ومن أمثلة ذلك :

- قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ" ([5]).

- وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي

---

1 :الْخَلِفَة-بِفَتْحِ الْخَاءِ وَكَسْرِ اللَّامِ-:الْحَامِلُ مِنَ النُّوق، وتُجْمع عَلَى خَلِفَات وخَلَائِف.[ابن الأثير،"النهاية"،(68/2)].

2 : رواه الشخان : البخاري،كتاب فرض الخمس، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُحِلَّتْ لَكُمُ الغَنَائِمُ، (4 / 86 / رقم : 3124)، ومسلم،كتاب الجهاد والسير، بَابُ تَحْلِيلِ الْغَنَائِمِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ خَاصَّةً، (3 / 1366 / رقم : 1747)، واللفظ للبخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

3 : الزمخشري، "الكشاف"، (3 / 455).

4 : الرازي، "مفاتيح الغيب" ، (25 / 58).

5 : متفق عليه : البخاري،كتاب العلم، بَابُ فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ، (1/ 27 / رقم : 79)، مسلم،كتاب الفضائل، بَابُ بَيَانِ مَثَلِ مَثَلِ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، (4 / 1787/ رقم : 2282)، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ " ([1]).

– وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " ([2]).

1 : متفق عليه : البخاري، كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام، (7 / 77 / رقم : 5427). ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضيلة حافظ القرآن، (1 / 549 / رقم : 797)، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

2 :مسلم، كتاب البر والصلة والآداب،بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ،(4/1999/رقم:2586)،عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

المطلب السادس

حسن الختم

لقد أوتيَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فواتح الكلم وخواتمه كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أُوتِيتُ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ، وَجَوَامِعَهُ، وَخَوَاتِمَهُ" ([1])، وكان من حسن ختمه للكلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يختم الكلام بما يناسب أوله، وهذا ضرب من ضروب ترابط الكلام، والتحام أجزائه، فلا تجد تنافراً بين أوله وآخره ([2])، ومن الصحابة الذين لاحظوا حسن الختم الصحابي الجليل عبد الله ابن مسعود حيث يقول : " إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُلِّمَ فَوَاتِحَ الْخَيْرِ، وَجَوَامِعَهُ، وَخَوَاتِمَهُ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا قَعَدْتُمْ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، فَقُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ لِيَتَخَيَّرْ أَحَدُكُمْ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ، فَلْيَدْعُ بِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ " ([3]).

وكان من حسن ختم كلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان ينهي كلامه مبيِّناً مِلاك الأمر وضابطه في الموضوع الذي يتكلم فيه، فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : "إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ

---

1 : أحمد، "المسند" (11 / 564 / رقم : 6982). وقال شعيب الأرنؤوط : (إسناده صحيح على شرط الشيخين). وقال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير وزياداته"، (1 / 241 / رقم : 1058).

2 : انظر : المراغي، أحمد بن مصطفى (المتوفى: 1371هـ)، " علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع"، (ص 323-324).

3 : أحمد، "المسند"، (7/ 227 / رقم : 4160)، وابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، " سنن ابن ماجه"، تح : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، (1 / 609 / رقم : 1892)، والنسائي، "السنن"، كتاب التطبيق، كيف التَّشهد الأول ؟، (2 / 238 / رقم : 1163)، وابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، " صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان"، تح : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط2، 1414 – 1993، (5 / 181 / رقم : 1951) . قال المحقق : (إسناده صحيح على شرط الشيخين). وقال الألباني : (وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم)، "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها"، (3 / 473).

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ" ([1])، فقد ختم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلامه مبيِّناً أن القلب هو الأساس في هذا الأمر الخطير وهو : الابتعاد عن الحرام واجتناب الشبهات، قال العيني : " لِأَنَّهُ عماد الْأَمر وملاكه، وَبِه قوامه ونظامه، وَعَلِيهِ تبنى فروعه، وَبِه تتمّ أُصُوله " ([2]).

ومن أمثلة ذلك أيضاً : عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ [المؤمنون: 51] وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة: 172]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ " ([3])، فقد ختم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلامه بذكر صورة رجلٍ مسافرٍ يدعو الله على حالٍ وهيئةٍ تستوجب إجابة دعائه، ولكنّه لا يُستجاب له، فقد اجتمع في هذه الصورة المؤثرة ذكر آداب الدعاء، وأسباب استجابته، وموانع الاستجابة، وهذا من أروع الكلام وجوامعه، قال ابن رجب : " وَقَوْلُهُ: (ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!). هَذَا الْكَلَامُ أَشَارَ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى آدَابِ الدُّعَاءِ، وَإِلَى الْأَسْبَابِ الَّتِي تَقْتَضِي إِجَابَتَهُ، وَإِلَى مَا يَمْنَعُ مِنْ إِجَابَتِهِ، فَذَكَرَ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَقْتَضِي إِجَابَةَ الدُّعَاءِ أَرْبَعَةً: أَحَدُهَا: إِطَالَةُ السَّفَرِ...، وَالثَّانِي: حُصُولُ التَّبَذُّلِ فِي اللِّبَاسِ وَالْهَيْئَةِ بِالشَّعَثِ وَالِاغْبِرَارِ...، الثَّالِثُ: مَدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ...، وَالرَّابِعُ: الْإِلْحَاحُ عَلَى اللَّهِ بِتَكْرِيرِ ذِكْرِ رُبُوبِيَّتِهِ...، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ) مَعْنَاهُ: كَيْفَ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ فَهُوَ اسْتِفْهَامٌ وَقَعَ عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ وَالِاسْتِبْعَادِ، وَلَيْسَ صَرِيحًا فِي اسْتِحَالَةِ الِاسْتِجَابَةِ، وَمَنْعِهَا بِالْكُلِّيَّةِ، فَيُؤْخَذُ مِنْ هَذَا أَنَّ التَّوَسُّعَ فِي الْحَرَامِ وَالتَّغَذِّيَ

---

1 : مسلم، كتاب المساقاة، بَابُ أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، (3 / 1219/ رقم : 1599).

2 : العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد (المتوفى: 855هـ)، " عمدة القاري شرح صحيح البخاري "، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (1 / 299).

3 : مسلم، كتاب الزكاة، بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا، (2 / 703 / رقم 1015).

بِهِ مِنْ جُمْلَةِ مَوَانِعِ الْإِجَابَةِ" ([1]). وآخر جملة في الحديث كانت استفهامية، والمراد منها : التعجب والاستبعاد، ولا يخْفَ أن من أجمل ما يُختم به الكلام هو الاستفهام.

ومن أمثله ذلك : عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآَنِ – أَوْ تَمْلَأُ – مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا" ([2])، فبعد أن بين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفعال الخير، وما لها من آثار طيبة، وما يترتب عليها من أجر، ختم كلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله : (كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا) أي " كل إِنْسَان يسْعَى بِنَفسِهِ فَمنهمْ من يَبِيعهَا لله بِطَاعَتِهِ فيعتقها من الْعَذَاب، وَمِنْهُم من يَبِيعهَا للشَّيْطَان والهوى باتباعهما فيوبقها أَي يهلكها" ([3])، فقد بيّن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الناس في هذه الدنيا فريقان، الأول : من يسعى بفكاك رقبته من النار بعمل الصالحات، والثاني : من يسعى في هلاك نفسه بعمل المعاصي والسيئات، ووجه حسن الختم بهذا الكلام والله أعلم : أنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن ذكر أصنافاً من الأعمال الصالحة ورغب فيها بيّن أنّ الدنيا للإنسان دار عمل وكدح وتعب، كافراً كان أم مؤمناً، عاصياً كان أم طائعاً، لكنّ عمل المؤمن الطائع ينفعه في الدنيا، ويعتقه من النار في الآخرة، وأمّا الكافر العاصي، فينفعه عمله في الدنيا، ويكون سبباً في هلاكه في الآخرة، وقد قال الله تعالى : (**وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ**) [النساء : 39].

ومن أمثلة حسن الختم في كلامه صلى الله عليه وسلم : حديث وصايا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ بن جبل، قَالَ رضي الله عنه: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: "لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ"، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ:

---

1 : انظر : ابن رجب، "جامع العلوم والحكم"، (1 / 269–275).

2 : مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الطهور، (1 / 203/ رقم : 223).

3 : السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)،" الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج"، تح : أبو اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية – الخبر، ط1، 1416 هـ – 1996 م، (12 / 2).

الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ " قَالَ: ثُمَّ تَلَا (**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ**) [السجدة: 16]، حَتَّى بَلَغَ (**يَعْمَلُونَ**) [السجدة: 17]، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ"؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ"، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ"؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: "كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا"، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ" ([1])، فقد لخص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ الموضوع كله، فذكر له ضابطاً يضبط له أموره كلها، بأن يكف عليه لسانه ، قال ابن رجب : " هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كَفَّ اللِّسَانِ وَضَبْطَهُ وَحَبْسَهُ هُوَ أَصْلُ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَأَنَّ مَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ، فَقَدْ مَلَكَ أَمْرَهُ وَأَحْكَمَهُ وَضَبَطَهُ " ([2])، وهذا من حسن ربط آخر الكلام بأوله.

1 : الترمذي، (5 / 11-12 / رقم : 2616) ، قال الترمذي : (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ).

2 : ابن رجب، "جامع العلوم والحكم"، (2 / 146).

المبحث الثاني

أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب

لقد اتسم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه حسن الأسلوب، فقد كان صلى الله عليه وسلم يراعي أحوال الناس كلٌّ على حدة في خطابهم، وكان صلى الله عليه وسلم ينتقي الكلام انتقاءً، ولم يكن يتكلفه، وكان ليِّناً في كلامه، ولم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا مُتفحِّشاً، ومن فقه المتحدث أن يراعيَ أسلوب عرضه للخطاب، والمتأمل لسنة النبي صلى الله عليه وسلم يرى أنه كان القدوة في ذلك، وإليك بعض الأساليب التي كان يراعيها صلى الله عليه وسلم في خطابه مع الناس، وجاءت على أربعة مطالب :

المطلب الأول

مراعاة أحوال المخاطَبين

كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعوته وفي تعليمه ومواعظه يراعي أحوال المخاطبين، مستجيباً لأمر الله تعالى: (ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾) [النحل : 125].

إنّ الناس مستويات ومراتب : فمنهم من تغلب عليه العاطفة، فيستجيب للموعظة، ومنهم من تغلب عليه النزعة العقلية، فيناسبه الطرح العقلاني، ومنهم من يتأثر بالترغيب، ومنهم من يناسبه الترهيب، لذلك لابد من مراعاة اختلاف الناس في مستوياتهم، واستعداداتهم النفسية والعقلية، كما ترشد إليه الآية الكريمة، فلابد للداعية أن يراعي التنويع في خطابه، فما يُقال للمسلم حديثِ الإسلام، يختلف عما يُقال للمسلم عريق الإسلام، وما يُقال للنساء يختلف عما يقال للرجال، وما يقال للحكام يختلف عما يقال للمحكومين، وما يقال للجاحد أو المعاند يختلف عما يقال للمسلم العاصي أو الجاهل، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: "أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ" ([1])، وقال علي : " حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ

1 : مسلم، مقدمة الكتاب، (1 / 6).

اللَّهُ وَرَسُولُهُ" ([1]) ، فالداعية إلى الله تعالى كالطبيب يجب أن يحسن تشخيص الداء، ليحسن وصف الدواء.

لقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يراعي في كلامه ترتيب الأولويات، والبدء بالأهم على المهم، وهذا واضح في وصيته لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى اليَمَنِ: "إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ" ([2]).

وقد علَّم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه والدعاة من بعدهم كيفية التدرج في الدعوة مع القوم حديثي العهد بالإسلام، من ذلك ما قاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة : "يَا عَائِشَةُ، لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ، فَهُدِمَ، فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ، وَأَلْزَقْتُهُ بِالأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ، بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا، فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ " ([3]). وفي رواية : " لَوْلاَ حَدَاثَةُ قَوْمِكِ بِالكُفْرِ لَنَقَضْتُ.." ([4])، فيتبين من ذلك مراعاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفقه الموازنة بين المصالح والمفاسد.

وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يظهر الحفاوة بالوافدين والزوار، ويعطيهم اهتماماً خاصاً، فعن أَبي رِفَاعَةَ رضي الله عنه قال: "انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَخْطُبُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ، جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا، قَالَ: فَقَعَدَ عَلَيْهِ

---

1 : البخاري، كتاب العلم، بَابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا، (1 / 37 / رقم : 127).

2 : البخاري، كتاب المغازي، بَابُ بَعْثِ أَبِي مُوسَى، وَمُعَاذٍ إِلَى اليَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الوَدَاعِ، (5 / 162 / رقم : 4347).

3 : البخاري، كتاب الحج، بَابُ فَضْلِ مَكَّةَ وَبُنْيَانِهَا، (2 / 147 / رقم : 1586).

4 : البخاري، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، (2/ 146 / رقم : 1585).

رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا " ([1]) ، قال النووي : " فيه استحباب تلطف السائل في عبارته، وسؤاله العالم، وفيه تواضع النبي صلى الله عليه وسلم ورفقه بالمسلمين، وشفقته عليهم، وخفض جناحه لهم، وفيه المبادرة إلى جواب المستفتي، وتقديم أهم الأمور فأهمها" ([2]).

لقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفتح المجال للوافدين من خارج المدينة ليسألوه ويحاوروه، فيجيبهم ويحاورهم، مراعاة لأحوالهم، ومقاماتهم في الفهم والعلم، وهذا لم يكن متاحاً لأهل المدينة، فقد نهُوا عن السؤال، قال أنس بن مالك رضي الله عنه : نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ، فَيَسْأَلَهُ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَكَ، قَالَ: "صَدَقَ"، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: "اللهُ"، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قَالَ: "اللهُ"، قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟ قَالَ: "اللهُ"، قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ، وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، آللَّهُ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا، وَلَيْلَتِنَا، قَالَ: "صَدَقَ"، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: "نَعَمْ"، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا، قَالَ: "صَدَقَ"، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: "نَعَمْ"، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا، قَالَ: "صَدَقَ"، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: "نَعَمْ"، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: "صَدَقَ"، قَالَ: ثُمَّ وَلَّى، قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ" ([3]).

ومن الواضح أنّ نهيَ الصحابة في المدينة عن السؤال دالٌ على كمال علمهم وفهمهم، أمّا الوافدون فليسوا كذلك، بل هم بحاجة إلى السؤال عن دين الإسلام وشرائعه، وليعلموا قومهم إذا رجعوا إليهم، وهذا من مراعاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأحوال الناس ومنازلهم.

---

1 : مسلم،كتاب الجمعة، بَابُ حَدِيثِ التَّعْلِيمِ فِي الْخُطْبَةِ، (2 / 597 / رقم : 876).

2 : النووي، " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج "، (6 / 165).

3 : مسلم، كتاب الإيمان، بَابٌ فِي بَيَانِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ، (1 / 41 / رقم : 12).

ومن ذلك خطابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للزعماء والملوك، فكان يخاطبهم خطاباً ليِّناً، كما وجّه الله سبحانه وتعالى موسى وهارون عندما بعثهما إلى فرعون فقال : (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ) [طه : 44]، ومن أبرز الأمثلة على ذلك كتابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هرقل ملك الروم، كما ورد نصّه في "صحيح البخاري" من رواية أبي سفيان : " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ " وَ (يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ) [آل عمران : 64]، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ، وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الكِتَابِ، كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ..." ([1])، الناظر إلى هذه الرسالة يجد أنّ النبي لم يكن يبدأ رسائله بالتهديد والوعيد، بل كان فيها نوع من لين الخطاب، قال النووي : " وَلَمْ يَقُلْ إِلَى هِرَقْلَ فَقَطْ بَلْ أَتَى بِنَوْعٍ مِنَ الْمُلَاطَفَةِ فَقَالَ "عَظِيمِ الرُّومِ" أَيِ الَّذِي يُعَظِّمُونَهُ وَيُقَدِّمُونَهُ " ([2]).

فقد بدأ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسالته بما يحرِّك المشاعر، ويؤثر في القلوب، ويهيِّئ المخاطب للقبول والاستجابة، فقد بدأها بالبسملة، وذلك الاسمين الكريمين الرحمن الرحيم، بعد لفظ الجلالة، وخاطبه بعظيم الروم، وأتى بالآية الكريمة، والتي لا يسد مسدَّها آية اخرى في هذا المقام، والتي تبدأ بـ (يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ)، وهذا الخطاب لأهل الكتاب مشعرٌ بتمييزهم على غيرهم، كما تخاطب قوما فتقول : يا أهل العلم.

ومما سبق يتبين حرص الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مراعاة أحوال المخاطبين، على اختلاف مراتبهم ودياناتهم.

---

1 : البخاري، كتاب الإيمان، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، (1 / 8 / رقم : 7).

2 : انظر : النووي ، " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج "، (12 / 107-108).

المطلب الثاني

انتقاء طيِّب الكلام وليّنه

لقد كان كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الكلام وأطيبه، مستجيبا بذلك لأمر ربه سبحانه : (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) [الإسراء : 53]، فكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقتدي بالقرآن، ويتخذه إماماً له، كما وصفته بذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ " ([1]). قال ابن القيم: "وَأَصْلُ هَذَا الْبَابِ: قَوْله تَعَالَى: (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ) [الإسراء: 53] فَالشَّيْطَانُ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إذَا كَلَّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِغَيْرِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَرُبَّ حَرْبٍ وَقُودُهَا جُثَثٌ وَهَامٌ، أَهَاجَهَا الْقَبِيحُ مِنْ الْكَلَامِ" ([2]).

وفيما يلي بعض توجيهاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا المجال منها :

نهيُ المسلم عن قول : خَبُثَتْ نفسي، واستبدالها بقول : لَقِسَتْ نَفْسِي :

فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ لَقِسَتْ ([3]) نَفْسِي" ([4]). قال ابن القيم : " نَهَى أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ، لَقِسَتْ نَفْسِي، سَدًّا لِذَرِيعَةِ اعْتِيَادِ اللِّسَانِ لِلْكَلَامِ الْفَاحِشِ، وَسَدًّا لِذَرِيعَةِ اتِّصَافِ النَّفْسِ بِمَعْنَى هَذَا اللَّفْظِ؛ فَإِنَّ الْأَلْفَاظَ تَتَقَاضَى مَعَانِيهَا وَتَطْلُبُهَا بِالْمُشَاكَلَةِ وَالْمُنَاسَبَةِ الَّتِي بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، وَلِهَذَا قَلَّ مَنْ تَجِدُهُ يَعْتَادُ لَفْظًا إلَّا وَمَعْنَاهُ غَالِبٌ عَلَيْهِ، فَسَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَرِيعَةَ الْخُبْثِ لَفْظًا وَمَعْنًى" ([5])، وقال أيضا : " فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَفْظَ " الْخُبْثِ " لِبَشَاعَتِهِ، وَأَرْشَدَهُمْ إلَى الْعُدُولِ إلَى لَفْظٍ هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَاهُ تَعْلِيمًا

---

1 : أحمد بن حنبل، "المسند"، (42 / 183 /رقم : 25302). قال المحقق شعيب الأرنؤوط : (إسناده صحيح على شرط الشيخين).

2 : ابن القيم، "الطرق الحكمية "، مكتبة دار البيان ، (ص : 41).

3 : واللَّقْس: هو الْغَثَيَان، وَإِنَّمَا كَرِه خَبُثَت هَرَباً مِنْ لفظ الخُبث والخَبيث.[ابن الأثير، "النهاية"، (4 / 264)].

4 : البخاري، كتاب الأدب، باب لا يقل : خبثت نفسي، (8 / 41 / 6179).

5 : ابن القيم، " إعلام الموقعين عن رب العالمين "، تح : محمد عبد السلام إبراهيم ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411هـ – 1991م، (3 / 120).

لِلْأَدَبِ فِي الْمَنْطِقِ، وَإِرْشَادًا إِلَى اسْتِعْمَالِ الْحَسَنِ، وَهَجْرِ الْقَبِيحِ مِنْ الْأَقْوَالِ، كَمَا أَرْشَدَهُمْ إِلَى ذَلِكَ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْأَفْعَالِ" ([1]).

انتقاء الأسماء الحسنة :

عن عَبْدِ الحَمِيدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ شَيْبَةَ، قَالَ: جَلَسْتُ إِلَى سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، فَحَدَّثَنِي: أَنَّ جَدَّهُ حَزْنًا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "مَا اسْمُكَ"؟ قَالَ: اسْمِي حَزْنٌ، قَالَ: "بَلْ أَنْتَ سَهْلٌ" قَالَ: مَا أَنَا بِمُغَيِّرٍ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي، قَالَ ابْنُ المُسَيِّبِ: "فَمَا زَالَتْ فِينَا الحُزُونَةُ بَعْدُ" ([2]). وقد غيّر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جملة من الأسماء التي تحتمل معنى سيئاً، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: "وَغَيَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْمَ الْعَاصِ، وَعَزِيزٍ، وَعَتَلَةَ، وَشَيْطَانٍ، وَالْحَكَمِ، وَغُرَابٍ، وَحُبَابٍ، وَشِهَابٍ، فَسَمَّاهُ هِشَامًا، وَسَمَّى حَرْبًا سَلْمًا، وَسَمَّى الْمُضْطَجِعَ الْمُنْبَعِثَ، وَأَرْضًا تُسَمَّى عَفِرَةَ سَمَّاهَا خَضِرَةَ، وَشَعْبَ الضَّلَالَةِ، سَمَّاهُ شِعْبَ الْهُدَى، وَبَنُو الزِّنْيَةِ، سَمَّاهُمْ بَنِي الرِّشْدَةِ، وَسَمَّى بَنِي مُغْوِيَةَ، بَنِي رِشْدَةَ، قال أبو داود : تَرَكْتُ أَسَانِيدَهَا لِلِاخْتِصَارِ" ([3]).

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند المعتبة : تَرِبَ جَبِينُهُ :

وهذا جانب من أدبه صلى الله عليه وسلم عند العِتاب، هذا المقام الذي يُغلظ فيه الناس، ويقسو بعضهم على بعض، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَّابًا، وَلاَ فَحَّاشًا، وَلاَ لَعَّانًا، كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ المَعْتَبَةِ: "مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ" ([4])، والمعنى الحرفي لهذه الكلمة الدعاء على الشخص بالقتل ؛ لأنَّ القتيل يقع على التراب، وليس هذا مقصوداً، بل

---

1 : ابن القيم، "الطرق الحكمية"، (ص : 41).

2 : البخاري، كتاب الأدب، بَابُ تَحْوِيلِ الِاسْمِ إِلَى اسْمٍ أَحْسَنَ مِنْهُ، (8 / 43 / 6193).

3 : أبو داود، "السنن"، كتاب الأدب، بَابٌ فِي تَغْيِيرِ الِاسْمِ الْقَبِيحِ، (4 / 289 / رقم : 4956).

4 : البخاري، كتاب الأدب، بَابُ "لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا»، (8 / 13 / رقم : 6031).

تستعمل هذه الكلمة لأغراض التعجب، أو الزجر، أو التهويل، أو إظهار الإعجاب، بحسب اختلاف المقام ([1]).

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقادم : مرحباً :

كان صلى الله عليه وسلم من هديه أن يقول للقادم: مرحباً، وهي كلمة جميلة في معناها وفي مبناها، فلها وقعٌ لذيذٌ على السمع، قال ابن الأثير : " "مَرْحَباً" أَيْ لَقِيت رُحْباً وسَعَة. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ رَحَّبَ اللَّهُ بِكَ مَرْحَباً " ([2]). وقال ابن حجر: "مرْحَبًا هِيَ كلمة تقال عِنْد إِرَادَة المبرَّة للقادم " ([3]).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ القَيْسِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَرْحَبًا بِالوَفْدِ، الَّذِينَ جَاءُوا غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى" فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا حَيٌّ مِنْ رَبِيعَةَ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مُضَرُ، وَإِنَّا لاَ نَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ، وَنَدْعُو بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، فَقَالَ: " أَرْبَعٌ وَأَرْبَعٌ: أَقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَآتُوا الزَّكَاةَ، وَصُومُوا رَمَضَانَ، وَأَعْطُوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ. وَلاَ تَشْرَبُوا فِي الدُّبَّاءِ ([4]) وَالحَنْتَمِ ([5]) وَالنَّقِيرِ([6]) وَالمُزَفَّتِ ([7]) " ([8]).

فنلحظ في كلام النبي صلى الله عليه وسلم جميل الخطاب وانتقاء الألفاظ، فقد بدأهم بقوله : (مَرْحَبًا بِالوَفْدِ، الَّذِينَ جَاءُوا غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى)، وانظر إلى قوله : (غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى) ففيه خطابٌ للعواطف، وإثارة للمشاعر، وإشعار بالحبِّ والتقدير، وهذا من إكرام الضيف؛ فإنّ إكرام الضيف نوعان ماديٌّ ومعنويٌّ.

---

1 : قال ابن حجر : " ترب جَبينه أَي قتل ؛ لِأَن الْقَتِيل يَقع على وَجهه ليترَّب، وَظَاهره الدُّعَاء عَلَيْهِ بذلك، وَلَا يقْصد ذَلِك، وَكَذَا قَوْله: تربت يداك أَي افْتَقَرت فامتلأت تُرَابا، وَقيل المُرَاد: ضعف عقلك بجهلك بِهَذَا، وَقيل: افْتَقَرت من الْعلم، وَقيل مَعْنَاهُ: اسْتَغْنَيْت، يُقَال: هِيَ لُغَة القبط استعملها الْعَرَب واستبعد. وَالرَّاجِح أَنه شَيْء يدعم بِهِ الْكَلَام تَارَة للتعجب وَتارَة للزجر أَو التهويل أَو الْإِعْجَاب". ابن حجر، "فتح الباري"، (1 / 92).

2 : ابن الأثير، "النهاية"، (2 / 207).

3 : ابن حجر، "فتح الباري"، (1 / 122).

4 : الدُّبَّاءُ: القَرْعُ، واحدها دُبَّاءَةٌ، كانوا ينْتبذُون فِيهَا فتُسرع الشّدّةُ فِي الشَّرَابِ. [ابن الأثير، النهاية، (2 / 96)].

5 : الحنتم : هي جِرَار مدْهُونة خُضْرٌ كَانَتْ تُحْمَل الخمْر فِيهَا إِلَى الْمَدِينَةِ. [ابن الأثير، النهاية، (1 / 448)].

6 : النَّقِيرُ: أصلُ النَّخْلة يُنْقَر وسَطه ثُمَّ يُنْبَذُ فِيهِ التَّمر، ويُلْقَى عَلَيْهِ الْمَاءُ لِيصيرَ نَبيذاً مُسْكراً. [ابن الأثير، " النهاية"، (5 / 104)].

7 : هُوَ الإناءٌ الَّذِي طُلِي بِالزِّفْتِ وَهُوَ نوعٌ مِنَ القارِ، ثُمَّ انْتُبِذ فِيهِ. [ابن الأثير، "النهاية"، (2 / 304)].

8 : البخاري، كتاب الأدب، باب قول الرجل مرحبا، (8 / 41 /6176).

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ، لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي، مَا تُخْطِئُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا، فَقَالَ: "مَرْحَبًا بِابْنَتِي" ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ..." ([1]).

وهذا تعليمٌ من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للآباء : إكرامَ البنات، وإظهار الاهتمام بهنَّ، ومراعاة رقّة ودقة إحساسهنَّ ومشاعرهنَّ، فإنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتبع قوله : (مرحبا بابنتي) بأن أجلسها عن يمينه أو عن شماله، فأكرمها قولاً وفعلاً.

قول قدر الله وما شاء فعل، ولا يقول: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا :

لقد علّم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه أن يكون كلامهم منضبطاً بضابط الإيمان غير مخالفٍ له، من ذلك ما رواه أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ" ([2]).

فإنّ قول القائل : لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، قد ينافي في بعض الأحيان الإيمان بالقضاء والقدر والتسليم لأمر الله، ولذا أرشد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلم إلى القول : (قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ) بدلاً من أن يقول : (لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا) ([3]).

---

1 : مسلم، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ فَضَائِلِ فَاطِمَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ عَلَيْهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، (4 / 1904 / رقم 2450).

2 : مسلم، كتاب القدر، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ، (4 / 2052 / رقم : 2664).

3 : قال النووي : " فَالظَّاهِرُ أَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا هُوَ عَنْ إِطْلَاقِ ذَلِكَ فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ فَيَكُونُ نَهْيُ تَنْزِيهٍ لَا تَحْرِيمٍ، فَأَمَّا من قاله تأسفا على ما فات من طاعة الله تعالى، أو ما هو مُتَعَذِّرٌ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَنَحْوِ هَذَا فَلَا بَأْسَ بِهِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ أَكْثَرُ الِاسْتِعْمَالِ الْمَوْجُودِ فِي الْأَحَادِيثِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ"، النووي، "المنهاج شرح صحيح مسلم"، (16 / 216).

لِينُ كلامه صلى الله عليه وسلم :

ولقد كان يغلب على كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أصحابه وأهله طابع اللين، وهذا منسجمٌ مع طبيعته الرحيمة، فلم يكن فظاً ولا غليظاً، ولم يكن شديداً في المعاملة كما وصفه ربه سبحانه وتعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران : 159].

لقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليناً في كلامه مع الأطفال، والنساء، والأعراب الذين يتصفون بالجفاء والغلظة :

فعن أَبَي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا ([1]) مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ" ([2]).

إنّ في هذا الحديث فوائد عدة : منها تعليم الجاهل، واللين مع الأعراب، وهم أهل الجفاء والبداوة والغلظة، والتيسير وعدم التعسير، والتبشير وعدم التنفير.

أمّا الأطفال فله صلى الله عليه وسلم معهم مواقف كثيرة، فقد كان يهتم بهم، ويداعبهم ويلاعبهم قولا وفعلاً، من ذلك : ما رواه أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُخَالِطُنَا، حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: "يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ ([3]) " ([4]).

وفي هذا الحديث من الفوائد ما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تواضعه ولين جانبه، وهذا يفهم من قوله : (ليخالطنا)، وفيه من الرحمة بالأطفال ومخاطبتهم على قدر عقولهم واحترام مشاعرهم واهتماماتهم، فإنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأل هذا الصغير عن عصفوره، مؤانسة له.

---

1 : الذَّنُوبُ: الدَّلْو الْعَظِيمَةُ، وَقِيلَ لَا تُسَمَّى ذَنُوباً إِلَّا إِذَا كَانَ فِيهَا ماءٌ. [ابن الأثير، النهاية، (2 / 171)].

2 : البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : (يسروا ولا تعسروا)، (8 / 30 / 6128).

3 : هُوَ تَصْغِيرُ النُّغَرِ، وَهُوَ طَائِرٌ يُشْبِه العُصْفور، أَحْمَرُ المِنْقار، ويُجمع عَلَى: نِغْرَان. [ابن الأثير، النهاية، (5 / 86)].

4 : البخاري، كتاب الأدب، باب الإنبساط إلى الناس، (8 / 30 / 6129).

أما مداعبته لهم بفعله فقد ورد في ذلك أمثله متعددة منها : مواقفه مع الحسن والحسين، ومنها ما رواه محمود بن الربيع رضي الله عنه قال : " عَقَلْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ " ([1]).

وقد بشر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ألان كلامه للناس رحمة بهم بالجنة، فعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَلَانَ الْكَلَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى وَالنَّاسُ نِيَامٌ " ([2]). وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ " ([3]).

وهذا توجيه من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وترغيب في انتقاء الكلام اللين، الذي يكون سبباً في تأليف القلوب وسلامتها، وزيادة المحبة بين الناس، والتماسك بين المسلمين، وهو من المعاني التي تُرشد إليها الآية : (**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**) [الإسراء : 33].

---

1 : البخاري، كتاب العلم، بَابٌ: مَتَى يَصِحُّ سَمَاعُ الصَّغِيرِ؟، (1 / 26 / رقم : 77).

2 : أحمد، "المسند"، (37 / 539 / رقم : 22905). قال المحقق : إسناده حسن.

3 : أحمد، "المسند"، (7 / 52 –53 / رقم : 3938). قال المحقق شعيب الأرنؤوط : حسن بشواهده وهذا إسناد ضعيف. ورواه الترمذي، "سنن الترمذي"، (4 / 654 / رقم : 2488) بلفظ : (أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ، عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ)، وقال الترمذي : (حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ)، وقال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (1 / 509 / رقم : 2607).

المطلب الثالث

الابتعاد عن الفُحش والفظاظة في الكلام

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة الخلق في كلامه كما قال الله تعالى : (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا) [الأحزاب : 21]، فقد كان كلامه صلى الله عليه وسلم غايةً في الأدب، وكان ينتقي كلامه استجابة لأمر ربه : (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا) [الإسراء : 53]، وقد نهى أصحابه أن يقول أحدهم : (خبثت نفسي)، لقبح هذه الكلمة، والسر في ذلك أنّ الكلام القبيح يتقاضى معانيه من نفس المتكلم، وقد تقدّم قول ابن القيم : " نَهَى أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ، لَقِسَتْ نَفْسِي، سَدًّا لِذَرِيعَةِ اعْتِيَادِ اللِّسَانِ لِلْكَلَامِ الْفَاحِشِ، وَسَدًّا لِذَرِيعَةِ اتِّصَافِ النَّفْسِ بِمَعْنَى هَذَا اللَّفْظِ؛ فَإِنَّ الْأَلْفَاظَ تَتَقَاضَى مَعَانِيهَا وَتَطْلُبُهَا بِالْمُشَاكَلَةِ وَالْمُنَاسَبَةِ الَّتِي بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، وَلِهَذَا قَلَّ مَنْ تَجِدُهُ يَعْتَادُ لَفْظًا إلَّا وَمَعْنَاهُ غَالِبٌ عَلَيْهِ، فَسَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَرِيعَةَ الْخُبْثِ لَفْظًا وَمَعْنًى" ([1])، وقوله أيضا : " فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَفْظَ " الْخُبْثِ " لِبَشَاعَتِهِ، وَأَرْشَدَهُمْ إلَى الْعُدُولِ إلَى لَفْظٍ هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَاهُ تَعْلِيمًا لِلْأَدَبِ فِي الْمَنْطِقِ، وَإِرْشَادًا إلَى اسْتِعْمَالِ الْحَسَنِ، وَهَجْرِ الْقَبِيحِ مِنْ الْأَقْوَالِ، كَمَا أَرْشَدَهُمْ إلَى ذَلِكَ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْأَفْعَالِ" ([2]).

ولذا كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منطقه أبعد الناس عن الفحش والتفحّش، كما وصفه بذلك عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما بقوله : " لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا" ([3]). وقالت عائشة رضي الله عنها :" لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا صَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يُجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ" ([4])، والفُحش في الكلام : هو ما يشتد

---

1 : تقدم في صفحة 63 .

2 : تقدم في صفحة 63 .

3 : البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، (4 / 189 / رقم : 3559).

4 : أحمد بن حنبل، "المسند"، (42 / 256 / رقم : 25416). قال محققه الشيخ شعيب : (إسناده صحيح).

قبحه من القول أو الفعل، أما المُتَفَحِّش : فهو الذي يتكلف القبيح من الكلام ويتعمّده ([1]). قال ابن القيم : " فصل فِي هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حِفْظِ الْمَنْطِقِ وَاخْتِيَارِ الْأَلْفَاظِ : كَانَ يَتَخَيَّرُ فِي خِطَابِهِ وَيَخْتَارُ لِأُمَّتِهِ أَحْسَنَ الْأَلْفَاظِ وَأَجْمَلَهَا، وَأَلْطَفَهَا، وَأَبْعَدَهَا مِنْ أَلْفَاظِ أَهْلِ الْجَفَاءِ وَالْغِلْظَةِ وَالْفُحْشِ، فَلَمْ يَكُنْ فَاحِشًا، وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا صَخَّابًا، وَلَا فَظًّا، وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ اللَّفْظُ الشَّرِيفُ الْمَصُونُ فِي حَقِّ مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَأَنْ يُسْتَعْمَلَ اللَّفْظُ الْمَهِينُ الْمَكْرُوهُ فِي حَقِّ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ" ([2]).

ولمّا قال اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (السَّامُ عليكم)، أغلظت أمّ المؤمنين عائشة لهم القول، وسبتهم ولعنتهم، نهاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وأرشدها إلى الرفق في الخطاب، حتى في مثل هذا الموطن، فعنها رضي الله عنها : أن يهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: عليكم، ولعنكم الله، وغضب الله عليكم. قال: "مهلا يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش" قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: "أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في" ([3]). وفي رواية أخرى عند البخاري : " فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ " ([4]).

لقد كان ردُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهود هو الردُّ الأحسن، مستجيباً لقول الله تعالى : (**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**) [الإسراء : 53]، فإنه قال : (وَعَلَيْكُمْ)، فليس الردُّ الأحسن هنا أن يُظهر احتفاءً بهم واحتراماً لهم، وقد تضمّن قولهم الإساءة إليه والدعاء بالموت عليه، فكان ردّه أنسب الردّ وأحسنه في هذا الموطن ؛ فإنّ لكل مقام مقالاً، ولكل قومٍ خطاباً.

---

1 : انظر : ابن الأثير، "النهاية "، (3 / 415). بتصرف يسير.

2 : ابن القيم، "زاد المعاد"، (2 / 320).

3 : البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا، (8 / 12 / 6030).

4 : البخاري، كتاب الأدب، بَابُ الرِّفْقِ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ، (8 / 12 / رقم : 6024).

المطلب الرابع

طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في عرض الخطاب

لقد تعددت طرق عرض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطابه، فمرة يكرر الكلام ثلاثاً، ومرة يرفع صوته، ويقول كلاماً فصلا لا يكثره، ومرة يغير جلسته إشعاراً بأهمية الكلام الذي سيقوله، وفيما يلي بعض نماذج من طرق خطابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

إعادة الكلام ثلاثا ليفهم عنه :

لقد بوّب الإمام البخاري باباً أسماه " بَابُ مَنْ أَعَادَ الحَدِيثَ ثَلاَثًا لِيُفْهَمَ عَنْهُ" ([1]) ، ومن ذلك يتبيّن أهمية إعادة الكلام من المعلم ليفهم عنه التلاميذ، فعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ "إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا، حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاَثًا" ([2]). والدارس لكلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتبين له أنّ هذا لم يكن دائماً في كل كلام يصدر عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا في كل سلام يسلم به على الآخرين، وإنما كان إذا دعا المقام والحال إلى ذلك، قال الخطابي: " إِعَادَة الْكَلَام ثَلَاثًا، إِمَّا لِأَن من الْحَاضِرين من يقصر فهمه عَن وعيه فيكرره ليفهم، وَإِمَّا أَن يكون القَوْل فِيهِ بعض الْإِشْكَال فيتظاهر بِالْبَيَانِ " ([3]) .

تغيير الجِلسة :

وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربما غيّر جلسته أثناء الكلام ؛ إشعاراً بأهمية الفِكرة، أو خطورتها، فقد روى أَبو بَكْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟" ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ – وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ – أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ"، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ" ([4])، والذي يبدو أن المراد من تغييره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجلسته تنبيه السامع لأهمية ما سيقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال ابن حجر : " يُشْعِرُ بِأَنَّهُ اهْتَمَّ بِذَلِكَ، حَتَّى جَلَسَ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتَّكِئًا، وَيُفِيدُ ذَلِكَ تَأْكِيدَ تَحْرِيمِهِ، وَعِظَمَ

---

1 : البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، (1 / 30).

2 : البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، (1 / 30 / رقم : 95).

3 : العيني، "عمدة القاري"، (2/ 115).

4 : البخاري، كتاب الشهادات، بَابُ مَا قِيلَ فِي شَهَادَةِ الزُّورِ، (3 / 172/ رقم : 2654).

قُبْحِهِ، وَسَبَبُ الِاهْتِمَامِ بِذَلِكَ كَوْنُ قَوْلِ الزُّورِ أَوْ شَهَادَةِ الزُّورِ أَسْهَلَ وُقُوعًا عَلَى النَّاسِ، وَالتَّهَاوُنِ بِهَا أَكْثَرَ؛ فَإِنَّ الْإِشْرَاكَ يَنْبُو عَنْهُ قَلْبُ الْمُسْلِمِ، وَالْعُقُوقَ يَصْرِفُ عَنْهُ الطَّبْعُ، وَأَمَّا الزُّورُ فَالْحَوَامِلُ عَلَيْهِ كَثِيرَةٌ، كَالْعَدَاوَةِ وَالْحَسَدِ وَغَيْرِهِمَا، فَاحْتِيجَ إِلَى الِاهْتِمَامِ بِتَعْظِيمِهِ" ([1]).

رفع الصوت أحياناً :

لنبرة الصوت ونغمته علواً وانخفاضاً، وتفخيماً وترقيقاً أهمية كبيرة في إيصال المعنى وتحقيق الأثر المطلوب، "فالجملة الواحدة قد يختلف معناها باختلاف النغمة " ([2]).

ولذلك كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرفع صوته أحياناً، إذا اقتضى المقام ذلك، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، قَالَ: تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفْرَةٍ سَافَرْنَاهَا فَأَدْرَكَنَا – وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا([3]) الصَّلَاةُ – وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: "وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ" مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ([4])، وقد بيّن ابن حجر أنّ ذلك منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان "حَيْثُ تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ،، أَوْ كَثْرَةِ جَمْعٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَيَلْحَقُ بِذَلِكَ مَا إِذَا كَانَ فِي مَوْعِظَةٍ كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ رضي الله عنه: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ وَذَكَرَ السَّاعَةَ اشْتَدَّ غَضَبُهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ الْحَدِيثَ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ([5]) وَلِأَحْمَدَ ([6]) مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ فِي مَعْنَاهُ، وَزَادَ: حَتَّى لَوْ أَنَّ رَجُلًا بِالسُّوقِ لَسَمِعَهُ" ([7])، قال النووي : " يُسْتَحَبُّ لِلْخَطِيبِ أَنْ يُفَخِّمَ أَمْرَ الْخُطْبَةِ، وَيَرْفَعَ صَوْتَهُ، وَيُجْزِلَ كَلَامَهُ، وَيَكُونَ مُطَابِقًا لِلْفَصْلِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيهِ مِنْ تَرْغِيبٍ أَوْ تَرْهِيبٍ" ([8]).

---

1 : ابن حجر، "فتح الباري"، (5 / 263).

2 : السامرائي، فاضل صالح، "معاني النحو"، دار الفكر، عمان، ط4، 1430هـ – 2009م، (1 / 11).

3 : أَيْ أخرْناها عَنْ وَقتِها حَتَّى كِدْنا نُغْشِيها ونُلحِقُها بِالصَّلَاةِ الَّتِي بَعْدَهَا. [ابن الأثير، "النهاية"، (2 / 283)].

4 : البخاري، كتاب العلم، بَابُ مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالعِلْمِ، (1 / 22 / رقم : 60).

5 : مسلم، كتاب الجمعة، بَابُ تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ، (2 / 592 / رقم : 867).

6 : أحمد، "المسند"، (30 / 349 / رقم : 18398). وقال المحقق شعيب الأرنؤوط : (إسناده حسن من أجل سماك بن حرب، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين.).

7 : ابن حجر، "فتح الباري"، (1 / 143).

8 : النووي، "المنهاج شرح صحيح مسلم "، (6 / 156).

الترسل والبيان :

لقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتمهل في كلامه حتى كأنه يرتله ترتيلا، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ "يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ العَادُّ لَأَحْصَاهُ" ([1])، وقَالَتْ: " إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ" ([2])، قال العيني : " لَو لَو عَدَّ الْعَاد حَدِيثه، أَي: كَلِمَات حَدِيثه، لعده أَي: لقدر على عده... ولم يكن يسْرد أَي: لم يكن يُتَابع الحَدِيث استعجالاً، أَي: كَانَ يتَكَلَّم بِكَلَام متتابع مَفْهُوم وَاضح على سَبِيل التأني لِئَلَّا يلتبس على المستمع" ([3]).

وقد وصف جابر بن عبد الله رضي الله عنه كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَانَ فِي كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْتِيلٌ، أَوْ تَرْسِيلٌ" ([4])، والترتيل والترسيل بنفس المعنى كما تقدم ([5]) . وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: "كَانَ كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَامًا فَصْلًا يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ" ([6]) ، وهذا من وضوح كلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان يفهمه الصغير والكبير، العالم والجاهل، والكلام الفصل هو : " المَفْصُول بَيْنَ أَجْزَائِهِ، الواضح" ([7]).

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يكثر الموعظة على أصحابه خوفا عليهم من الممل والسآمة، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا، مَخَافَةَ السَّآمَةِ ([8]) عَلَيْنَا " ([9]).

---

1 : تقدم تخريجه صفحة 47 .

2 : تقدم تخريجه صفحة 46 .

3 : انظر : العيني، "عمدة القاري"، (16 / 115).

4 : تقدم تخريجه صفحة : 46 .

5 : تقدم قول العظيم آبادي صفحة : 46 .

6 : أبو داود، "السنن "، كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام، (4 / 261 / رقم : 4839). وقال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (2 / 874 / رقم ك 4826).

7 : انظر، العظيم آبادي، " عون المعبود شرح سنن أبي داود "، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، 1415 هـ ، (13 / 126). بتصرف.

8 : هي : الْمَلَلُ وَالضَّجَرُ. [ابن الأثير، "النهاية"، (2 / 328)].

9 : البخاري، كتاب العلم ، باب مَنْ جَعَلَ لِأَهْلِ العِلْمِ أَيَّامًا مَعْلُومَةً، (1 / 25 / رقم : 70).

يخاطب الناس على قدر عقولهم :

كان هدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير الهدي، فكان يفهمه الصغير والكبير، والعاميُّ والعالم، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر أصحابه بأن يحدثوا الناس بما يعرفون، حتى لا يكون لبعضهم فتنة، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: "أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ" ([1])، وعن علي بن أبي طالب قال : " حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ" ([2]) ، وعن عبد الله بن مسعود قال : " مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً" ([3])، قال الغزالي :

" لابد أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله...، فلا ينبغي أن يفشي العالم كل ما يعلم إلى كل أحد هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه...، ولذلك قيل: كِلْ لكل عبد بمعيار عقله، وزن له بميزان فهمه، حتى تسلم منه وينتفع بك، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار، وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب، فقال السائل: أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار ([4]) فقال : اترك اللجام واذهب فإن جاء من يفقه وكتمته فليلجمني، فليلجمني، فقد قال الله تعالى (**وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ**) [النساء : 5] تنبيها على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى، وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق ([5]).

---

1 : مسلم، مقدمة الكتاب، (1 / 6).

2 : هذا لفظ البخاري وسبق تخريج : ص 60 .

3 : مسلم، مقدمة الإمام مسلم، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، (1 / 11).

4 :أحمد بن حنبل، "المسند"، (16 / 293 / ر قم : 10486). قال المحقق شعيب الأرنؤوط: (حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لتدليس الحجاج- وهو ابن أرطاة- لكنه متابع). والطبراني، "الأسط"، (5/108/رقم: 4815).

5 : الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، "إحياء علوم الدين "، دار المعرفة – بيروت، (1 / 57 -58).

الفصل الثالث

مناسبة الكلام للمقام

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : السبب المناسب للكلام

المبحث الثاني : لكل مقام مقال

الفصل الثالث

مناسبة الكلام للمقام

من المعروف عند أهل العلم أنّ قسماً كبيراً من آيات القرآن الكريم وسوره نزلت على أسباب : فقد يكون سؤالاً وجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فينزل القرآن جوابا عليه، أو شبهة يثيرها أعداء الإسلام فينزل القرآن لدحضها وبيان زيفها، أو معركة يخوضها المسلمون مع أعدائهم، فينزل القرآن معقباً عليها عليها ومبيّنا لدروسها وعبرها، أو مشكلة تحدث داخل المجتمع المسلم بين قبيلتين أو داخل الأسرة المسلمة بين الزوجين، فيأتي القرآن مُبيِّناً لحلها.

وكذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنّ كثيرا منها جاء مرتبطاً بأسباب : رداً على سؤال، أو حلاً لمشكلة، أو تعقيباً على موقف، أو إزالة لشبهة، أو بيانَ حكمٍ لمسألةٍ واقعة، أو موقفاً مع طفل أو شاب أو شيخ أو امرأة أو مشرك أو مع كتابيٍّ، وفي كل ذلك نجد كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مناسباً للمقام ولمقتضى الحال، فيكون كلامه وبيانه شافياً كافياً، يفعل فعله في النفوس، كما يفعل الدواء الناجع في معالجة الأمراض.

المبحث الأول

السبب المناسب للكلام

مما يجعل الكلام أكثر تأثيراً في النفوس، ووضوحاً في الأفهام، أن يأتيَ في سياق مناسب له: رداً على سؤال يطرح، أو جواباً على شبهة تُثار، أو حلاً لمشكلة تحدث، فإن لم يكن هناك سؤال يطرح أو شبهة تثار أو مشكلة تحدث، فإنه صلى الله عليه وسلم يوجد سبباً مناسباً للكلام، والأمثلة على ذلك كثيرة وفيرة، وفيه مطلبان :

المطلب الأول

وجود سبب مناسب للكلام

من أبرز الأمثلة على ذلك : حديث جبريل عليه السلام عندما جاء على هيئة رجل، يراه المسلمون ولا يعرفون أنه جبريل، جاء يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمور الدين، كما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا "، قَالَ : صَدَقْتَ، قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ : " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ،وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ "، قَالَ : صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ "، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: "مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ" قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: "أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ

الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ"، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْ تُمَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: "يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ ؟" قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ" ([1]).

قال النووي : "وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ يَجْمَعُ أَنْوَاعًا مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ وَالْآدَابِ وَاللَّطَائِفِ بَلْ هُوَ أَصْلُ الْإِسْلَامِ" ([2]).

وقال ابن رجب : "إِنَّ جَمِيعَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ تَرْجِعُ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ وَتَدْخُلُ تَحْتَهُ، وَأَنَّ جَمِيعَ الْعُلَمَاءِ مِنْ فِرَقِ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا تَخْرُجُ عُلُومُهُمُ الَّتِي يَتَكَلَّمُونَ فِيهَا عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ مُجْمَلًا وَمُفَصَّلًا فَإِنَّ الْفُقَهَاءَ إِنَّمَا يَتَكَلَّمُونَ فِي الْعِبَادَاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ جُمْلَةِ خِصَالِ الْإِسْلَامِ، وَيُضِيفُونَ إِلَى ذَلِكَ الْكَلَامَ فِي أَحْكَامِ الْأَمْوَالِ وَالْأَبْضَاعِ وَالدِّمَاءِ وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ الْإِسْلَامِ كَمَا سَبَقَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ، وَيَبْقَى كَثِيرٌ مِنْ عِلْمِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْآدَابِ وَالْأَخْلَاقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ لَا يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْهُمْ، وَلَا يَتَكَلَّمُونَ عَلَى مَعْنَى الشَّهَادَتَيْنِ، وَهُمَا أَصْلُ الْإِسْلَامِ كُلِّهِ. وَالَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي أُصُولِ الدِّيَانَاتِ، يَتَكَلَّمُونَ عَلَى الشَّهَادَتَيْنِ، وَعَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ. وَالَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ عَلَى عِلْمِ الْمَعَارِفِ وَالْمُعَامَلَاتِ يَتَكَلَّمُونَ عَلَى مَقَامِ الْإِحْسَانِ، وَعَلَى الْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ الَّتِي تَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ أَيْضًا: كَالْخَشْيَةِ، وَالْمَحَبَّةِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالرِّضَا، وَالصَّبْرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَانْحَصَرَتِ الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ الَّتِي يَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا فِرَقُ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَرَجَعَتْ كُلُّهَا إِلَيْهِ، فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ وَحْدَهُ كِفَايَةٌ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ " ([3]).

ويبدو واضحاً أنّ هذا الحديث ذو مزيّة على غيره من الأحاديث ؛ فقد أوجز الإسلام كله، فليس غريباً أن يكون وارداً على سبب ذي ميزة على غيره من أسباب ورود الأحاديث ؛ ظهر ذلك بمجيء جبريل بهذه الهيئة الغريبة المؤنسة.

1: مسلم، كتاب الإيمان، (1 / 36 / رقم : 8).

2: النووي، "المنهاج شرح صحيح مسلم "، (1 / 160).

3 : ابن رجب، "جامع العلوم والحكم"، (1 / 134-135).

ومن أمثلة ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ" ([1])

وسببه وروده : ما رواه جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمِ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ، فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَأَبْطَئُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِه، فَقَالَ:.. الحديث ([2]). قال النووي : "فِيهِ الْحَثُّ عَلَى الِابْتِدَاءِ بِالْخَيْرَاتِ وَسَنِّ السُّنَنَ الْحَسَنَاتِ وَالتَّحْذِيرُ مِنَ اخْتِرَاعِ الْأَبَاطِيلِ وَالْمُسْتَقْبَحَاتِ، وَسَبَبُ هَذَا الْكَلَامِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّهُ قَالَ فِي أَوَّلِهِ "فَجَاءَ رَجُلٌ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا" ([3]) فَتَتَابَعَ النَّاسُ وَكَانَ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ لِلْبَادِي بِهَذَا الْخَيْرِ وَالْفَاتِحُ لِبَابِ هَذَا الْإِحْسَانِ" ([4]). فتأمل عظم هذا الأثر الذي أحدثه هذا الكلام في نفوس الصحابة ومن بعدهم.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ" ([5]).

وسبب وروده ما روتْه أَسْمَاءُ رضي الله عنها : أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي ضَرَّةً، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ" ([6])

---

1 : مسلم، كتاب العلم، بَابُ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى أَوْ ضَلَالَةٍ، (4 / 2059 / رقم : 1017)، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه .

2: : مسلم، كتاب العلم، بَابُ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى أَوْ ضَلَالَةٍ، (4 / 2059 / رقم : 2673).

3 : مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الزكاة ولو بشقّ تمرة..، (2 / 704 / رقم : 1017).

4 : النووي، "المنهاج شرح صحيح مسلم"، (4 / 104).

5 : متفق عليه : البخاري، كتاب النكاح، باب المُتَشَبِّعِ بِمَا لَمْ يَنَلْ، وَمَا يُنْهَى مِنَ افْتِخَارِ الضَّرَّةِ، (7 / 35، رقم : 5219)، مسلم، كتاب اللباس والزينة،بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّزْوِيرِ فِي اللِّبَاسِ وَغَيْرِهِ وَالتَّشَبُّعِ بِمَا لَمْ يُعْطَ، (3 / 1681 / رقم : 2130)، من حديث أسماء رضي الله عنها.

6 : متفق عليه : البخاري، كتاب النكاح، باب المُتَشَبِّعِ بِمَا لَمْ يَنَلْ، وَمَا يُنْهَى مِنَ افْتِخَارِ الضَّرَّةِ، (7 / 35، رقم : 5219)، مسلم، كتاب اللباس والزينة،بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّزْوِيرِ فِي اللِّبَاسِ وَغَيْرِهِ وَالتَّشَبُّعِ بِمَا لَمْ يُعْطَ، (3 / 1681 / رقم : 2130).

قال السيوطي : "المتشبع بِمَا لم يُعْط: أَي المتكثر بِمَا لَيْسَ عِنْده عِنْد النَّاس المتزين بِالْبَاطِلِ كلابس ثوبي زور: أَي كمن لبس ثَوْبَيْنِ لغيره وأوهم أَنَّهُمَا لَهُ: قيل: وَكَانَ فِي الْجَاهِلِيَّة إِذا طُلب من رجل شَهَادَة زور اسْتعَار ثَوْبَيْنِ يتجمَّل بهما فَلَا ترد شَهَادَته لحسن هَيئته" ([1]).

ومن أمثلة ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ" ([2])

"وَسَبَبُ الْحَدِيثِ مَعْرُوفٌ: وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أسر أبا عزة الشاعر يوم بدر فمنَّ عليه وعاهده أن لا يحرِّض عليه ولا يهجوه وَأَطْلَقَهُ فَلَحِقَ بِقَوْمِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى التَّحْرِيضِ وَالْهِجَاءِ ثُمَّ أَسَرَهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَسَأَلَهُ الْمَنَّ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمُؤْمِنُ لايلدغ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ " ([3]).

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا" ([4]).

وسببه ما روته عَائِشَةُ رضي الله عنها : أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: مَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟"، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، فَقَالَ:.. الحديث " ([5]).

ولا يخفى أن ورود الكلام على سبب مناسب يجعله أكثر تأثيراً في نفس المخاطَب والسامع، كما أنه يوضح مراد المتكلم ويزيل الإبهام عن معنى الكلام، ويقطع الطريق أمام التأويل الفاسد.

---

1 : السيوطي، "الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج"، (5 / 167).

2 : متفق عليه : البخاري، كتاب الأدب، باب لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ، (8 / 31 / رقم : 6133)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ، (4 / 2295 / رقم : 2998)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

3 : انظر: النووي، "المنهاج شرح صحيح مسلم"، (18 / 125) ، وابن حجر، "فتح الباري"، (10 / 530). وقال ابن حجر : (أَخْرَجَهُ صَاحِبُ مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ).

4 : الترمذي، "السنن"، (4 / 37 / رقم : 1430)، قال الترمذي : (حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)، من حديث عائشة.

5 : المصدر نفسه.

المطلب الثاني

إيجاد سبب مناسب للكلام

المتدبر لكلام النبي صلى الله عليه وسلم يجد أنه كان يحرص على أن يكون كلامه مؤثراً في نفوس المخاطبين، نجد ذلك من خلال ورود الخطاب على سبب مباشر، فإن لم يكن فإنه صلى الله عليه وسلم كان في بعض الأحيان يستثمر مناسبة ليورد الكلام عليها.

من ذلك : ما رواه جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ ([1])، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ ([2])، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ ([3]) مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ : "أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ ؟ " فَقَالُوا : مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ ؟ قَالَ : "أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ ؟" قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ ؟ فَقَالَ: "فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ " ([4]).

ونلحظ أنَّ أحداً من الصحابة لم يلتفت إلى الجدي الأسك ابتداءً، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي لفت أنظارهم إليه، فوجه إليهم السؤال : "أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ ؟".

قال ابن عثيمين : " فهذا جدي ميت لا يساوي شيئاً، ومع ذلك فالدنيا أهون وأحقر عند الله تعالى من هذا الجدي الأسك الميت، فهي ليست بشيء عند الله، ولكن من عمل فيها عملاً صالحاً؛ صارت مزرعة له في الآخرة، ونال فيها السعادتين: سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

---

1 : ضاحية من ضواحي المدينة، أَيْ كَانَ دُخُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ إِلَى السُّوقِ وَالْعَالِيَةُ وَالْعَوَالِي أَمَاكِنُ بِأَعْلَى أَرَاضِي الْمَدِينَةِ وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهَا عَلَوِيٌّ وَأَدْنَاهَا عَلَى أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ وَأَبْعَدُهَا مِنْ جِهَةِ نَجْدٍ ثمانية أميال. انظر : لاشين، الدكتور موسى شاهين لاشين، " فتح المنعم شرح صحيح مسلم"، دار الشروق، ط1، 1423 هـ - 2002 م، (10 / 574). والعظيم آبادي، "عون المعبود"، (1 / 222).

2 : كنفته : وهو منصوب على الظرفية المكانية بمعنى جانبه أي والحال أن الناس ماشون بجانبه، وفي بعض النسخ كنفتيه بالتثنية أي جانبيه. انظر : الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي، " الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم"، دار المنهاج – دار طوق النجاة، ط1، 1430 هـ - 2009 م، (26 / 329).

3: أَيْ صَغِيرُ الأذنين. [النووي، " المنهاج شرح صحيح مسلم "، (18 / 93)].

4: مسلم، كتاب الزهد والرقائق، (4 / 2272 / رقم : 2957).

أما من غفل وتغافل وتهاون ومضت الأيام عليه وهو لم يعمل؛ فإنه يخسر الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: 15]" ([1]).

ومن أمثلة ذلك : ما رواه عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحَلَّبَ ([2]) ثَدْيُهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ "، قُلْنَا : لاَ، وَهِيَ تَقْدِر عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: "لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا " ([3]).

في هذا المثال ابتدرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسؤاله : "أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ ؟"، وهو بهذا الخطاب يثير أذهانهم للتفكير ويحرك مشاعرهم نحو مشهد مؤثر، فإذا تهيأت نفوسهم بعد ذلك قال لهم : "لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا ".

قال ابن الجوزي : " إِعْلَم أَن هَذِه الْمَرْأَة سبيت دون وَلَدهَا، وَكَانَت تفعل هَذَا بالصبيان شوقا إِلَيْهِ، وَاعْلَم أَن رَحْمَة الله عز وَجل لَيست رقة، وَإِنَّمَا حَدثهمْ بِمَا يفهمون. فَمن عُمُوم رَحمته إِرْسَال الرُّسُل، وإمهال المذنبين. فَإِذا جَحده الْكَافِر خرج إِلَى مقَام العناد فَلم يكن أَهلا للرحمة. وَأما خُصُوص رَحمته فلعباده الْمُؤمنِينَ، فَهُوَ يلطف بهم فِي الشدَّة والرخاء، يزِيد على لطف الوالدة بِوَلَدِهَا" ([4]).

ومن ذلك ما رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُلُوسٌ إِذْ أُتِيَ بِجُمَّارِ نَخْلَةٍ([5])، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ

---

1 : ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد (المتوفى: 1421هـ) "شرح رياض الصالحين"، دار الوطن للنشر، الرياض، 1426 هـ، (3 / 365).

2 : أي سَالَ لَبنهَا، وَمِنْه سمي الحليب لتجلبه من الثدي، وتحلب فوه إِذا سَالَ لعابه [انظر القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: 544هـ)، " مشارق الأنوار على صحاح الآثار"، المكتبة العتيقة ودار التراث، (1 / 194).

3: رواه الشيخان : البخاري، كتاب الأدب، باب رَحْمَةِ الوَلَد وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ، (8 / 8 / رقم : 5999). ومسلم، كتاب التوبة، باب فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ، (4 / 2109 / رقم : 2754). واللفظ للبخاري.

4 : ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، " كشف المشكل من حديث الصحيحين"، تح : علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض، (1 / 94 / رقم : 39).

5: جُمَّار النَّخْل : هو شَحْمُه الذي وسَط النَّخْلة. [ابن الأثير، "النهاية"، (4 / 264)].

كَبَرَكَةِ المُسْلِمِ" فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِي النَّخْلَةَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: هِيَ النَّخْلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ التَفَتُّ فَإِذَا أَنَا عَاشِرُ عَشَرَةٍ أَنَا أَحْدَثُهُمْ فَسَكَتُّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هِيَ النَّخْلَةُ" ([1]).

وفي رواية لمسلم : ""إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟" فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ فَقَالَ: "هِيَ النَّخْلَةُ" قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ، قَالَ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَ: هِيَ النَّخْلَةُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا ([2]).

المتأمل في هذا الحديث يلحظ أنّ النبي صلى الله عليه وسلم جعل من الجمّار موضوعاً حرّك به الأذهان، وحرّض العقول على التفكير من خلال سؤاله عن أمرين متعلقين بهذه الشجرة :

الأول : أنها لا يسقط ورقها.

الثاني : أنها تشبه المسلم في البركة.

وقريب من ذلك: ما رواه أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟" قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: "إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ" ([3]).

فأسلوب رسول الله صلى الله عليه وسلم في السؤال هذا مخاطبا صحابته، يحرك عقولهم ويحضُّها على التفكير، ومن ثمّ يثير تطلعهم نحو الجواب، حتى إذا هيأ عقولهم ونفوسهم لتلقي الكلام أخبرهم بما تشوّقوا لمعرفته.

وعلى نحو المثال السابق قوله صلى الله عليه وسلم : "أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟" ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ – وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ – أَلاَ وَقَوْلُ

1: رواه الشيخان : البخاري، كتاب الأطعمة، باب أكل الجمار، (7 / 80 / رقم : 5444)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ، (4 / 2166 / رقم : 2811). واللفظ للبخاري.

2: مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ، (4 / 2164 / رقم : 2811).

3: مسلم، كتاب الطهارة، باب فَضْلِ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، (1 / 219 / رقم : 251).

الزُّورِ"، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ ([1])، حيث استهلال الخطاب بأداة التنبيه (ألا)؛ لفتاً للأنظار وتَشَوُّفاً للجواب.

1: متفق عليه : البخاري، كتاب الشهادات، باب مَا قِيلَ فِي شَهَادَةِ الزُّورِ، (3 / 172 / رقم : 2654)، ومسلم، كتاب الإيمن، باببَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا، (1 / 91 / رقم : 87)، عن أبي بكرة رضي الله عنه.

المبحث الثاني

لكل مقام مقال

أصبحت هذه العبارة مثلاً سائراً بين الناس ؛ إدراكاً منهم لأهميتها، فهي من أسس البلاغة التي يُقوَّم بموجبها الكلام والمتكلم، ومدى ما يتصفان به من بلاغة وبيان وقدرة فائقة على البلوغ بالخطاب إلى القلوب، كما هو شأن الطبيب في إصابة الداء بما يصف من داوء ناجع.

والناس يحكمون على المقال فيتأثرون به، وله يمدحون ؛ إن راعى المقام ولامس الواقع، وهم بهذا يصدون عنه؛ إن خالف المقام ولم يلامس الواقع.

وتطبيق هذه العبارة يسري على كل مجالات الكلام، فالجِّدُّ له مكانه، والمزاح له مكانه، وكلام الصاحب في السفر الذي يُطلب فيه الترويح والتخفيف يختلف عن الكلام معه في حل مشكلة اجتماعية، وموضوع غناء العرس يختلف عن موضوع غناء الحرب، والألفاظ المنتقاة لهجاء العدو تختلف عن الألفاظ التي تُنتقى لنقد الأخ والصاحب ونصحه ؛ فإن لكل مقام مقالاً، والموفق من راعى ما يقتضيه الحال.

المطلب الأول

التلميح في المقام الذي لا يحسن فيه التصريح

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأحيان إذا وجد الخطأ في أصحابه، أو أراد أن يبعث رسالة يخص بها بعض الناس، كان يلمح ويكني فيها، فلا يصرح بالأسماء ؛ ليكون ذلك أدعى لقبول الحق، وتَقَبُّلِ النصح الموجه لهم، فلو كان كلامه فيه تصريح في هذا المقام لربما كان ذلك سببا في نفرتهم من الحق وعدم قبوله، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة في ذلك.

وهذه بعض أمثلة على تلميحه صلى الله عليه وسلم في المقام الذي لا يصلح فيه التصريح :

فقد روت أم المؤمنين عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : جَاءَتْ امْرَأَةُ رِفاعَةَ القُرَظِيِّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ، فَطَلَّقَنِي، فَأَبَتَّ طَلاَقِي ([1])، فَتَزَوَّجْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزَّبِيرِ إِنَّمَا مَعَهُ مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ، فَقَالَ: " أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟ لاَ، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ" ([2]).

وقوله صلى الله عليه وسلم : " حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ" كناية عن الجماع ([3]).

إنّ من الأدب النبوي عدم التصريح بألفاظ الجماع وإنما يكنّي عنه، وهذا من الأدب الدال على خلق المتكلم، والذوق السليم عنده، ومراعاة شعور المخاطب، وقد قال صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ، وَلَا التَّفَحُّشَ " ([4]).

---

1 : هِيَ الطَّلْقَة الثَّالِثَة الَّتِي تحصل بهَا الْبَيْنُونَة الْكُبْرَى. [العيني، "عمدة القاري"، (13 / 197)].

2 : رواه الشيخان : البخاري، كتاب الشهادات، باب شَهَادَةِ المُخْتَبِي، (3 / 168 / رقم : 2639)، ومسلم، كتاب النكاح، باب لَا تَحِلُّ الْمُطَلَّقَةُ ثَلَاثًا لِمُطَلِّقِهَا حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ، وَيَطَأَهَا، ثُمَّ يُفَارِقَهَا وَتَنْقَضِيَ عِدَّتُهَا، (2 / 1055 / رقم : 1433). واللفظ للبخاري.

3 : انظر : النووي، " المنهاج شرح صحيح مسلم"، (10 / 3)، وابن بطال، "شرح صحيح البخاري"، (7 / 479). وابن حجر، "فتح الباري"، 9 / 466).

4 : أبو داود، "السنن"، كتاب اللباس، باب مَا جَاءَ فِي إِسْبَالِ الْإِزَارِ، (4 / 57 / رقم : 4089). من حديث أبي الدَّرْدَاءِ. وقال الألباني : (صحيح)، الألباني، "إرواء الغليل"، (7 / 208 / رقم : 2133).

ومنه ما روته عَائِشَةُ أيضاً : أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غُسْلِهَا مِنَ المَحِيضِ، فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ، قَالَ: "خُذِي فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ ([1])، فَتَطَهَّرِي بِهَا" قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ؟ قَالَ: "تَطَهَّرِي بِهَا"، قَالَتْ: كَيْفَ؟، قَالَ: "سُبْحَانَ اللَّهِ، تَطَهَّرِي" فَاجْتَبَذْتُهَا إِلَيَّ، فَقُلْتُ: تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ" ([2]).

فنجده صلى الله عليه وسلم يجتنب التصريح بذكر الفرج، ويُكَنِّي بالتلميح أدباً منه صلى الله عليه وسلم وتعليماً.

قال القسطلاني: " واستنبط منه أن العَالم يكني بالجواب في الأمور المستورة، وأن المرأة تسأل عن أمر دينها، وتكرير الجواب لإفهام السائل، وأن للطالب الحاذق تفهيم السائل قول الشيخ وهو يسمع، وفيه الدلالة على حسن خلق الرسول –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وعظيم حلمه وحيائه" ([3]).

وقال المباركفوري : " أراد بقوله: سبحان الله التعجب، ومعنى التعجب ههنا، أنه كيف يخفى مثل هذا الظاهر الذي لا يحتاج الإنسان في فهمه إلى فكر أو تصريح" ([4]).

---

1 : فِرْصَةً: بِكَسْرِ الْفَاءِ قِطْعَةٌ مِنْ صُوفٍ أَوْ قُطْنٍ أَوْ خِرْقَةٍ تَمْسَحُ بِهَا الْمَرْأَةُ مِنَ الْحَيْضِ؛ مِنْ فَرَصْتُ الشَّيْءَ إِذَا قَطَعْتَهُ، مِنْ مَسْكٍ: بِفَتْحِ الْمِيمِ وَهُوَ الْجِلْدُ. هذا التفسير رده ابن بطال وقال بأنه امتهان للمرأة، وفسر مسك أي تمسك قطعة بيدها وفيه قوله تعالى : (والذين يمسكون بالكتاب)، وقاله ابن الجوزي كذلك. انظر : القاري، " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" دار الفكر، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ – 2002م، (2 / 426 / رقم : 437). وابن بطال، "شرح صحيح البخاري"، (439/1). وابن الجوزي، "كشف المشكل من حديث الصحيحين"، (369/4).

2 : رواه الشيخان : البخاري، كتاب الحيض، باب دَلْكِ المَرْأَةِ نَفْسَهَا إِذَا تَطَهَّرَتْ مِنَ المَحِيضِ، وَكَيْفَ تَغْتَسِلُ، وَتَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً، فَتَتَّبِعُ أَثَرَ الدَّمِ، (1 / 70 / رقم : 314). ومسلم، كتاب الحيض، باب اسْتِحْبَابِ اسْتِعْمَالِ الْمُغْتَسِلَةِ مِنَ الْحَيْضِ فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ فِي مَوْضِعِ الدَّمِ، (1 / 261 / رقم : 332)، واللفظ للبخاري.

3 : القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ)، " إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323 هـ، (1 / 354 / رقم : 315).

4 : المباركفوري، " مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، ط3، 1404 هـ، 1984 م، (2 / 135 / رقم : 442).

التلميح في الخطاب العام حِفظاً للمشاعر :

وكان صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول عند توجيهه ونقده : (ما بال أقوامٍ أو ما بال رجال، ما بال أناس)، حتى لا يكون في ذلك فضحٌ وتشهيرٌ، وليكون الكلام والنصح أبلغ في النفوس، وأدعى إلى القبول.

من ذلك ما روته عَائِشَةُ رضي الله عنها قَالَتْ: أَتَتْهَا بَرِيرَةُ تَسْأَلُهَا فِي كِتَابَتِهَا ([1])، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتِ أَعْطَيْتُ أَهْلَكِ وَيَكُونُ الوَلاَءُ لِي، وَقَالَ أَهْلُهَا: إِنْ شِئْتِ أَعْطَيْتِهَا مَا بَقِيَ – وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: إِنْ شِئْتِ أَعْتَقْتِهَا، وَيَكُونُ الوَلاَءُ لَنَا – فَلَمَّا جَاءَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَتْهُ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ابْتَاعِيهَا فَأَعْتِقِيهَا، فَإِنَّ الوَلاَءَ لِمَنْ أَعْتَقَ" ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى المِنْبَرِ – وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: فَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى المِنْبَرِ – فَقَالَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا، لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَنِ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَلَيْسَ لَهُ، وَإِنِ اشْتَرَطَ مِائَةَ مَرَّةٍ" ([2]).

ومن ذلك أيضا ما رواه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلاَتِهِمْ"، فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ: "لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ" ([3]).

فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه من يفعل ذلك، لكنّه لم يذكر أسماءهم، أدباً منه صلى الله عليه وسلم وتعليما، وستراً على من يفعل ذلك، وليكون هذا التلميح ذا أثرٍ إيجابيٍّ تستجيب له النفوس وتطيب له القلوب، ولا تنفر منه، وصدق الله العظيم في وصف نبيّه صلى الله عليه وسلم : (**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**) [القلم : 4]، وفي وصفه له بقوله سبحانه : (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ**) [آل عمران : 159].

---

1 : الْكِتَابَةُ: أَنْ يُكَاتِبَ الرَّجُلُ عَبْدَه عَلَى مَالٍ يؤدِّيه إِلَيْهِ مُنَجَّماً، فَإِذَا أَدَّاهُ صَارَ حُرّاً. [ابن الأثير، "النهاية"، (4 / 148)].

2: رواه الشيخان : البخاري، كتاب الصلاة، باب ذِكْرِ البَيْعِ وَالشِّرَاءِ عَلَى المِنْبَرِ فِي المَسْجِدِ، (1 / 98 / رقم : 456). ومسلم، كتاب العتق، باب إِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ، (2 / 1141 / رقم : 1504). واللفظ للبخاري.

3: البخاري، كتاب الأذان ، باب رَفْعِ البَصَرِ إِلَى السَّمَاءِ فِي الصَّلاَةِ، (1 / 150 / رقم : 750).

ومن ذلك أيضا : ما رواه أبو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ رضي الله عنه، قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسْدٍ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الأُتَبِيَّةِ عَلَى صَدَقَةٍ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى المِنْبَرِ – قَالَ سُفْيَانُ أَيْضًا فَصَعِدَ المِنْبَرَ – فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: " مَا بَالُ العَامِلِ نَبْعَثُهُ فَيَأْتِي يَقُولُ: هَذَا لَكَ وَهَذَا لِي، فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَيَنْظُرُ أَيُهْدَى لَهُ أَمْ لا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يَأْتِي بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ ([1])، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ([2])، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ ([3])،" ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ ([4])" أَلا هَلْ بَلَّغْتُ " ثَلاَثًا ([5]).

فلم يصرح النبي صلى الله عليه وسلم باسم هذا العامل أمام الناس، ولو فعل لألحق به الأذى، وإنما ستر عليه بقوله : (مَا بَالُ العَامِلِ نَبْعَثُهُ)، أدباً منه صلى الله عليه وسلم وتعليما، وليكون كلامه وتوجيهه أدعى للقبول وأكثر تأثيرا.

---

1 : الرُّغَاءُ: صوتُ الْإِبِلِ، [ابن الأثير، "النهاية"، (2 / 240)].

2 : الخُوَارُ: صَوْتُ البَقر. [ابن الأثير، "النهاية"، (2 / 87)].

3 : يُقَال: يَعَرَتِ العَنْزُ تَيْعِرُ، بالكَسْر، يُعَاراً، بالضَّم: أَيْ صَاحَت. [ابن الأثير، "النهاية"، (5 / 297)].

4 : العُفْرَة: بياضٌ لَيْسَ بالنَّاصع، ولكنْ كلَون عَفَر الْأَرْضِ، وَهُوَ وجْهُها. [ابن الأثير، "النهاية"، (3 / 261)].

5: متفق عليه : البخاري، كتاب الأحكام، باب هدايا العمال، (9 / 70 / رقم : 7174)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب تَحْرِيمِ هَدَايَا الْعُمَّالِ، (3 / 1463 / رقم : 1832).

المطلب الثاني

التصريح في المقام الذي لا يصلح فيه التلميح

وقد يستدعي المقام التصريح عندما يكون التلميح غير كافٍ، فهنا لابد من التصريح لتحقيق المراد، لذا نجده صلى الله عليه وسلم يقول الكلام في بعض الأحوال واضحاً جلياً لا تلميح فيه ولا تكنية.

من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه : " إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ "، وذلك عندما تجاوز أبو ذر الحدَّ لمّا عيّر رجلاً بأمه، بقوله : "يا ابن السوداء" ([1])، فقد روى المَعْرُورُ بْنُ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ ([2])، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ ([3])، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ" ([4]).

وقوله صلى الله عليه وسلم في أبي ذر أيضا لما طلب الإمارة : " يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ"، فقد روى أبو ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى

---

1 : البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني (المتوفى: 458هـ)، "شعب الإيمان"، تح : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، ط1، 1423 هـ - 2003 م، (7 / 130 / رقم : 4772). وابن حجر، "فتح الباري"، (1 / 86)، وصححها الألباني، " غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام"، المكتب الإسلامي – بيروت، ط3، 1405هـ، (1 / 188 / رقم : 307).

2 : من قرى المدينة على ثلاثة أيّام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكّة. [الحمويّ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (المتوفى: 626هـ)، "معجم البلدان"، دار صادر، بيروت، ط2، 1995 م، (3 / 24)].

3 : الحُلَّة: وَاحِدَةُ الحُلَلِ، وَهِيَ بُرُودُ الْيَمَنِ، وَلَا تُسَمَّى حُلَّة إِلَّا أَنْ تَكُونَ ثوبَين مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ. [ابن الأثير، "النهاية "، (1 / 432)].

4: متفق عليه : البخاري، كتاب الإيمان، بَابٌ: المَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، وَلاَ يُكَفَّرُ صَاحِبُهَا بِارْتِكَابِهَا إِلَّا بِالشِّرْكِ (1 / 15 / رقم : 30)، ومسلم، كتاب الأيمان، بَابُ إِطْعَامِ الْمَمْلُوكِ مِمَّا يَأْكُلُ، وَإِلْبَاسُهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفُهُ مَا يَغْلِبُهُ، (3 / 1283 / رقم : 1661).

مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا" ([1]).

فالتصريح ههنا أوقع في النفس، فقد استدعاه المقام حيث لا ينفع التلميح.

قال ابن عثيمين : " القول إذا كان مصارحة أمام الإنسان فلا شك أنه ثقيل على النفس وأنه قد يؤثر فيك أن يقال لك: إنك امرؤ ضعيف، لكن الأمانة تقتضي هذا؛ أن يصرح للإنسان بوصفه الذي هو عليه إن قويا فقوى، وإن ضعيفا فضعيف، هذا هو النصح: "إنك امرؤ ضعيف" ولا حرج على الإنسان إذا قال لشخص مثلا: إن فيك كذا وكذا من باب النصيحة لا من باب السب والتعيير " ([2]).

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَعِضُّوهُ، وَلَا تَكْنُوا"؛ وذلك عندما رأى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَجُلًا تَعَزَّى عِنْدَه بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، افْتَخَرَ بِأَبِيهِ، فَأَعَضَّهُ بِأَبِيهِ، وَلَمْ يُكَنِّهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَمَا إِنِّي قَدْ أَرَى الَّذِي فِي أَنْفُسِكُمْ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ إِلَّا ذَلِكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَعِضُّوهُ، وَلَا تَكْنُوا" ([3])([4]).

وفي رواية لأحمد : عَنْ أُبَيٍّ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا اعْتَزَى فَأَعَضَّهُ أُبَيٌّ بِهَنِ أَبِيهِ، فَقَالُوا: مَا كُنْتَ فَحَّاشًا قَالَ: "إِنَّا أُمِرْنَا بِذَلِكَ " ([5]).

---

1 : مسلم، كتاب الإمارة، باب كَرَاهَةِ الْإِمَارَةِ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ، (3 / 1457 / رقم : 1825).

2 : ابن عثيمين، "شرح رياض الصالحين"، (4 / 11).

3: انظر :أحمد بن حنبل، "المسند"، (35 / 158 / رقم ك 21234)، والنسائي، "السنن الكبرى"، (8 / 136 / رقم : 8813)، وابن حبان، "صحيح ابن حبان"، (7 / 424 / رقم : 3153)، والنسائي، "السنن الكبرى"، (8 / 136 / رقم : 8813)، قال محقق "المسند" : (حديث حسن).

4 : وفي شرح الحديث يقول الهروي :" (مَنْ تَعَزَّى) أَيِ: انْتَسَبَ (بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ) : بِفَتْحِ الْعَيْنِ أَيْ: نَسَبِ أَهْلِهَا وَافْتَخَرَ بِآبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ (فَأَعِضُّوهُ) : بِتَشْدِيدِ الضَّادِ وَالْمُعْجَمَةِ مِنْ أَعْضَضْتُ الشَّيْءَ: جَعَلْتَهُ يَعَضُّهُ، وَالْعَضُّ أَخْذُ الشَّيْءِ بِالْأَسْنَانِ أَوْ بِاللِّسَانِ (بِهَنِ أَبِيهِ) : بِفَتْحِ الْهَاءِ وَتَخْفِيفِ النُّونِ، وَفِي النِّهَايَةِ: (الْهَنُ) بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ كِنَايَةٌ عَنِ الْفَرْجِ، أَيْ: قُولُوا لَهُ: اعْضُضْ بِذَكَرِ أَبِيكَ أَوْ أَيْرِهِ أَوْ فَرْجِهِ. (وَلَا تُكَنُّوا) : بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَضَمِّ النُّونِ، أَيْ: لَا تُكَنُّوا بِذِكْرِ الْهَنِ عَنِ الْأَيْرِ، بَلْ صَرِّحُوا بِآلَةِ أَبِيهِ الَّتِي كَانَتْ سَبَبًا فِيهِ تَأْدِيبًا وَتَنْكِيلًا". [الهروي، "مرقاة المفاتيح"، (7 / 3076 /ر قم: 4902)].

5 : أحمد، "المسند"، (35 / 142-143 / رقم : 21218)، وقال شعيب الأرنؤوط : (إسناده حسن).

وقد يقول قائل : كيف يصدر هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي نهى عن الفحش والتفحش، وقد أمره ربه سبحانه وتعالى بانتقاء أحسن الكلام : (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [الإسراء : 53] ؟

والجواب : أنّ هذا جاء على وجه العقوبة الشديدة لمن تعزّى بالجاهلية ؛ فإنّ الرجوع إليها وإلى أفكار أهلها وعاداتهم نوعٌ من الردّة الجزئية، وقد يكون مقدِّمةً إلى ردّة كلية عن الإسلام، فهو ذنبٌ عظيم، وجرمٌ خطير. قال الطحاوي : " فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَنْ سَمِعَه يَدْعُو بِدُعَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ مَا أَمَرَ بِهِ فِيهِ. فَقَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ تَقْبَلُونَ هَذَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتُمْ تَرْوُونَ عَنْهُ..."الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ "([1]). قَالَ: فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْبَذَاءَ فِي النَّارِ، وَمَعْنَى الْبَذَاءِ فِي النَّارِ هُوَ: أَهْلُ الْبَذَاءِ فِي النَّارِ ؛ لِأَنَّ الْبَذَاءَ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِذِكْرِهِ مَنْ هُوَ فِيهِ ؟

فَكَانَ جَوَابُنَا فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَوْنِهِ: أَنَّ الْبَذَاءَ الْمُرَادَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ خِلَافُ الْبَذَاءِ الْمُرَادِ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ الْبَذَاءُ عَلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُبْذَأَ عَلَيْهِ، فَمَنْ كَانَ مِنْهُ ذَلِكَ الْبَذَاءُ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْوَعِيدِ الَّذِي فِي الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ ذَلِكَ الْبَذَاءُ فِيهِ، وَأَمَّا الْمَذْكُورُ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ فَإِنَّمَا هُوَ عُقُوبَةٌ لِمَنْ كَانَتْ مِنْهُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ؛ لِأَنَّهُ يَدْعُو بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَهُوَ كَمَا كَانُوا يَقُولُونَ: يَا لَبَكْرٍ، يَا لَتَمِيمٍ، يَا لَهَمْدَانَ، فَمَنْ دَعَا كَذَلِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ كَانَ مُسْتَحِقًّا لِلْعُقُوبَةِ.... لِيَكُونَ ذَلِكَ اسْتِخْفَافًا بِهِ وَبِالَّذِي دَعَا إِلَيْهِ، وَلِيَنْتَهِيَ النَّاسُ عَنْ ذَلِكَ فِي الْمُسْتَأْنَفِ، فَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ" ([2]).

---

1 : الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الحياء، (4 / 365 / رقم : 2009)، وقال الترمذي : (هذا حديث حسن صحيح). وقال الألباني : (صحيح) ، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (1 / 609 / رقم : 3199).

2 : الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري (المتوفى: 321هـ)، "شرح مشكل الآثار "، تح : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415 هـ، 1494 م، (8 / 234-235). باختصار وتهذيب.

وقد أجاب الشيخ محمد صالح المنجد على هذا الإشكال بأمرين :

"الأول : أن هذا اللفظ الوارد في الحديث لم يستعمله النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، وهو لم يكن لابتداء الكلام به، بل هو عقوبة لقائله، أي أنه شُرع ردّاً على مرتكبٍ لمحرَّم، وهو التعصب الجاهلي.

الثاني : أن ما يوجد في شرع الله تعالى من عقوبات وحدود إنما يراد منها عدم وقوع المعاصي والآثام التي تُفسد على الناس حياتهم، فمن رأى قطع اليد عقوبةً شديدة فليعلم أنه بها يحفظ ماله من أهل السرقة، ومن استبشع الرجم للزاني المحصن فليعلم أنه به يأمن من تعدِّي أهل الفجور على عرضه، وهكذا بقية الحدود والعقوبات، ومثله يقال في الحد من التعصب الجاهلي للقبيلة، والآباء، والأجداد، فجاء تشريع هذه الجملة التي تقال لمن رفع راية العصبية الجاهلية ؛ لقطعها من الوجود، ولكف الألسنة عن قولها، وفي كل ذلك ينبغي النظر إلى ما تحققه تلك العقوبات والروادع من طهارة في الأقوال، والأفعال، والأخلاق، وهذا هو المهم لمن كان عاقلاً، يسعى لخلو المجتمعات من الشر وأهله" ([1]).

قال الصنعاني : " واعلم أن في ذكر أيْر أبيه والخطاب به بأن يَعَضَّ به نكتة شريفة، هي الإشارة إلى أن ليس لك أصل تنتمي إليه، وتهتف به إلا هذا الذي هو مخرجك، وليس لك فيه شيء من النصرة، ولا من إجابة ندائك، إلا أن نسد به فاك، حتى لا تنطق بما يكرهه الله ورسوله" ([2]).

---

1 : الشيخ محمد صالح المنجد، موقع الإسلام سؤال وجواب، تاريخ النشر : 22-09-2008، https://islamqa.info.

2 : الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف بالأمير (المتوفى: 1182هـ)، " التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ"، تح : د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1432 هـ - 2011 م، (2 / 64 / رقم : 629).

المطلب الثالث

الكلام مع الأهل بهدف الترويح والتسلية

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس لأهله، كما قال صلى الله عليه وسلم : "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي" ([1])، وكان يُعرف صلى الله عليه وسلم بملاطفته لأهله ومحبته لهم، وهذا من تمام خلقه وجميل طبعه، قال صلى الله عليه وسلم : "أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ" ([2]).

وقد تضمنت سنة النبي صلى الله عليه وسلم مواقف من الاستماع لأهله، والتحدث إليهم، حتى لو كان حديثهم طويلاً، كما في حديث أم زرع الطويل المشهور الذي سردته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يصغي إليها، ولا يقاطعها، والحديث قصة أدبية ألفاظها غريبة، فيها ألوان من البلاغة أبرزها السجع، وأكتفي في هذا المقام بصدر الحديث؛ لأنه طويل، فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لاَ يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا، قَالَتِ الأُولَى: زَوْجِي لَحْمُ جَمَلٍ غَثٍّ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ: لاَ سَهْلٍ فَيُرْتَقَى وَلاَ سَمِينٍ فَيُنْتَقَلُ، قَالَتِ الثَّانِيَةُ: زَوْجِي لاَ أَبُثُّ خَبَرَهُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ لاَ أَذَرَهُ، إِنْ أَذْكُرْهُ أَذْكُرْ عُجَرَهُ وَبُجَرَهُ، قَالَتِ الثَّالِثَةُ: زَوْجِيَ العَشَنَّقُ، إِنْ أَنْطِقْ أُطَلَّقْ وَإِنْ أَسْكُتْ أُعَلَّقْ... ومضت عائشة رضي الله عنها تقصُّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالته بقيّة النساء،

---

1 : رواه والترمذي، "السنن"، أبواب المناقب، باب فِي فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (5 / 709 / رقم : 3895) من حديث عائشة ، وابن ماجه، "السنن"، كتاب النكاح، باب حُسْنِ مُعَاشَرَةِ النِّسَاءِ، (1 / 636 / رقم : 1977)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، واللفظ لابن ماجه. وقال الألباني :(صحيح)،"صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (1 / 626 / رقم : 3314)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

2 : الترمذي، "السنن"، أبواب الرضاع، باب مَا جَاءَ فِي حَقِّ المَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا، (3 / 458 / رقم : 1162)، عن أبي هريرة، وقال الترمذي : (حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)، وابن ماجه، "السنن"، كتاب النكاح، باب حُسْنِ مُعَاشَرَةِ النِّسَاءِ، (1 / 636 / رقم : 1978)، واللفظ للترمذي. وقال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير"، (1 / 266-267 / رقم : 1232)، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع إليها، ثم علّق على هذه القصة بقوله : "كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ" ([1]) ([2]).

فقد أصغى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة رضي الله عنها، وهي تروي له هذه القصة الأدبية المشوقة التي تعطي مساحة لحق المرأة في التعبير عن ذاتها، والتفاعل مع الواقع من حولها، وهي لا شك قصة طويلة، فلم يقاطعها النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يعرض عنها، بل أبدا تجاوباً وانسجاماً وإعجاباً بعائشة رضي الله عنها، وهي تروي له مشاهد أولئك النسوة مع أزواجهنّ، ثم يعقب على هذا الكلام الطويل بكلام عذب جميل مليء بمشاعر الحب نحو عائشة رضي الله عنها قائلاً : (كنت لك كأبي زرع لأم زرع).

يصغي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه القصة الأدبية الطويلة، وهو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي بعثه الله تعالى للناس كافة بأعظم رسالة، وأعظم مهمة، فلا يعتذر لها عن السماع لكثرة أشغاله، وعظيم مهماته، فلا يشغله شيء من ذلك عن القيام بحق زوجته، كيف وهو الذي وجه أصحابه بقوله : " وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا " ([3]).

ومن خطابه الذي من حسن عِشرته: ما روته عَائِشَةُ، قَالَتْ: رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْبَقِيعِ، فَوَجَدَنِي وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي، وَأَنَا أَقُولُ: وَا رَأْسَاهُ، فَقَالَ: "بَلْ أَنَا يَا عَائِشَةُ وَا

---

1 : رواه الشيخان :البخاري،كتاب النكاح، بَابُ حُسْنِ المُعَاشَرَةِ مَعَ الأَهْلِ، (7 / 27 / رقم : 5189).ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب ذِكْرِ حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ، (4 / 1896 / رقم: 2448). واللفظ للبخاري.

2 : (غث) يعني: مهزول (على رأس جبل وعر) أي صعب الوصول إليه فالمعنى أنه قليل (إني أخاف أن لا أذره) فيه تأويلان أحدهما : إن الهاء عائدة على خبره، فالمعنى أن خبره طويل إن شرعت في تفصيله لا أقدر على إتمامه لكثرته. والثاني: أن الهاء عائدة على الزوج وتكون لا زائدة كما في قوله تعالى ما منعك أن لا تسجد ومعناه إني أخاف أن يطلقني فأذره. (عجره وبجره) المراد بهما عيوبه، وأصل العجر أن يتعقد العصب أو العروق حتى تراها ناتئة من الجسد، والبجر نحوها إلا أنها في البطن خاصة، واحدتها بجرة، ومنه قيل رجل أبجر إذا كان عظيم البطن، وامرأة بجراء والجمع بجر. (زوجي العشنق) العشنق هو الطويل ومعناه ليس فيه أكثر من طول بلا نفع. (إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق) إن ذكرت عيوبه طلقني، وإن سكت عنها علقني، فتركني، لا عزباء ولا مزوجة. (كنت لك كأبي زرع لأم زرع): قال العلماء: هو تطييب لنفسها وإيضاح لحسن عشرته إياها، ومعناه أنا لك كأبي زرع، وكان زائدة أو للدوام كقوله تعالى: (وكان الله غفورا رحيما) أي كان فيما مضى وهو باق كذلك. [انظر : النووي، " المنهاج شرح صحيح مسلم"، (15 / 212 – 222). وابن حجر، "فتح الباري"، (9 / 256 – 277)].

3 : البخاري، كتاب الصوم، بَابُ حَقِّ الضَّيْفِ فِي الصَّوْمِ ، (3 / 39 / رقم : 1974)، من حديث عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ.

رَأْسَاهُ" ثُمَّ قَالَ: "مَا ضَرَّكِ لَوْ مِتِّ قَبْلِي، فَقُمْتُ عَلَيْكِ، فَغَسَّلْتُكِ، وَكَفَّنْتُكِ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ، وَدَفَنْتُكِ" ([1]).

من الواضح أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد بكلامه هذا أن يدير حواراً مع عائشة فقام بممازحتها وملاطفتها مظهراً مكانتها عنده ؛ لو ماتت قبله فلسوف يحسن إليها أيما احسان ويكرمها أيّما إكرام، قال : (فَغَسَّلْتُكِ، وَكَفَّنْتُكِ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ، وَدَفَنْتُكِ)، وهذه مكرمة من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتمناها كل مسلم ومسلمة.

ومن خطابه صلى الله عليه وسلم الذي فيه حسن عشرته لأهله: ما روته عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى" قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: " أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لاَ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى، قُلْتِ: لاَ وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ " قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ ([2]).

إنه يراقب مزاج زوجه، ويراعي مشاعرها، فيدير معها حواراً لطيفاً ليس في كلماته أذىً، ولا شك أن هذا مما يُدخل السرور إلى قلب الزوجة، فإن مما تشكو منه بعض النساء أن أزواجهنّ كثيروا الانشغال لا وقت عندهم للكلام والحوار مع الأهل.

قال ابن حجر : " يُؤْخَذُ مِنْهُ اسْتِقْرَاءُ الرَّجُلِ حَالَ الْمَرْأَةِ مِنْ فِعْلِهَا وَقَوْلِهَا، فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَيْلِ إِلَيْهِ وَعَدَمِهِ، وَالْحُكْمُ بِمَا تَقْتَضِيهِ الْقَرَائِنُ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَزَمَ بِرِضَا عَائِشَةَ وَغَضَبِهَا، بِمُجَرَّدِ ذِكْرِهَا لِاسْمِهِ وَسُكُوتِهَا، فَبَنَى عَلَى تَغَيُّرِ الْحَالَتَيْنِ مِنَ الذِّكْرِ وَالسُّكُوتِ، تَغَيُّرَ الْحَالَتَيْنِ مِنَ الرِّضَا وَالْغَضَبِ" ([3]).

---

1 :ابن ماجه، "السنن"، كتاب الجنائز، بَابُ مَا جَاءَ فِي غَسْلِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَغَسْلِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا، (1 / 470 / رقم : 1465)، وأحمد، "المسند"، (43 / 81 / رقم : 25908). قال محقق المسند : (حديث حسن)، وقال الألباني : (حسن)، "مشكاة المصابيح"، (3 / 1684 / رقم : 5971). وبعضه عند البخاري بلفظ : (بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهْ)، البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، (9 / 80 / رقم : 7217) .

2: متفق عليه : البخاري، كتاب النكاح، بَابُ غَيْرَةِ النِّسَاءِ وَوَجْدِهِنَّ، (7 / 36 / رقم : 5228)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، بَابٌ فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا، (4 / 1890 / رقم : 2439).

3 : ابن حجر، "فتح الباري"، (9 / 326).

وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحض أصحابه ويوجههم إلى ملاطفة الأهل واللعب معهم، فعن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: هَلَكَ أَبِي وَتَرَكَ سَبْعَ أَوْ تِسْعَ بَنَاتٍ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَزَوَّجْتَ يَا جَابِرُ" قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: "بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا" قُلْتُ: ثَيِّبًا، قَالَ: "هَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ، أَوْ تُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ" قُلْتُ: هَلَكَ أَبِي فَتَرَكَ سَبْعَ أَوْ تِسْعَ بَنَاتٍ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً تَقُومُ عَلَيْهِنَّ، قَالَ: "فَبَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ" ([1]).

قال ابن الملقن : "وفيه: سؤال الإمام عن أحوال أصحابه في نكاحهم ومفاوضتهم في ذلك" ([2]).

1 : رواه الشيخان : البخاري، كتاب الدعوات، باب الدُّعَاءِ لِلْمُتَزَوِّجِ، (8 / 82 / رقم : 6387)، ومسلم كتاب الرضاع، باب اسْتِحْبَابِ نِكَاحِ الْبِكْرِ، (2 / 1088 / رقم :57)، واللفظ للبخاري.

2 : ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ)،" التوضيح لشرح الجامع الصحيح"، تح : دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق – سوريا، ط1، 1429 هـ – 2008 م، (24 / 214).

المطلب الرابع

الكلام مع الصاحب في السفر بهدف الترويح والتسلية

السفر مظنة التعب والملل، فالمسافر بحاجة إلى ما يخفف عنه، ويُنَشِّطه للسير، ويُذهِب عنه الملل، وقد قال صلى الله عليه وسلم : "السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ" ([1])، ومن لطيف ما يُروى من أخبار العرب أنّ رجلين اصطحبا في سفر فقال أحدهما للآخر : تحملني أم أحملك؟ – يعني : تُحدِّثني أم أُحدثك؟ ([2]) – يريد بذلك أنّ الحديث مع المسافر يُنشِّطه وينسِّيه بعض التعب والهمِّ.

ومن ذلك ما رواه جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ مُرْتَحِلًا عَلَى جَمَلٍ لِي ضَعِيفٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَتِ الرِّفَاقُ تَمْضِي، وَجَعَلْتُ أَتَخَلَّفُ حَتَّى أَدْرَكَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " مَا لَكَ يَا جَابِرُ؟ " قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَبْطَأَ بِي جَمَلِي هَذَا. قَالَ: " فَأَنِخْهُ "، وَأَنَاخَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: " أَعْطِنِي هَذِهِ الْعَصَا مِنْ يَدِكَ – أَوْ قَالَ: اقْطَعْ لِي عَصًا مِنْ شَجَرَةٍ – " قَالَ: فَفَعَلْتُ. قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَخَسَهُ بِهَا نَخَسَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: " ارْكَبْ "

---

1 : متفق عليه : البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب السُّرْعَةِ فِي السَّيْرِ، (4 / 58 / رقم : 3001). ومسلم، كتاب الإمارة، باب السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، وَاسْتِحْبَابِ تَعْجِيلِ الْمُسَافِرِ إِلَى أَهْلِهِ بَعْدَ قَضَاءِ شُغْلِهِ، (3 / 1526 / رقم : 1927). عن أبي هريرة.

2 : ورد هذا الكلام في سياق قصة أوردها ابن حمدون وهذا نصها : " ومن أخبار العرب في هذا المعنى أنّ شنّا كان رجلا من دهاة العرب، وكان ألزم نفسه أن لا يتزوّج إلا بامرأة تلائمه. فكان يجوب البلاد في ارتياد طلبته، فصاحبه رجل في بعض أسفاره. فلما أخذ منهما السير قال له شنّ: أتحملني أم أحملك؟ فقال له: يا جاهل، هل يحمل الراكب الراكب؟ فأمسك وسار حتى أتيا على زرع، فقال له شنّ: أترى هذا الزّرع أكل أم لا؟ فقال: يا جاهل، ألا تراه في سنبله؟ فأمسك إلى أن استقبلتهما جنازة، فقال له شنّ: أترى صاحبها حيّا أم لا؟ فقال له صاحبه: ما رأيت أجهل منك، أتراهم حملوا إلى القبر حيّا؟ ثم إنّهما وصلا إلى قرية الرجل فصار به إلى منزله، وكانت له بنت تسمّى طبقة، فأخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت له: ما نطق إلا بالصواب:أما قوله «تحملني أم أحملك؟" فإنّه أراد تحدّثني أم أحدّثك حتى نقطع الطريق؟

وأما قوله: «أترى هذا الزرع أكل أم لا؟" فإنه أراد هل استسلف ربّه ثمنه؟ وأما استفهامه عن حياة صاحب الجنازة فإنه أراد به: أخلّف عقبا يحيي ذكره أم لا.

فلما خرج إلى الرجل حدّثه بتأويل ابنته كلامه، فخطبها إليه، فزوّجه إيّاها، وسار إلى قومه بها، فلما خبروا ما فيها من الدهاء والفطنة قالوا: وافق شنّ طبقة، فصارت مثلا. هذا أحد الأقوال في تفسير هذا المثل وهو بعيد.

وقد قيل في تفسيره ما هو أسدّ من هذا، وهو مورد في باب الأمثال. [ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: 562هـ)، "التذكرة الحمدونية"، دار صادر، بيروت، ط1، 1417 هـ، (8 / 321)].

فَرَكِبْتُ، فَخَرَجَ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ يُوَاهِقُ نَاقَتَهُ مُوَاهَقَةً ([1])، قَالَ: وَتَحَدَّثَ مَعِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " أَتَبِيعُنِي جَمَلَكَ هَذَا يَا جَابِرُ؟ " قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَلْ أَهَبُهُ لَكَ. قَالَ: " لَا، وَلَكِنْ بِعْنِيهِ " قَالَ: قُلْتُ: فَسُمْنِي بِهِ. قَالَ: " قَدْ أَخَذْتُهُ بِدِرْهَمٍ "، قَالَ: قُلْتُ: لَا. إِذًا يَغْبِنُنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " فَبِدِرْهَمَيْنِ؟ " قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ الْأُوقِيَّةَ، قَالَ: قُلْتُ: فَقَدْ رَضِيتُ، قَالَ: " قَدْ رَضِيتَ؟ "، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ نَعَمْ قُلْتُ: هُوَ لَكَ، قَالَ: " قَدْ أَخَذْتُهُ "، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي: " يَا جَابِرُ، هَلْ تَزَوَّجْتَ بَعْدُ " قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " أَثَيِّبًا، أَمْ بِكْرًا " قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: " أَفَلَا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا، وَتُلَاعِبُكَ " قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ أَبِي أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ بَنَاتٍ لَهُ سَبْعًا، فَنَكَحْتُ امْرَأَةً جَامِعَةً تَجْمَعُ رُءُوسَهُنَّ، وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ، قَالَ: " أَصَبْتَ إِنْ سَتَكُونُ، فَإِذَا أَنْتَ قَدِمْتَ فَاعْمَلْ عَمَلًا كَيِّسًا "، قَالَ: فَلَمَّا جِئْنَا صِرَارًا أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَزُورٍ فَنُحِرَتْ، فَأَقَمْنَا عَلَيْهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَلَمَّا أَمْسَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ وَدَخَلْنَا، قَالَ: فَأَخْبَرْتُ الْمَرْأَةَ الْحَدِيثَ، وَمَا قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: فَدُونَكَ فَسَمْعًا وَطَاعَةً، قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخَذْتُ بِرَأْسِ الْجَمَلِ، فَأَقْبَلْتُ بِهِ حَتَّى أَنَخْتُهُ عَلَى بَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَرِيبًا مِنْهُ قَالَ: وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَأَى الْجَمَلَ فَقَالَ: " مَا هَذَا؟ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا جَمَلٌ جَاءَ بِهِ جَابِرٌ، قَالَ: " فَأَيْنَ جَابِرٌ؟ " فَدُعِيتُ لَهُ، قَالَ: " تَعَالَ أَيْ ابْنَ أَخِي، خُذْ بِرَأْسِ جَمَلِكَ فَهُوَ لَكَ " قَالَ: فَدَعَا بِلَالًا، فَقَالَ: " اذْهَبْ بِجَابِرٍ، فَأَعْطِهِ أُوقِيَّةً " فَذَهَبْتُ مَعَهُ، فَأَعْطَانِي أُوقِيَّةً، وَزَادَنِي شَيْئًا يَسِيرًا، قَالَ: فَوَاللهِ مَازَالَ يَنْمِي عِنْدَنَا، وَنَرَى مَكَانَهُ مِنْ بَيْتِنَا حَتَّى أُصِيبَ أَمْسِ فِيمَا أُصِيبَ النَّاسُ، يَعْنِي يَوْمَ الْحَرَّةِ " ([2]).

وهذا الحديث يُظهر لُطف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكمال رحمته، وعظيم علمه بمواقع الكلام، ومناسبته للحال والمقام، فالمقام مقام سفر، والسفر فيه تعبٌ ومشقةٌ ومللٌ من طول السير، وجابر كان شاباً، فنجد كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مناسباً لحال المسافر ولحال الشاب، فكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلاطف جابراً ويؤنسه بكلام أشبه بالدعابة، فقد اتضح في آخر القصة

---

1 : أَيْ يُبَارِيهَا فِي السَّيْر ويُماشيها. ومُوَاهَقَةُ الْإِبِلِ: مَدُّ أعناقِها فِي السَّيْر. [ابن الأثير، "النهاية"، (5 / 233)].

2 : أحمد بن حنبل، "المسند"، (23 / 270- 272 / رقم : 15026)، قال المحقق : (حديث صحيح).

أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يساوم جابراً في ثمن جمله، إنما أراد ملاطفته والتخفيف عنه ولم يكن يريد شراء الجمل.

ورأينا كيف كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكلّم جابراً بكلامٍ يُحبه الشباب وهو الكلام عن الزواج، وهو بذلك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلّمنا فنّ التعامل والتخاطب مع الآخرين ومراعاة الأحوال والظروف في الكلام معهم.

المطلب الخامس

غناءُ العُرسِ والعيد

من عظمة السنة النبوية، وعظمة صاحبها عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم، أنها منهج تعليميّ وتربوي كامل يتناول كل جوانب الحياة، من الحياة الزوجية إلى العلاقات الدولية، وهذا من أعظم الأدلة على صدق رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم وشمولها وتوازنها ؛ إذ لم تُهمل جانباً من جوانب الحياة حتى جانب التسلية والترفيه والترويح عن النفس، والمرح في الأعراس والأعياد.

ويعلمنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الكلمة لها رسالة في بناء العلاقات بين الناس بإدخال السرور إلى قلوبهم، إذا جاءت في الوقت المناسب وفي المكان المناسب، فإن لكل مقام مقالاً.

عن عروة بن الزبير عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا زَفَّتِ امْرَأَةً إِلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا عَائِشَةُ، مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ؟ فَإِنَّ الأَنْصَارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوُ" ([1]).

وفي رواية عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَنْكَحَتْ عَائِشَةُ ذَاتَ قَرَابَةٍ لَهَا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "أَهْدَيْتُمُ الْفَتَاةَ؟" قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: "أَرْسَلْتُمْ مَعَهَا مَنْ يُغَنِّي"، قَالَتْ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ الْأَنْصَارَ قَوْمٌ فِيهِمْ غَزَلٌ، فَلَوْ بَعَثْتُمْ مَعَهَا مَنْ يَقُولُ: أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيَّانَا وَحَيَّاكُمْ " ([2]).

وفي رواية الطبراني عن عروة بن الزبير عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَا فَعَلَتْ فُلَانَةُ؟" – لِيَتِيمَةٍ كَانَتْ عِنْدَهَا–، فَقُلْتُ: أَهْدَيْنَاهَا إِلَى زَوْجِهَا قَالَ: "فَهَلْ بَعَثْتُمْ مَعَهَا بِجَارِيَةٍ تَضْرِبُ بِالدُّفِّ، وَتُغَنِّي؟" قَالَتْ: تَقُولُ مَاذَا؟ قَالَ: "تَقُولُ:

أَتَيْنَـاكُمْ، أَتَيْنَـاكُمْ... فَحَيُّونَـا، نُحَيِّيـــكُمْ

---

1 : البخاري، كتاب النكاح، بَابُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي يَهْدِينَ المَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا وَدُعَائِهِنَّ بِالْبَرَكَةِ، (7 / 22 / رقم : 5162).

2 : انظر : ابن ماجه، "السنن"، كتاب النكاح، بَابُ الْغِنَاءِ وَالدُّفِّ، (1 / 612 / رقم : 1900). قال الألباني : (ضعيف)، الألباني، " ضعيف الجامع الصغير وزيادته"، المكتب الإسلامي، (1 / 205 / رقم : 1420). أحمد بن حنبل، "المسند"، (23/ 379=380 / رقم : 15209)، وهو حديث حسن لغيره كما قاله شعيب الأرنؤوط، يشهد له حديث جابر عند احمد بن حنبل، ويشهد له الحديثان اللذان بعده.

لَوْلَا الذَّهَبُ الْأَحْمَرُ... مَا حَلَّتْ بِوَادِيــكُمْ

وَلَوْلَا الْحَبَّةُ السَّمْرَاءُ ([1])... مَا سَمِنَتْ عَذَارِيكُمْ ([2])" ([3]).

إنّ العيد يوم متميز في حياة الأمة، طابعه السرور والمرح والخروج على المألوف من لُبس الملابس الجديدة، وربما الثمينة، والتمتع بالطعام والشراب، والإكثار من الزيارات واللعب والمرح، فناسب في هذا المقام أن يكون الغناء من جُملة ما يُباح من اللهو في العيد، وهذا إذا علمنا أن لكل قوم عيداً يخرجون فيه على المألوف من حياتهم ويجتهدون في الإتيان بالجديد، وربما يفعلون ذلك محاولة منهم نسيانَ مشاكلهم وطرد همومهم ، ولمّا هاجر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة وجد لأهلها عيدين يحتفلون فيهما فبيّن لهم أنّ الله قد أبدلهما بهما خيراً منهما عيد الفطر وعيد الأضحى، فعن عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَقَالَ: مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟ قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ " ([4]).

قال العظيم آبادي : "وَسُمِّيَ عِيدًا لِعَوْدِهِ وَتَكَرُّرِهِ، وَقِيلَ لِعَوْدِ السُّرُورِ فِيهِ، وَقِيلَ تَفَاؤُلًا بِعَوْدِهِ عَلَى مَنْ أَدْرَكَهُ كَمَا سُمِّيَتِ الْقَافِلَةُ حِينَ خُرُوجِهَا تَفَاؤُلًا لِقُفُولِهَا سَالِمَةً وَهُوَ رُجُوعُهَا" ([5]).

فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ ([6])، فَاضْطَجَعَ عَلَى الفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ:

---

1 : وَالسَّمْرَاءُ: أَيِ الْحَمْرَاءُ وَالسُّمْرَةُ بَيَاضٌ يَخْتَلِطُهُ حُمْرَةٌ. [القاري، " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، (5 / 2073 / رقم : 3155)].

2 : عَذَارِيكُمْ : بَنَاتُكُمُ الْبِكْرُ. [القاري،" مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، (5 / 2073 / رقم : 3155)].

3 : الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (المتوفى: 360هـ)، "المعجم الأوسط"، تح : طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة، (3 / 315). قال الألباني : (حسن)، " إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل"، (7 / 51 / رقم : 1995).

4 : أبو داود، "السنن"، كتاب الصلاة، باب صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ، (1 / 295 / رقم : 1134). قال الألباني : (إسناده صحيح على شرط مسلم)، "صحيح أبي داود – الأم"، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1423 هـ – 2002 م، (4 / 297 / رقم : 1039).

5 : العظيم آبادي، "عود المعبود شرح سنن أبي داود"، (3 / 341).

6 : بُعَاث: هُوَ بِضَمِّ الْبَاءِ، يَوْمٌ مَشْهُورٌ كَانَ فِيهِ حَرْب بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ. وبُعاث اسْمُ حِصْنٍ لِلْأَوْسِ. [ابن الأثير، "النهاية"، (1 / 139)].

مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "دَعْهُمَا"، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا، فَخَرَجَتَا" ([1]). وفي رواية: " دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ، وَتِلْكَ الأَيَّامُ أَيَّامُ مِنًى" ([2]).

قال القسطلاني : في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يا أبا بكر "دَعْهُمَا" : "أي الجاريتين، فعرّفه عليه الصلاة والسلام الحال مقرونًا ببيان الحكمة بأنه يوم عيد، أي يوم سرور شرعي. فلا ينكر فيه مثل هذا، كما لا ينكر في الأعراس" ([3]).

قال المطيري : "وأقرهما لأنهما جاريتان غير مكلفتين تغنيان بغناء الأعراب الذي قيل في يوم حرب بعاث من الشجاعة والحرب، وكان اليوم يوم عيد" ([4]).

قال ابن الدماميني : في قول أبي بكر : (مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ)، "وهذا من الصدِّيق – رضي الله عنه – إنكارٌ لما سمع مُعتمداً على ما تقرَّر عنده من تحريم اللهو والغناء مطلقاً، ولم يعلم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قرَّرَهُنَّ على هذا النزر اليسير، وأنه ليس من قبيل المنكر، وعند ذلك قال له النبي – صلى الله عليه وسلم –: (دعهما)، ثم علل له الإباحة بأنه يوم عيد؛ أي: يوم سرور وفرح شرعي، فلا يُنْكَر فيه مثلُ هذا" ([5]).

ونلاحظ أن ما أباحه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غناء ولهو في هاتين المناسبتين – العيد والعرس – توفر فيه وصفان، الأول : أنه هادفٌ يساهم في إدخال السرور في النفوس وتقوية العلاقات بين الناس. الثاني : أنه منضبط غير خارج عن حدود الشريعة وآدابها.

---

1 : متفق عليه : البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدَّرَقِ، (4 / 39 / رقم : 2906)، ومسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرُّخْصَةِ فِي اللَّعِبِ الَّذِي لَا مَعْصِيَةَ فِيهِ فِي أَيَّامِ الْعِيدِ، (2 / 609 /رقم : 892). واللفظ للبخاري.

2 : البخاري، أبواب العيد، باب : إذا فاته العيد صلى ركعتين..، (2 / 23 / رقم : 987).

3 : القسطلاني، " إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"، (2 / 205).

4 : المطيري، أبو عمر علي بن عبد الله بن شديد الصياح، "إشكال وجوابه في حديث أم حرام بنت ملحان"، دار المحدث للنشر والتوزيع، ط1، ذو القعدة 1425 هـ، (ص : 32).

5 : ابن الدماميني، محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين (المتوفى: 827 هـ)، " مصابيح الجامع"، تح : نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط1، 1430 هـ – 2009 م، (3 / 9).

المطلب السادس

هجاء المشركين

نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن السب والشتم والطعن واللعن، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ "([1])، لكن لما كان من أخبث أساليب المشركين الحرب الإعلامية على الإسلام ورسول الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وأمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهم، وقد قال الله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الصف : 8]، إشارة إلى الحرب الإعلامية التي يشنها أعداء الإسلام وشدة خطرها، فقد شرع لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نقابلهم بالسلاح نفسه، ولذلك كان لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعراء يهجون المشركين ويذبّون عن الإسلام وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أشهرهم : حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك.

وقد حرَّض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين على مواجهة المشركين بألسنتهم كما يواجهونهم بأسنّتهم وسيوفهم، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ" ([2])، وهذا كلام في غاية الدقة ومنتهى الحِكمة، فقد بيّن فيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ المعركة الإعلامية لا تقل خطورة عن المعركة العسكرية، ولعلنا في أيامنا هذه ندرك هذا المعنى أكثر من أيّ وقت مضى، فإن أعداء الإسلام قد ابتكروا الأساليب الإعلامية المتنوعة المرئية والمسموعة والمقروءة ليشوهوا الإسلام والقرآن والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتاريخ وكل ما يمتّ إلى هذه الأمة بصلة.

إنّ مواجهة أعداء الإسلام إعلامياً بحاجة إلى جنود مدربين معدّين إعداداً يناسب مستوى العصر الذي نعيشه الآن، فهل يقوم العلماء والدعاة من شباب وكهول وشيوخ الإسلام نساءً ورجالاً بواجبهم في نصرة دينهم ونبيّهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!

---

1 : الترمذي، "السنن"، أبواب البر والصلة، باب مَا جَاءَ فِي اللَّعْنَةِ، (4 / 350 / رقم : 1977). قال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (2 / 949، 5381).

2 : أبو داود، "السنن"، كتاب الجهاد، باب كَرَاهِيَةِ تَرْكِ الْغَزْوِ، (3 / 10 / رقم : 2504)، والنسائي، "السنن"، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، (6 / 7 / رقم : 3096). قال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته "، (1 / 593 / رقم : 3090).

وقد ورد أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتأذوْن بهجاء المشركين لهم، وذلك أن المشركين لا يتورعون عن الإسفاف في القول والكذب فيه وقول الباطل، فعن عَمَّارٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا هَجَانَا الْمُشْرِكُونَ، شَكَوْنَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " قُولُوا لَهُمْ كَمَا يَقُولُونَ لَكُمْ " قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا نُعَلِّمُهُ إِمَاءَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ " ([1]).

وقد كان حسان بن ثابت هو البطل المغوار في هذا الميدان، فقد حظيَ بدعمٍ وتشجيعٍ من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليسدّ ثغرة خطيرة، ينفذ من خلالها أعداء الله، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ" فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ: "اهْجُهُمْ" فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ حَسَّانُ: قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ، ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَفْرِيَنَّهُمْ ([2]) بِلِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ ([3])، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي" فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ لِحَسَّانَ: "إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ"، وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى ([4])" قَالَ حَسَّانُ:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ... وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَـــزَاءُ

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا... رَسُولَ اللهِ شِيمَتُهُ الْوَفَـــــاءُ

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَـــــاءُ

---

1 : رواه ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان (المتوفى: 235هـ)، " مسند ابن أبي شيبة "، تح ك عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن – الرياض، ط1، 1997م، (292/1/رقم : 439). وأحمد بن حنبل، "المسند"، (30 / 246 / رقم : 18314). قال المحقق : (إسناده ضعيف).

2 : لَأُمَزِّقَنَّ أَعْرَاضَهُمْ تَمْزِيقَ الْجِلْدِ. [النووي، " المنهاج شرح صحيح مسلم"، (16 / 49)].

3 : أَيْ لَأُمَزِّقَنَّ أَعْرَاضَهُمْ تَمْزِيقَ الْجِلْدِ، [النووي، " المنهاج شرح صحيح مسلم "، (16 / 49)].

4 : أَيْ شَفَى الْمُؤْمِنِينَ، وَاشْتَفَى هُوَ بِمَا نَالَهُ مِنْ أَعْرَاضِ الْكُفَّارِ وَمَزَّقَهَا وَنَافَحَ عن الاسلام والمسلمين. [النووي، " المنهاج شرح صحيح مسلم "، (16 / 49)].

تَكِلْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا... تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَنَفَيْ كَـــدَاءِ

يُبَارِينَ الْأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ... عَلَى أَكْتَـــافِهَا الْأَسَلُ الظِّمَـاءُ

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ..... تُلَطِّمُـهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَـــاءُ

فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا... وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَـاءُ

وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ... يُعِزُّ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَـــاءُ

وَقَالَ اللهُ: قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا... يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَـــاءُ

وَقَالَ اللهُ: قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا... هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَـاءُ

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ... سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَـــاءُ

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَـــوَاءُ

وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِينَا... وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَـاءُ " ([1]).

وإذا كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أباح للمسلمين أن يهجوا المشركين، فيستعملوا السلاح نفسه الذي يحاربهم به المشركون، فليس معنى ذلك أن يكْذب المسلمون وأن يقولوا الباطل، فهذا من الحرام الذي لا يباح، فإنَّ المسلم لا يمكن أن ينزل إلى مستوى المشرك وقد قال الله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر : 20].

قال النووي : " قَالَ الْعُلَمَاءُ: يَنْبَغِي أَنْ لَا يُبْدَأَ الْمُشْرِكُونَ بِالسَّبِّ وَالْهِجَاءِ مَخَافَةً مِنْ سَبِّهِمُ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام : 108]،وَلِتَنْزِيهِ أَلْسِنَةِ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْفُحْشِ إِلَّا أَنْ تدعو إلى ذلك ضرورة لابتدائهم به فيكف أَذَاهُمْ" ([2]).

---

1 : مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فَضَائِلِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، (4 / 1935 / رقم : 2490). وسبق بيان الغريب لهذه الأبيات في صفحة : 31.

2 : النووي، " المنهاج شرح صحيح مسلم"، (16 / 48-49).

المطلب السابع

أدب المزاح

المزاح بضوابطه وأصوله وآدابه من أسباب إدخال السرور إلى نفوس الآخرين، من أهلٍ وأصدقاءٍ ورفقاء، وإدخال السرور إلى النفوس إذا حَسُنت النيّة هي عبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله، وتوطئة مهمة يقوم بها الدعاة إلى الله تعالى مع المدعوين، لتهيئتهم لقبول الدعوة، ويقوم بها المربّون من آباء وأمهات، ومعلمين وعلماء مع أبنائهم وتلامذتهم ومن يقومون على إصلاحهم، وترك المزاح بالكلية قد يكون سبباً في انفضاض المدعوين من حول الداعية والأبناء من حول الآباء والأمهات. وقد يكون سبب ترك المزاح فظاظة في الخُلق وغِلظة في القلب، وقد قال الله تعالى لنبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران : 159].

ومن آيات الله تعالى في خَلق الإنسان ونِعمه عليه آية الضحك وقد قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم : 43]، والمزاح سببٌ من أسباب الضحك، والضحك له فوائده النفسية والصحية والاجتماعية وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ" ([1]).

ولقد كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في المزاح أحسن الهدي ولا يمزح إلا بحق، وما تراه إلا متبسماً، يقول عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الحَارِثِ بْنُ جَزْء : "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" ([2])، قال المباركفوري : " أَيْ لِأَنَّ شَأْنَ الكمل إظهار الِانْبِسَاطِ وَالْبِشْرِ لِمَنْ يُرِيدُونَ تَأَلُّفَهُ وَاسْتِعْطَافَهُ" ([3]).

---

1 : الترمذي، "السنن"، أبواب البر والصلة، باب مَا جَاءَ فِي صَنَائِعِ المَعْرُوفِ، (4 / 339 / رقم : 1956). وقال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (1 / 561 / رقم : 2908).

2 : الترمذي، "السنن"، أبواب المناقب، باب في بشاشة النبي صلى الله عليه وسلم، (5 / 601 / رقم : 3641)، قال الترمذي : (هذا حديث غريب). من حديث أبي ذر الغفاري. وقال الألباني : (صحيح)، الترمذي، "مختصر الشمائل المحمدية"، تح : محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، الأردن – عمان، (ص :120).

3 : المباركفوري، "تحفة الأحوذي"، (10 / 86-87).

وروي عنه أنه أتاه رجل فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ، احْمِلْنِي، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ" قَالَ: وَمَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقُ" ([1]). فيتبين من ذلك موقفه كيف مازحه صلى الله عليه وسلم ولاطفه وداعبه.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرى المزاح بين أصحابه فيقرهم عليه ولا ينكره، وربما يشاركهم، فعن أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، عن رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، وَكَانَ فِيهِ مِزَاحٌ، بَيْنَا يُضْحِكُهُمْ، فَطَعَنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَاصِرَتِهِ بِعُودٍ فَقَالَ: أَصْبِرْنِي ([2]) فَقَالَ: "اصْطَبِرْ"، قَالَ: إِنَّ عَلَيْكَ قَمِيصًا، وَلَيْسَ عَلَيَّ قَمِيصٌ، "فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَمِيصِهِ، فَاحْتَضَنَهُ وَجَعَلَ يُقَبِّلُ كَشْحَهُ ([3])"، قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ([4]).

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أنه كان يمازح الأطفال ويداعبهم وذلك من تواضعه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أحسنَ الناسِ خُلُقًا، وكان لي أخٌ يُقالُ له أبو عُمَيرٍ – قال: أحسِبُه – فَطيمٌ، وكان إذا جاء قال: "يا أبا عُمَيرٍ، ما فعَل النُّغَيرُ؟ نُغَرٌ كان يَلعَبُ به" ([5])، قال ابن حجر : "وَفِيهِ جَوَازُ الْمُمَازَحَةِ، وَتَكْرِيرِ الْمَزْحِ، وَأَنَّهَا إِبَاحَةُ سُنَّةٍ لَا رُخْصَةٌ، وَأَنَّ مُمَازَحَةَ الصَّبِيِّ الَّذِي لَمْ يُمَيِّزْ جَائِزَةٌ، وَتَكْرِيرُ زِيَارَةِ الْمَمْزُوحِ مَعَهُ، وَفِيهِ تَرْكُ التَّكَبُّرِ وَالتَّرَفُّعِ، وَالْفرق بَين كَون الْكَبِير فِي الطَّرِيق فيتواقر أَوْ فِي الْبَيْتِ فَيَمْزَحُ" ([6]).

ومن ذلك : عَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ: "عَقَلْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ" ([7]).

---

1 : أبو داود، "السنن "، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح، (4 / 300 / رقم : 4998)، قال الألباني : (صحيح)، "مشكاة المصابيح"، (3 / 1369 / رقم : 4886)، عن أنس بن مالك.

2 : أَيْ أَقِدني مِنْ نَفْسِك.. يُقَالُ صَبَرَ فلانٌ مِنْ خَصْمه واصْطَبَرَ : أَي اقْتَصَّ مِنْهُ. [ابن الأثير،"النهاية"، (3 / 8)].

3 : الكَشْح: الخَصْر. [ابن الأثير، "النهاية"، (4 / 175)].

4 : أبو داود، "السنن"، أبواب النوم، باب قبلة الجسد، (4 / 356 / رقم : 5224)، وقال الألباني : (صحيح)، "مشكاة المصابيح"، (3 / 1328 / رقم : 4685).

5 : سبق تخريجه صفحة : 67 .

6 : ابن حجر، "فتح الباري"، (10 / 584).

7 : البخاري، كتاب العلم، بَابٌ: مَتَى يَصِحُّ سَمَاعُ الصَّغِيرِ؟، (1 / 26 / رقم : 77).

ومن ذلك : عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: رُبَّمَا قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا ذَا الأُذُنَيْنِ". قَالَ أَبُو أُسَامَةَ: يَعْنِي يُمَازِحُهُ ([1]).

وللمزاح آداب يجب على الإنسان المسلم أن يراعيها، وإليك مجموعة من هذه الآداب :

الصدق في المزاح :

فالمسلم يبتعد عن الكذب في المزاح، وقد رغّب النبي صلى الله عليه وسلم في الصدق وخاصة في المزاح، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ" ([2]).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنِّي لأمزح، ولا أقول إلَّا حقًّا" ([3])، قال المناوي وهو يشرح هذا الحديث: "إنِّي لأمزح. أي: بالقول، وكذا بالفعل، وتخصيصه بالأوَّل ليس عليه مُعَوَّل. ولا أقول إلَّا حقًّا. لعصمتي عن الزَّلل في القول والعمل.. وقيل لابن عيينة: المزَاح سُبَّة. فقال: بل سُنَّة، ولكن مَن يُحْسِنه. وإنَّما كان يمزح لأنَّ النَّاس مأمورون بالتَّأسِّي به، والاقتداء بهديه، فلو ترك اللَّطافة والبشاشة، ولزم العُبُوس والقُطُوب، لأخذ النَّاس مِن أنفسهم بذلك على ما في مخالفة الغريزة من الشَّفَقة والعناء، فمَزح ليمزحوا" ([4]).

الاعتدال في المزاح:

---

1 : رواه الترمذي، "السنن"، أبواب المناقب، بَابُ مَنَاقِبِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، (5 / 681 / رقم : 3828)، وأبو داود، "السنن"، كتاب الآداب، باب مَا جَاءَ فِي الْمِزَاحِ، (4 / 301 / رقم : 5002)، وقال الترمذي : (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ). واللفظ للترمذي، وقال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (2 / 1310 / رقم : 7909).

2 : أبو داود، "السنن"، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، (4 / 253 / رقم : 4800)، وقال الألباني : (حسن)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (1 / 306 / رقم : 1464).

3 ، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (المتوفى: 360هـ)، "المعجم الصغير"، تح : : محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي , دار عمار – بيروت، عمان، ط1، 1405 – 1985، (2 / 59/ رقم : 779). قال الهيثمي : (إسناده حسن)، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ)، " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، تح : حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ، 1994 م ، (9، 89 / رقم : 13105). وقال الألباني : (صحيح)، " صحيح الجامع الصغير وزياداته"، (1 / 489 / رقم : 2490).

4 : المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف (المتوفى: 1031هـ)، " فيض القدير شرح الجامع الصغير"، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط1، 1356م، (3 / 13 / رقم : 2626).

ومن الهدي النبوي الاعتدال والتوسط حتى في المزاح، قال صلى الله عليه وسلم: "لَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ القَلْبَ" ([1])، قال النووي : " قال العلماء : اعْلَمْ أَنَّ الْمُزَاحَ الْمَنْهِيَّ عَنْهُ هُوَ الَّذِي فِيهِ إِفْرَاطٌ وَيُدَاوَمُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُورِثُ الضَّحِكَ وَقَسْوَةَ الْقَلْبِ، وَيَشْغَلُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَالْفِكْرِ فِي مُهِمَّاتِ الدِّينِ، وَيَؤُولُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ إِلَى الْإِيذَاءِ، وَيُورِثُ الْأَحْقَادَ، وَيُسْقِطُ الْمَهَابَةَ وَالْوَقَارَ، فَأَمَّا مَا سَلِمَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، فَهُوَ الْمُبَاحُ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَفْعَلُهُ فِي نادر من الأحوال لِمَصْلَحَةِ تَطْيِيبِ نَفْسِ الْمُخَاطَبِ وَمُؤَانَسَتِهِ، وهذا لا منع قطعا، وَهُوَ سُنَّةٌ مُسْتَحَبَّةٌ " ([2]).

البعد عن السخرية:

والمسلم يبتعد في مزاحه ولهوه عن السخرية والاستهزاء بالآخرين، أو تحقيرهم، أو إظهار بعض عيوبهم بصورة تدعو للضحك والسخرية، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات: 11].

والسخرية أعظم ما تكون في قضايا الدين مثل ما ينتشر بين بعض أبناء المسلمين في أيامنا هذه، فيضع أحدهم نُكتاً يكون فيها استهزاء بالدين وأهله، وقد حذر الله تعالى من ذلك أشد التحذير قال الله تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦﴾ [التوبة :65-66].

النية الطيبة في المزاح:

---

1 : الترمذي، أبواب الزهد، باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، (4 / 551 / رقم : 2305)، قال الترمذي : (هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ)، وقال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (2 / 1239 / رقم: 7435).

2 : النووي، "الأذكار"، تح : عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر، بيروت – لبنان، (ص: 326).

والمسلم إذ يمزح يفعل ذلك ؛ مؤانسة لأصحابه، وتوداً لهم، وللتخفيف عن النفس وإبعاد السأم والملل عنها، لحديث النبي صلى الله عليه وسلم : " أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٍ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ" ([1]).

1 : الطبراني، "المعجم الأوسط"، (6 / 139 / رقم : 6026)، والطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (المتوفى: 360هـ)، "المعجم الكبير"، تح : حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط2، (12 / 453 / رقم : 13646). والطبراني، "المعجم الصغير"، (2 / 106 / رقم : 861)، وقال الألباني : (حسن)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (1 / 97 / رقم : 176)، من حديث ابن عمر.

المطلب الثامن

أدب النقد والنصح

للنصيحة والنقد مكانة وأي مكانة، فإنّ قِوَامَ الدين بالنصيحة للناس، فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ" قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: "لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" ([1])، وأكثر الناس نصحاً للناس هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الإعراف : 62]، وكان الصحابة رضي الله عنهم يبايعون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على النصيحة لكل مسلم، فعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ" ([2]).

وللنصيحة والنقد آداب يجب مراعاتها، لمن أراد ان ينصح الناس أو ينقدهم :

الرفق واللين

وبدا ذلك واضحاً في قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، وكيف أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما ناداه ونصحه بالرفق واللين، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ" فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: "إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ"، قَالَ:

---

1 : مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، (1 / 74 / رقم : 55).

2 : متفق عليه : البخاري، كتاب الشروط، باب مَا يَجُوزُ مِنَ الشُّرُوطِ فِي الإِسْلاَمِ وَالأَحْكَامِ وَالمُبَايَعَةِ، (3 / 189 / رقم : 2715)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، (1 / 75 / رقم : 56).

فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ ([1]) عَلَيْهِ". هذا لفظ مسلم. وفي رواية البخاري "دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ" ([2]).

ودعا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الرفق في الأمور كلها، ومن ذلك الرفق في النصيحة والنقد، فعن عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ ([3]) مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ ([4]) عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ" فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ " ([5]).

البعد عن تتبع العورات والتعيير

وينبغي أن يتفقد الناصح نيته، فيحذر من أن يجرّه الشيطان إلى تتبع عورات المسلمين، وتعييرهم، مُظهراً نفسه أمامهم بثوب الناصح، وهو في حقيقة الأمر معيّرٌ وشامتٌ ومتتبعٌ لعوراتهم، وفرحٌ بزلاتهم، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ"، قَالَ: وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى البَيْتِ أَوْ إِلَى الكَعْبَةِ فَقَالَ: "مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكِ" ([6]). وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

1 : الشَّنُّ: الصَّبُّ المُنْقَطِع، [ابن الأثير، "النهاية"، (2 / 507)].

2 : البخاري، كتاب الأدب، باب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا"، (8 / 30 / رقم : 6128)، من حديث أبي هريرة. ومسلم، كتاب الطهارة، باب وُجُوبِ غُسْلِ الْبَوْلِ وَغَيْرِهِ مِنَ النَّجَاسَاتِ إِذَا حَصَلَتْ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَنَّ الْأَرْضَ تَطْهُرُ بِالْمَاءِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى حَفْرِهَا، (1 / 236 / رقم : 285).

3 : والرَّهْطُ مِنَ الرِّجَالِ مَا دُون العَشْرة، وَقِيلَ إِلَى الأَرْبعين وَلَا تكونُ فِيهِمُ امرأَةٌ، [ابن الأثير، "النهاية"، (2 / 283)].

4 : السَّامُ : المَوت، [انظر : ابن الأثير، "النهاية "، (2 / 404)].

5 : سبق تخريجه ص : 70 .

6 : الترمذي، "السنن"، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن، (4 / 378 / رقم : 2032). وقال الترمذي : (حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ). وقال الألباني : (صحيح)، انظر : "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (2 / 1323).

وَسَلَّمَ : " وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ" هذا على سبيل المشاكلة، أي عاقبه بأن كشف عيوبه، فالجزاء من جنس العمل ([1]).

فلا تكون النصيحة تعييراً وفضيحة، وإظهاراً لعيوب الآخرين وشماتة فيهم، وفرحاً بزلتهم وقد زجر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا ذرٍ وقال له : " إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ" ؛ وذلك عندما عيّر رجلاً بأمه، فعن المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ" ([2]).

كما نهى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلم أن يشمت بأخيه المسلم عند وقوعه في الزلل والخطيئة، فعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيَرْحَمَهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ" ([3]).

والفرق كبيرٌ بين النصحية والتعيير ؛ فالنصيحة إرادة الخير بالمنصوح، وهو من أخلاق المؤمنين، والناصح مأجورٌ، أمّا التعيير فالمراد منه الذمُّ والتحقير، وهو من أخلاق المتكبرين، وصاحب هذا الخلق مذمومٌ، وآثمٌ غير مأجور ([4])، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ.. بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ" ([5]).

---

1 : انظر : المباركفوري، "تحفة الأحوذي"، (6 / 153).

2 : سبق تخريجه ص : 90 .

3 : الترمذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (4 / 662 / رقم : 2506)، وقال الترمذي : (حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ). وقال الألباني : (ضعيف)، انظر : " سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة"، دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط1، 1412 هـ / 1992 م، (11 / 707، رقم : 5426).

4 : انظر : ابن رجب الحنبلي، ، " الفرق بين النصيحة والتعيير"، تعليق : علي حسن علي عبد الحميد، دار عمار، عمان، عمان، ط2، 1409 هـ – 1988 م، (ص : 7)، بتصرف يسير.

5 : مسلم، كتاب البر والصلة الآداب، باب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ، (4 / 1986 / رقم : 2564). عن أبي هريرة.

وقد اشتدّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عائشة، عندما عيّرت صفية رضي الله عنهما ؛ بأنها قصيرة، فعنها رضي الله عنها قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا – تَعْنِي أنها قَصِيرَةً– فَقَالَ: "لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ"، قَالَتْ: وَحَكَيْتُ ([1]) لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: "مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا" ([2]). قال العظيم آبادي : " (حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ) : أَيْ مِنْ عُيُوبِهَا الْبَدَنِيَّةِ (كَذَا وَكَذَا) كِنَايَةٌ عَنْ ذِكْرِ بَعْضِهَا، (تَعْنِي) : أَيْ تُرِيدُ عَائِشَةَ بِقَوْلِهَا كَذَا وَكَذَا، (قَصِيرَةً) : أَيْ كَوْنُهَا قَصِيرَةً" ([3]).

اختيار الأسلوب المناسب

فعلى الناصح أن يستعمل الوسائل والأساليب المناسبة التي يرجى معها استجابة المنصوح، فيمكن أن يجعل نصيحته لأخيه تعريضاً لا تصريحاً، إن رآى أن ذلك أدعى إلى القبول ؛ اقتداءً بالنبي فقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينصح أحياناً بقوله : "ما بال أقوام يفعلون كذا"، كما في حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها لمّا أَتَتْهَا بَرِيرَةُ تَسْأَلُهَا فِي كِتَابَتِهَا ([4])، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتِ أَعْطَيْتُ أَهْلَكِ وَيَكُونُ الوَلاَءُ لِي، وَقَالَ أَهْلُهَا: إِنْ شِئْتِ أَعْطَيْتِهَا مَا بَقِيَ – وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: إِنْ شِئْتِ أَعْتَقْتِهَا، وَيَكُونُ الوَلاَءُ لَنَا – فَلَمَّا جَاءَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَّرَتْهُ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ابْتَاعِيهَا فَأَعْتِقِيهَا، فَإِنَّ الوَلاَءَ لِمَنْ أَعْتَقَ" ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى المِنْبَرِ – وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: فَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى المِنْبَرِ – فَقَالَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا، لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، مَنِ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَلَيْسَ لَهُ، وَإِنِ اشْتَرَطَ مِائَةَ مَرَّةٍ" ([5]).

وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنكر على الشخص دون ذكر اسمه، كما في قوله: "إنّ منكم مُنفرين"، فعن أَبي مَسْعُودٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ،

---

1 : أَيْ فعَلْت مِثْلَ فِعله. يُقَالُ حَكَاهُ وحَاكَاه، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْقَبِيحِ المُحَاكَاة، [ابن الأثير، "النهاية"، (1 / 421)].

2 : أبو داود، "السنن"، كتاب الأدب، بَابٌ فِي الْغِيبَةِ، (4 / 269 / رقم : 4875). وقال الألباني : (صحيح)، انظر : "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (2 / 968 / رقم : 5515).

3 : انظر : العظيم آبادي، "عود المعبود"، (13 / 151).

4 : الْكِتَابَةُ: أَنْ يُكَاتِبَ الرَّجُلُ عَبْدَه عَلَى مَالٍ يؤدِّيه إِلَيْهِ مُنَجَّماً، فَإِذَا أَدَّاهُ صَارَ حُرّاً. [ابن الأثير، "النهاية"، (4 / 148)].

5: سبق تخريجه ص : 88 .

ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالكَبِيرَ وَذَا الحَاجَةِ" ([1]).

وقد تكون المصارحة والمكاشفة هما الأنجع والأفضل، كما في حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا" ([2]). قال النووي : " هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي اجْتِنَابِ الْوِلَايَاتِ لَا سِيَّمَا لِمَنْ كَانَ فِيهِ ضَعْفٌ عَنِ الْقِيَامِ بِوَظَائِفِ تِلْكَ الْوِلَايَةِ وَأَمَّا الْخِزْيُ والندامة فهو في حَقُّ مَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لَهَا أَوْ كَانَ أَهْلًا وَلَمْ يَعْدِلْ فِيهَا فَيُخْزِيهِ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَفْضَحُهُ وَيَنْدَمُ عَلَى مَا فَرَّطَ" ([3]).

وكما في نُصحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر بن أبي سلمة رضي الله عنه، الذي كانت يده تطيش في الصَّحفة، فعنه قال: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ" فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ" ([4]). قال ابن حجر : " فِيهِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى فِي حَالِ الْأَكْلِ، وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ تَعْلِيمِ أَدَبِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَفِيهِ مَنْقَبَةٌ لِعُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ لامتثاله الْأَمر ومواظبته على مُقْتَضَاهُ " ([5]).

وقد يستدعي المقام شيئاً من الشدة مع المصارحة والمكاشفة، كما في حديث أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ قَالَ: رَأَى عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ يَغْتَسِلُ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلاَ جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ، فَلُبِطَ بِسَهْلٍ ([6]). فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ. هَلْ لَكَ فِي سَهْلِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ؟ وَاللهِ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ. فَقَالَ: "هَلْ تَتَّهِمُونَ بِهِ أَحَداً؟"، قَالُوا: نَتَّهِمُ عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ.

---

1 : متفق عليه : البخاري، كتاب الأذان، باب تَخْفِيفِ الإِمَامِ فِي القِيَامِ، وَإِتْمَامِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، (1 / 142 / رقم : 702)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب أَمْرِ الْأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلَاةِ فِي تَمَامٍ، (1 / 340 / رقم : 466).

2 : مسلم، كتاب الإمارة، باب كَرَاهَةِ الْإِمَارَةِ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ، (3 / 1457 / رقم : 1825).

3 : النووي ، "شرح صحيح مسلم"، (12 / 210).

4 : رواه الشيخان : البخاري، كتاب الأطعمة، باب التَّسْمِيَةِ عَلَى الطَّعَامِ وَالأَكْلِ بِاليَمِينِ، (7 / 68 / رقم : 5376)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب آدَابِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَأَحْكَامِهِمَا، (3 / 1599 / رقم : 2022) ، واللفظ للبخاري.

5 : ابن حجر العسقلاني، "فتح الباري"، (9 / 523).

6 : أَيْ صُرع وسَقَط إِلَى الْأَرْضِ. [ابن الأثير، "النهاية"، (4 / 226)].

قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَامِراً، فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: "عَلاَمَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ أَلاَّ بَرَّكْتَ ([1])، اغْتَسِلْ لَهُ"، فَغَسَلَ عَامِرٌ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ، وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ، وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ صُبَّ عَلَيْهِ، فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ، لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ" ([2]).

الاقتصاد واختيار الوقت المناسب

على الناصح أن يقتصد في نصيحته، فلا يكون مُسهبًا مُملاً، أو مُوجزًا مُخلاً، ويفعل كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ يُذَكِّرُنَا كُلَّ يَوْمِ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّا نُحِبُّ حَدِيثَكَ وَنَشْتَهِيهِ، وَلَوَدِدْنَا أَنَّكَ حَدَّثْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ: مَا يَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ، كَرَاهِيَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا" ([3]). قال النووي في معنى التخوُّلِ : " أَيْ يَطْلُبُ حَالَاتِهِمْ وَأَوْقَاتِ نَشَاطِهِمْ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ الِاقْتِصَادُ فِي الْمَوْعِظَةِ لِئَلَّا تَمَلَّهَا القلوب فيفوت مقصودها" ([4]).

وانتشر في زماننا هذا طول خُطَبِ الجمعة، مع أنّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل قِصَر الخُطبة وإطالة الصلاة علامة فقهٍ عند الخطيب، فعن أبي اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ ([5]) مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا" ([6]).

---

1 : وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ، القرطبي، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الباجي الأندلسي (المتوفى: 474هـ)، " المنتقى شرح الموطإ"، مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر، ط1، 1332 هـ، (7 / 256).

2 : أخرجه مالك، "الموطأ"، كتاب العين، باب الوضوء من العين، (5 / 1373 / رقم : 3460)، وأحمد، "المسند"، (25 / 255 / رقم : 15980)، وقال الأرنؤوط: (حديث صحيح)، وابن ماجه، "السنن"، كتاب الطب، باب العين، (2 / 1160 / رقم : 3509). وقال الألباني : (صحيح)، انظر: "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (2 / 743 / رقم : 4020).

3 : سبق تخريجه ص : 73 .

4 : النووي، "المنهاج شرح صحيح مسلم "، (17 / 164).

5 : مَعْنَاهُ أَنَّ هَذَا مما يُسْتدلّ به على فِقه الرجل. [ابن الأثير، " النهاية"، (4/ 290)].

6 : مسلم، كتاب الجمعة، باب تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ، (2 / 594 / رقم : 869).

المطلب التاسع

أدب الحوار

للحوار آدابٌ ينبغي على المسلم أن يراعيها في حواره مع الآخرين ؛ لأن فيها إنجاحاً لعملية الحوار، ومن هذه الآداب :

الإنصاف والعدل :

للإنصاف والعدل في الحوار مع الخصم أهمية بالغة، حيث أنَّ هذا الدين قائم على العدل ودفع الظلم، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل : 90]، ويقول سبحانه : ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ﴾ [الأنعام :125]، ومن تمام الإنصاف والعدل أن تقبل ما يقوله خصمك من الحق ولا تعارضه، ومن قواعد العدل والإنصاف ما قاله عبد الله بن المبارك : "إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه، لم تُذكر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تُذكر المحاسن" ([1]).

ومن أمثلة الكلام الذي يحمل طابع الإنصاف والعدل في السنة النبوية الشريفة : موقفه صلى الله عليه وسلم مع حاطب بن أبي بَلتعة رضي الله عنه، حيث أرسل إلى أهل مكة يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، فعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا مَرْثَدٍ الغَنَوِيَّ، وَالزُّبَيْرَ بْنَ العَوَّامِ، وَكُلُّنَا فَارِسٌ، قَالَ: "انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ ([2])، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ المُشْرِكِينَ، مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى المُشْرِكِينَ"، فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا، حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْنَا: الكِتَابُ، فَقَالَتْ: مَا مَعَنَا كِتَابٌ، فَأَنَخْنَاهَا فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرَ كِتَابًا، فَقُلْنَا: مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ، فَلَمَّا رَأَتِ الجِدَّ أَهْوَتِ إِلى حُجْزَتِهَا ([3])، وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ، فَأَخْرَجَتْهُ، فَانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي

---

1 : الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى : 748هـ)، "سير أعلام النبلاء"، تح : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405 هـ / 1985 م، (8 / 398).

2 : موضع بين الحرمين، ويقال له روضة خاخ، بقرب حمراء الأسد من المدينة، [ياقوت الحموي، "معجم البلدان"، دار صادر، بيروت، ط2، 1995 م، (1 / 335)].

3 : وَأَصْلُ الحُجْزَة: مَوْضِعُ شَدِّ الْإِزَارِ، ثُم قِيلَ لِلْإِزَارُ حُجْزَة للمُجاوَرة. [ابن الأثير،"النهاية"، (1 / 345)].

فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟" قَالَ حَاطِبٌ: وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لاَ أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ القَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "صَدَقَ وَلاَ تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا" فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: "أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟" فَقَالَ: " لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ، أَوْ: فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ " فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ([1]).

وقد بيّن الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى وجه الإنصاف والعدل والحكمة في موقف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فعلة حاطب بن أبي بلتعة، وكيف أنّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر حسناتِ حاطب وموقفه يوم بدرٍ، وهو بذلك يعلِّمنا أنّ سيِّئات العبد لا تُلغي حسناته، وهو منهجٌ قرآني، وقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلقه القرآن، قال رحمه الله : "وَالْمَاء إِذا بلغ قُلَّتَيْنِ لم يحمل الْخبث، بِخِلَاف المَاء الْقَلِيل؛ فَإِنَّهُ لَا يحمل أدنى خبث ([2])، وَمن هَذَا قَول النَّبِي صلى الله عليه وسلم لعمر: وَمَا يدْريك لَعَلَّ الله اطلع على أهل بدر فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُم فقد غفرت لكم، وَهَذَا هُوَ الْمَانِع لَهُ من قتل من حس عَلَيْهِ وعَلى الْمُسلمين وارتكب مثل ذَلِك الذَّنب الْعَظِيم، فَأخْبر أنه شهد بَدْرًا، فَدلَّ على أن مُقْتَضى عُقُوبَتِه قَائِم، لَكِن منع من ترَتّب أثره عَلَيْهِ مَاله من المشهد الْعَظِيم، فَوَقَعت تِلْكَ السقطة الْعَظِيمَة مغتفرة فِي جنب مَاله من الْحَسَنَات.. وَهَذَا أمْر مَعْلُوم عِنْد النَّاس مُسْتَقر فِي فطرهم أنَّ من لَهُ أُلوف من الْحَسَنَات فَإِنَّهُ يسامح بِالسَّيِّئَةِ والسيئتين وَنَحْوهَا، حَتَّى إنه ليختلج دَاعِي عُقُوبَتِه على إساءته، وداعي شكره على إحسانه، فيغلب دَاعِي الشُّكْر لداعي الْعقُوبَة" ([3]).

---

1 : البخاري، كتاب المغازي، (5 / 77 / رقم : 3983). ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَقِصَّةِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، (4 / 1941 / رقم : 2494). واللفظ للبخاري.

[2] : ولعل الصواب : يحمل أدنى خبث.

3 : ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ) " مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة"، دار الكتب العلمية – بيروت، (1 / 170-171).

التواضع وحسن الخلق :

للخُلق الحسن على وجه العموم، والتواضع على وجه الخصوص، الأثر الكبير في إقناع الخصم، فإذا شاهد منك حسن الخلق والتواضع في الاستماع إليه، فإن ذلك سيؤثر فيه إيجاباً ويهيِّئه نفسياً إلى قبول كلامك، لذلك يقول الله تبارك وتعالى : ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر : 88]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : "إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ" ([1])، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ" ([2])، وقد ذكر النووي وجهين في معنى الحديث : " أَحَدُهُمَا: يَرْفَعُهُ فِي الدُّنْيَا وَيُثْبِتُ لَهُ بِتَوَاضُعِهِ فِي الْقُلُوبِ مَنْزِلَةً، وَيَرْفَعُهُ اللَّهُ عِنْدَ النَّاسِ وَيُجِلُّ مَكَانَهُ، وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ ثَوَابُهُ فِي الْآخِرَةِ وَرَفْعُهُ فِيهَا بِتَوَاضُعِهِ فِي الدُّنْيَا" ([3]).

ومن الأمثلة على تواضعه صلى الله عليه وسلم ما رواه ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ حَبْرٌ ([4]) مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي"، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟" قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ، فَنَكَتَ ([5]) رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعُودٍ مَعَهُ، فَقَالَ: "سَلْ"... الحديث " ([6]). فنلحظ من هذا الحديث كيف أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم تنزّل مع اليهودي ووافقه على أن يناديه باسمه المجرد، فهذا شاهد على تواضعه صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه.

---

1 : مسلم، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا ، بَابُ الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ، (4 / 2198 / رقم : 2865) ، من حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ.

2 : مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ، (4 / 2001 / رقم : 2588).

3 : النووي، " المنهاج شرح صحيح مسلم"، (16 / 142).

4 : أي كعب العلماء كذا قاله بن قُتَيْبَةَ وَغَيْرُهُ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ سُمِّيَ كَعْبَ الْأَحْبَارِ لِكَوْنِهِ صَاحِبَ كُتُبِ الْأَحْبَارِ جَمْعُ حَبْرٍ وَهُوَ مَا يُكْتَبُ بِهِ، [النووي، " المنهاج شرح صحيح مسلم"، (3 / 76)].

5 : يَخُطُّ بِالْعُودِ فِي الْأَرْضِ وَيُؤَثِّرُ بِهِ فِيهَا. [النووي، "شرح مسلم"، (3 / 226)].

6 : مسلم، كِتَابُ الْحَيْضِ، بَابُ بَيَانِ صِفَةِ مَنِيِّ الرَّجُلِ، وَالْمَرْأَةِ وَأَنَّ الْوَلَدَ مَخْلُوقٌ مِنْ مَائِهِمَا، (1 / 252 / رقم : 315).

الحِلم والصبر :

إنّ الحلم يدل على الصبر، وقد جاءت عشرات النصوص تتحدث حول الصبر وما يتعلق به، قال الله تعالى : ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى : 43]، قال السعدي : " أي: لمن الأمور التي حث الله عليها وأكدها، وأخبر أنه لا يُلَقَّاها إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة، ومن الأمور التي لا يوفَّق لها إلا أولوا العزائم والهمم، وذوو الألباب والبصائر؛ فإنَّ ترك الانتصار للنفس بالقول أو الفعل، من أشق شيء عليها، والصبر على الأذى، والصفح عنه، ومغفرته، ومقابلته بالإحسان، أشقّ وأشقّ، ولكنه يسير على من يسره الله عليه، وجاهد نفسه على الاتصاف به، واستعان الله على ذلك، ثم إذا ذاق العبد حلاوته، ووجد آثاره، تلقاه برحب الصدر، وسعة الخلق، والتلذذ فيه " ([1]).

وهناك نصوص تحدثت حول كظم الغيظ وضبط النفس وما يترتب عليها من ثواب عظيم، من ذلك : قوله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ " ([2]).

وإنَّ الله تعالى يحبُّ صفة الحِلم في عباده فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأشج عبد قيس ([3]) : إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ " ([4]).

---

1 : السعدي، " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، (ص : 760).

2 : رواه أبو داود، "السنن"، كتاب الأدب، باب من كظم غيظاً، (4 / 248 / رقم : 4777)، والترمذي، "السنن"، أبواب البر والصلة، باب في كظم الغيظ ، (4 / 372 / رقم : 2021)، وابن ماجه، "السنن"، كتاب الزهد، باب الحلم، (2 / 1400 / رقم : 4186). قال الترمذي : (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ)، وقال الألباني : (حسن)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (2 / 1112 / رقم : 6522). من حديث سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ أَبِيهِ.

3 : الأشج العبدي. واسمه: المنذر بْن الحارث بْن زياد بْن عصر بْن عوف بْن عَمْرو بْن عوف بْن جذيمة العبدي العصري، وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم في وفد عبد قيس. [ابن حجر العسقلاني، "أسد الغابة"، (1 / 116)].

4 : مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، (1 / 48 / رقم : 17)، من حديث ابن عباس.

ولقد ضرب الأنبياء عامة أروع الأمثال في الصبر والحلم مع أقوامهم، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ" ([1]).

ومن حلمه وصبره صلى الله عليه وسلم ما ورد في أكثر من قصة في حواره مع الأعراب الذين يغلب على كثير منهم الجفاء والغِلظة والخشونة، من ذلك : ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ" ([2])، قال الحافظ بن حجر : " وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ حِلْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَبْرِهِ عَلَى الْأَذَى فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ، وَالتَّجَاوُزِ عَلَى جَفَاءِ مَنْ يُرِيدُ تَأَلُّفَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَلِيَتَأَسَّى بِهِ الْوُلَاةُ بَعْدَهُ فِي خُلُقِهِ الْجَمِيلِ مِنَ الصَّفْحِ وَالْإِغْضَاءِ وَالدَّفْعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" ([3]).

وفي حلم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصبره وتحمله للأذى أُسوة للدعاة والمصلحين، وليس للولاة فقط.

ومن حِلمه وصبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موقفه من ذلك الرجل الذي اعترض عليه حينما قسم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مالاً، فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : " بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،وَهُوَ بِالْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا ([4])إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ:الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيُّ،وَعُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ،وَعَلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ الْعَامِرِيُّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي كِلَابٍ، وَزَيْدُ الْخَيْرِ الطَّائِيُّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي نَبْهَانَ، قَالَ: فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ، فَقَالُوا:

---

1 : متفق عليه : البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، (4 / 175 / رقم : 3477). ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد ، (3 / 1417 / رقم : 1792).

2 : رواه الشيخان : البخاري، كتاب فرض الخمس، باب مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الخُمُسِ وَنَحْوِهِ، (4 / 94 / رقم : 3149). ومسلم، كتاب الزكاة، باب إِعْطَاءِ مَنْ سَأَلَ بِفُحْشٍ وَغِلْظَةٍ، (2 / 730 / رقم : 1057). واللفظ للبخاري.

3 : ابن حجر، "فتح الباري"، (10 / 506).

4 : أي قد أُخْرِجَتْ – الذَهَبَة– من الْمَعْدن وَلم تخلص من ترابها. [ابن الجوزي، " كشف المشكل من حديث الصحيحين"، (3 / 120)].

أَتُعْطِي صَنَادِيدَ نَجْدٍ وَتَدَعُنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِأَتَأَلَّفَهُمْ"، فَجَاءَ رَجُلٌ كَثُّ اللِّحْيَةِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبِينِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَمَنْ يُطِعِ اللهَ إِنْ عَصَيْتُهُ، أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي؟" قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فِي قَتْلِهِ – يُرَوْنَ أَنَّهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ – فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ ([1]) هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ" ([2]).

ومع أنّ موقف هذا الرجل كان مستفزّاً جداً لدرجة أنّ بعض الصحابة استأذن النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قتله إلا أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان متجمّلاً بالصبر والصفح.

الرحمة والشفقة على المدعوّين والحرصُ على إقناعهم :

وهذا الأدب من الآداب الرفيعة التي جاء الإسلام ليثبتها في أفئدة المؤمنين الدعاة إلى الله كما قال تعالى حاكيا عن نبيه صلى الله عليه وسلم : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران : 159]، وهذه الآية وإن كانت في حق الصحابة رضوان الله عنهم، إلا أنّه يستفاد منها خُلق الرحمة والشفقة على المدعوّين، قال الطبري : " فبرحمة الله يا محمد، ورأفته بك وبمن آمن بك من أصحابك "لنت لهم"، لأتباعك وأصحابك، فَسَهُلَتْ لهم خلائقك، وحسنت لهم أخلاقك، حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمَه، وأغضيت عن كثير ممن لو

---

1 : هُوَ بِضَادَيْنِ مُعْجَمَتَيْنِ مَكْسُورَتَيْنِ وَآخِرُهُ مَهْمُوزٌ، وَهُوَ أَصْلُ الشَّيْءِ. [النووي، " المنهاج شرح صحيح مسلم"، (7 / 162)].

2 : رواه الشيخان : البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ) [الحاقة: 6]...، (4 / 137 / رقم : 3344)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، (2 / 741 / رقم : 1064)، واللفظ لمسلم.

جفوت به وأغلظت عليه لتركك، ففارقك، ولم يتَّبعك، ولا ما بُعثت به من الرحمة، ولكن الله رحمهم، ورحمك معهم، فبرحمة من الله لنت لهم" ([1]).

ومن أبرز الأمثلة على ذلك : موقفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عمّه أبي طالب حينما حضرته الوفاة، فعن سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، فَقَالَ: " أَيْ عَمِّ قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ " فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدَانِهِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ) [التوبة: 113] وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ) [القصص: 56] ([2]).

ولمّا علِم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ الموت قد حضر شاباً يهودياً، كان جاراً للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أسرع إليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليستنقذه من الكفر قبل وفاته، فقد روى أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: "أَسْلِمْ"، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: "الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ" ([3]).

---

1 : الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، " جامع البيان في تأويل القرآن"، تح : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م، (7 / 341).

2 : البخاري، كتاب تفسير القرآن الكريم، بَابُ قَوْلِهِ: (إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) [القصص: 56]، (6 / 112 / رقم : 4772).

3 : البخاري، كتاب الجنائز، بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ، (2 / 94 / رقم : 1356).

وهذا دالٌ على كمال رحمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخلق، كيف لا وقد قال الله تعالى : (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ) [الأنبياء : 107]، وكذلك دالٌ على كمال حرصه على هداية الخلق، حتى أنّ الله سبحانه وتعالى قال له : (فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ) [فاطر : 8].

حسن الاستماع :

لابد للمتحدث الجيد أن يحسن الاستماع لخصمه، وفي الاستماع له وعدم مقاطعته أدب وأي أدب، وفيه من التواضع واستمالة الخصم الشيء الكثير، ونتعلم حسن الاستماع من ربنا سبحانه وتعالى عندما استمع لكلام شر الخلق إبليس قال تعالى : (وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٨﴾) [الأعراف: 11-18].

ومما ورد من السنة المشرفة في حسن استماعه صلى الله عليه وسلم، ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ ضِمَادًا ([1])، قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ ([2])، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ ([3])، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ

---

1 : " ضماد بن ثعلبة الأزديّ، من أزد شنوءة، أسلم ضماد وبايع عن قومه، وكان صديقا للنّبيّ صلّى اللّه عليه وسلم". [انظر : ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، " الإصابة في تمييز الصحابة"، تح : عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415 هـ، (3 / 394- 395)].

2 : " مخلاف باليمن، بينها وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخا، تنسب إليها قبائل من الأزد يقال لهم أزد شنوءة، والشناءة مثل الشناعة: البغض، والشنوءة على فعولة: التقزّز وهو التباعد من الأدناس، تقول: رجل فيه شنوءة، ومنه أزد شنوءة، والنسبة إليهم شنائيّ" . [الحموي،"معجم البلدان"، (3 / 368)].

3 : المُرَاد بهَا هُنَا الْجُنُون وَمَسّ الْجِنّ. [السيوطي، "الديباج على صحيح مسلم"، (2 / 447)].

فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ: قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ ([1])، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَعَلَى قَوْمِكَ"، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي، قَالَ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً، فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً، فَقَالَ: رُدُّوهَا، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمُ ضِمَادٍ" ([2]). فتأمل كيف استمع له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _مع ما يعرض عليه من السفاهة التي أثارتها قريش_ ثم يعرض صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه كلمات موجزات جامعات . فيطلب منه الإعادة فيعيد عليه–، فيعلن إسلامه.

ومن المواقف البارزة الدالة على حسن استماعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لخصمه، الحوار الذي دار بينه وبين أحد رؤوس الكفر وهو عُتبة بن ربيعة، فقد حاوره حواراً طويلاً دون أن يقاطعه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكلمة واحدة، روى ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، قَالَ: حُدِّثْتُ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَكَانَ سَيِّدًا، قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَأُكَلِّمَهُ وَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ يَقْبَلُ بَعْضَهَا فَنُعْطِيهِ أَيَّهَا شَاءَ، وَيَكُفُّ عَنَّا؟ وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حَمْزَةُ، وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ، فَقَالُوا: بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ، قُمْ إِلَيْهِ فَكَلِّمْهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُتْبَةُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ:

---

1 : قال النووي : ضَبَطْنَاهُ بِوَجْهَيْنِ أَشْهَرُهُمَا نَاعُوسُ بِالنُّونِ وَالْعَيْنِ هَذَا هُوَ الْمَوْجُودُ فِي أَكْثَرِ نُسَخِ بِلَادِنَا، وَالثَّانِي قَامُوسُ بِالْقَافِ وَالْمِيمِ وَهَذَا الثَّانِي هُوَ الْمَشْهُورُ فِي رِوَايَاتِ الْحَدِيثِ فِي غَيْرِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ. والمعنى : عُمْقِ الْبَحْرِ وَلُجَّتِهِ. [انظر : النووي، " المنهاج شرح صحيح مسلم"، (6 / 157)]. وقال القاضي البيضاوي : " أي: معظمه ولجته: التي يغاص فيه لإخراج اللآلي، من (نعس)، إذا نام، لأن الماء من كثرته ثم لا تظهر حركته، فكأنه نائم". [القاضي البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر (ت 685هـ)، " تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة"، تح : لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، 1433 هـ – 2012م، (3 / 486)].

2 : مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (2 / 593 / رقم : 868).

يَا ابن أَخِي، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنْ السِّطَةِ ([1]) فِي الْعَشِيرَةِ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ، فَرَّقْتَ بِهِ جَمَاعَتَهُمْ، وَسَفَّهْتَ بِهِ أَحْلَامَهُمْ، وَعِبْتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ، وَدِينَهُمْ، وَكَفَّرْتَ بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، أَسْمَعْ، قَالَ: يَا ابن أَخِي، إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا، حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِئْيًا ([2]) تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ، طَلَبْنَا لَكَ الطِّبَّ، وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نُبْرِئَكَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التَّابِعُ ([3]) عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَاوَى مِنْهُ أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ. حَتَّى إِذَا فَرَغَ عُتْبَةُ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَمِعُ مِنْهُ، قَالَ: أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاسْمَعْ مِنِّي، قَالَ: أَفْعَلُ، فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. (حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ) [فصلت : 1- 5] ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ. فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ، أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا، فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ، فَأَنْتَ وَذَاكَ" ([4]).

ونلحظ حُسن استماع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعتبة وعدم مقاطعته له، بل يقول له : (أفرغت يا أبا الوليد)؟ ويكنّيه، وهذا من اللطف واستمالة الخصم رجاء استجابته.

---

1 : أي مِنْ أَوَاسِطِنَا حَسَباً ونَسَباً، [انظر : ابن الأثير، "النهاية"، (2 / 366)، بتصرف يسير].

2 : يُقَالُ لِلتَّابِعِ مِنَ الجِن رَئِيٌّ بِوَزْنِ كَمِيٍّ، وَهُوَ فَعِيل، أَوْ فَعُول، سُمِّي بِهِ لِأَنَّهُ يَتَرَاءَى لِمَتْبُوعه، [ابن الأثير، "النهاية"، (2 / 178)].

3 : التابع جِنّي يتْبع الْمَرْأَةَ يُحبُّها. والتَّابِعَة جِنِّيَّةٌ تتْبع الرجُل تُحِبُّه. [انظر : ابن الأثير، "النهاية"، (1 / 180)].

4 : ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ)، "السيرة النبوية "، تح : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1375هـ - 1955 م، (1 / 393-294). ورواه البيهقي : في : "الاعتقاد"، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (المتوفى: 458هـ)، تح : أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط1، 1401هـ، (ص : 267)، وفي "دلائل النبوة"، تح : د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط1، 1408 هـ - 1988 م، (2 / 204) . (وإسناده مرسل ؛ لأنّ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قال : حُدِّثْتُ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ).

المحبة رغم الخلاف :

إن الخلاف من سنن الله تعالى في خلق كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ..﴾ [هود : 118-119]، لكن الخلاف بين مُسلميْن مُؤمنيْن في مسألة فرعية أو جزئية من الجزئيات، لا يفسد المودة والمحبة بينهما، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ.. " ([1]).

ومن أمثلة الاختلاف مع دوام المحبة: ما كان يحصل بين خير رجلين في الأمة بعد نبيِّها صلى الله عليه وسلم، أبي بكر الصديق، وعمر الفارق رضي الله عنهما، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : "كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مُحَاوَرَةٌ، فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ فَانْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْضَبًا، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَنَحْنُ عِنْدَهُ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ([2]) " قَالَ: وَنَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَصَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخَبَرَ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: وَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي، إِنِّي قُلْتُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ " ([3]).

---

1 : مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ، (4 / 1986 / رقم : 2564)، من حديث أبي هريرة.

[2] : أَيْ خَاصَمَ غَيْرَهُ. وَمَعْنَاهُ دَخَل فِي غَمْرَة الْخُصُومَة، وَهِيَ مُعْظَمُها. والمُغَامِر: الَّذِي يَرْمِي بنَفْسه فِي الْأُمُورِ المُهْلكة. [ابن الأثير، "النهاية" (3 / 384)].

3 : البخاري، كتاب تفسير القرآن ، باب بَابُ (قُلْ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [الأعراف : 168]، (6 / 59 / رقم : 4640).

التَّنَزُّل مَعَ الخَصْمِ :

وقلنا التنزل وليس التنازل ؛ فالتنزل فيه لين وحسن خلق، واستدراجٌ للخصم لقبول الرأي، وذلك كقوله الله تعالى معلِّماً نبيَّه صلى الله عليه وسلم الجدال مع الكفار : (وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ) [سبأ : 24]. قال الزمخشري : "وهذا من الكلام المنصف الذي كلُّ من سمعه من مُوالٍ أو مُنَافٍ قال لمن خُوطِبَ به: قد أنصفك صاحبك، وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ: دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين، ولكن التعريض والتورية أنضل ([1]) بالمجادل إلى الغرض، وأهجم به على الغلبة... ونحوه قول الرجل لصاحبه: علم الله الصادق منى ومنك، وإن أحدنا لكاذب " ([2]).

وقال الرازي : " هَذَا إِرْشَادٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ إِلَى الْمُنَاظَرَاتِ الْجَارِيَةِ فِي الْعُلُومِ وَغَيْرِهَا وَذَلِكَ لِأَنَّ أَحَدَ الْمُتَنَاظِرَيْنِ إِذَا قَالَ لِلْآخَرِ هَذَا الَّذِي تَقُولُهُ خَطَأٌ وَأَنْتَ فِيهِ مُخْطِئٌ يُغْضِبُهُ وَعِنْدَ الْغَضَبِ لَا يَبْقَى سَدَادُ الْفِكْرِ وَعِنْدَ اخْتِلَالِهِ لَا مَطْمَعَ فِي الْفَهْمِ فَيَفُوتُ الْغَرَضُ، وَأَمَّا إِذَا قَالَ لَهُ بِأَنَّ أَحَدَنَا لَا يَشُكُّ فِي أَنَّهُ مُخْطِئٌ وَالتَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ قَبِيحٌ وَالرُّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ أَحْسَنُ الْأَخْلَاقِ فَنَجْتَهِدُ وَنُبْصِرُ أَيُّنَا عَلَى الْخَطَأِ لِيَحْتَرِزَ فَإِنَّهُ يَجْتَهِدُ ذَلِكَ الْخَصْمُ فِي النَّظَرِ وَيَتْرُكُ التَّعَصُّبَ وَذَلِكَ لَا يُوجِبُ نَقْصًا فِي الْمَنْزِلَةِ لِأَنَّهُ أَوْهَمَ بِأَنَّهُ فِي قَوْلِهِ شَاكٌّ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ مَعَ أَنَّهُ لَا يَشُكُّ فِي أَنَّهُ هُوَ الْهَادِي وَهُوَ الْمُهْتَدِي وَهُمُ الضَّالُّونَ وَالْمُضِلُّونَ." ([3]).

وكقوله تعالى : (قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ) [سبأ : 25]، قال الزمخشري : " هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ فيه من الأوّل ([4])، حيث أسند الإجرام إلى المخاطبين والعمل إلى المخاطبين" ([5]).

---

[1] : فُلان يُنَاضِلُ عَنْ فُلَانٍ، إِذَا رَامَى عَنْهُ وحاجَجَ، وَتَكَلَّمْ بعُذْرِه، ودَفَع عَنْهُ، [ابن الأثير، "النهاية"، (5 / 72)].

2 : الزمخشري، "الكشاف "، (3 / 581).

3 : الرازي، "مفاتيح الغيب"، (25 / 205).

4 : يعني قوله تعالى : (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) [سبأ : 24].

5 : الزمخشري، "الكشاف "، (3 / 582).

وقال الرازي : " أَضَافَ الْإِجْرَامَ إِلَى النَّفْسِ وَقَالَ فِي حَقِّهِمْ: **(وَلَا تُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ)** [سبأ : 25] ذَكَرَ بِلَفْظِ الْعَمَلِ لِئَلَّا يَحْصُلَ الإغضاب المانع من الفهم " ([1]).

ومن أمثلة ذلك في السنة النبوية حواره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمشركين يوم الحديبية، فعنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اعْتَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذِي القَعْدَةِ، فَأَبَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَدَعُوهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ حَتَّى قَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يُقِيمَ بِهَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَتَبُوا الكِتَابَ، كَتَبُوا هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا: لاَ نُقِرُّ بِهَا، فَلَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا مَنَعْنَاكَ، لَكِنْ أَنْتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ"، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ: "امْحُ رَسُولُ اللَّهِ"، قَالَ: لاَ وَاللَّهِ لاَ أَمْحُوكَ أَبَدًا، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكِتَابَ، فَكَتَبَ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ... الحديث" ([2]).

وغنيٌّ عن البيان أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا لا يتنازل عن صفة النبوة والرسالة، ولكنّه يتنزّل مع القوم ليخاطبهم على قدر عقولهم، وهو بهذا يعلِّم الدعاة من بعده فنّ الحوار والبُعد عن توتير أجوائه.

---

1 : الرازي، "مفاتيح الغيب"، (25 / 206).

2 : البخاري، كتاب الصلح، بَابٌ: كَيْفَ يُكْتَبُ هَذَا: مَا صَالَحَ فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، وَفُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، وَإِنْ لَمْ يَنْسُبْهُ إِلَى قَبِيلَتِهِ أَوْ نَسَبِهِ، (3 / 184 / رقم : 2699).

الفصل الرابع
محاذير ومناهٍ شرعية في الكلام

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : الألفاظ المنكرة

المبحث الثاني : الكذب والغيبة والنميمة

المبحث الثالث : كلمات السخرية والاستهزاء

المبحث الرابع : لغة الجسد المنهي عنها

المبحث الخامس : السباب واللعن والتكفير

المبحث الأول

الألفاظ المنكرة

جاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الناس برسالة عامة شاملة هاديةٍ إلى كل خير من أمور الدنيا والآخرة، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدوة الخلق في فعل الخيرات، واجتناب المنكرات، يعلّم الخلق بقوله وفعله وحاله، فما ما خلقٍ كريمٍ إلا وأمر به ورغّب فيه، وما من خلق ذميم إلا ونهى عنه، وحذَر منه، وصدق ما قاله فيه ربنا سبحانه وتعالى : (**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**) [القلم :4]، ولذا فقد كان جديراً صلوات الله وسلامه عليه أن يكون مبعوثاً للناس كلهم، وقدوة للخلق جميعهم، وقد كان كلُّ نبي يبعث إلى قومه خاصة، وإنّ من أهم جوانب القدوة فيه هذا الجانب وهو أدب الكلام ؛ فإنّ المتأمل في كلامه وألفاظه صلوات الله وسلامه عليه يجده في الذروة في انتقاء الألفاظ الحسنة، واجتناب الألفاظ السيئة والمنكرة ؛ وهو أول مستجيبٍ لأمر ربه عز وجل : (**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**) [الإسراء : 53]، وقد تضمنت توجيهاته الكريمة جملةً من المناهي اللفظية، التي تكشف عن منتهى الدقة في اختياره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للألفاظ والجُمل.

وفيما يأتي جملة من الألفاظ المنكرة التي نهى عنها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونفّر منها :

قول : ما شاء الله وشئت.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شِئْتَ " ([1]).

---

1 : ابن ماجه، "السنن"، كتاب الكفارات، بَابُ النَّهْيِ أَنْ يُقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، (1 / 684 / رقم : 2117). وروى النسائي نحوه من حديث قُتَيْلَةَ، امْرَأَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ، "سنن النسائي"، كتاب الأيمان والنذور، باب الْحَلِفُ بِالْكَعْبَةِ، (7 / 6 / رقم 3773)، وقال الألباني : (حسن)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (1 / 147 / رقم : 491).

قال السندي : " فَهَذَا اللَّفْظُ مَمْنُوعٌ مُطْلَقًا لِأَنَّهُ يُوهِمُ الْمُسَاوَاةَ، وَاللَّائِقُ أَنْ يُقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ؛ لِمَا فِي "ثُمَّ شِئْتَ" مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى النُّزُولِ" ([1]).

قول : لو أني فعلت كذا وكذا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ" ([2]).

قال النووي : " فَالظَّاهِرُ أَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا هُوَ عَنْ إِطْلَاقِ ذَلِكَ فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، فَيَكُونُ نَهْيُ تَنْزِيهٍ لَا تَحْرِيمٍ، فَأَمَّا من قاله تأسفا على ما فات من طاعة الله تعالى أو ما هو مُتَعَذَّرٌ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَنَحْوِ هَذَا فَلَا بَأْسَ بِهِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ أَكْثَرُ الِاسْتِعْمَالِ الْمَوْجُودِ فِي الْأَحَادِيثِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ" ([3]).

لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمُ : الْكَرْمَ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَيَقُولُونَ الكَرْمُ، إِنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤْمِنِ" ([4]).

وقال الخطابي : " نهيه عن تسمية شجر العنب كرما وهو اسمه المشهور عندهم، إنما معناه التوكيد لتحريم الخمر، وتأييد النهي عنها، وسلبها الفضيلة، بتغيير نعتها المأخوذ عندهم من اسم الكرم؛ إذ كان في تسليم هذا الاسم تقرير لدعواهم فيها، وتسويغ لما كانوا يتوهمونه من التكرم في سقيها وشربها، فأمر بأن لا تدعى كرما، وأن تسمى مواضعها وأشجارها حدائق الأعناب. وقال:

---

1 : السندي، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: 1138هـ) / " حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه"، دار الجيل – بيروت، بدون طبعة، (1 / 651).

2 : مسلم، كتاب القدر، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ، (4 / 2052 / رقم : 2664).

3 : النووي، "المنهاج شرح صحيح مسلم "، (16 / 216).

4 : متفق عليه : البخاري، كتاب الأدب، قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤْمِنِ"، (8 / 42 / 6183)، ومسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، بَابُ كَرَاهَةِ تَسْمِيَةِ الْعِنَبِ كَرْمًا، (4 / 1863/ 2247).

إنما الكرم قلب المؤمن؛ لما فيه من نور الإيمان، وتقوى الإسلام، قال صلى الله عليه وسلم: "وَالكَرَمُ التَّقْوَى" ([1])، وهو معنى قوله عز وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات : 13] " ([2]).

لا تقولوا للمنافق سيدنا.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدَنَا؛ فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدَكُمْ فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ " ([3]).

والظاهر أنّ المراد من هذا النهي ألّا يعظّم المسلم ما حقّره الله، وألّا يرفع من وضعه الله، وقد قال الله تعالى عن المنافقين : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء : 145].

قول : خبثت نفسي.

فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ لَقِسَتْ نَفْسِي" ([4]). وقد تقدّم قول ابن القيم : " نَهَى أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ، لَقِسَتْ نَفْسِي، سَدًّا لِذَرِيعَةِ اعْتِيَادِ اللِّسَانِ لِلْكَلَامِ الْفَاحِشِ، وَسَدًّا لِذَرِيعَةِ اتِّصَافِ النَّفْسِ بِمَعْنَى هَذَا اللَّفْظِ؛ فَإِنَّ الْأَلْفَاظَ تَتَقَاضَى مَعَانِيهَا وَتَطْلُبُهَا بِالْمُشَاكَلَةِ وَالْمُنَاسَبَةِ الَّتِي بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، وَلِهَذَا قَلَّ مَنْ تَجِدُهُ يَعْتَادُ لَفْظًا إلَّا وَمَعْنَاهُ غَالِبٌ عَلَيْهِ، فَسَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَرِيعَةَ الْخُبْثِ لَفْظًا وَمَعْنًى" ([5])، وقوله أيضا : " فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –

---

1 : رواه الترمذي، أبواب تفسير القرآن، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الحُجُرَاتِ، (5 / 390 / رقم : 3271)، وقال الترمذي : (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ)، وقال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (1 / 607 / رقم : 3178)، من حديث سَمُرَة.

2 : الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد (ت 388 هـ)، " أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)"، تح الدكتور محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط1، 1409 هـ – 1988 م.، (3 / 2212 / رقم : 1138).

3 : أحمد، "المسند"، (38 /22– 23 / رقم : 22940). قال شعيب الأرنؤوط : (رجاله ثقات رجال الشيخين)، وقال الألباني : (حسن)، "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها"، (3 / 378 / رقم : 1389).

4 : سبق تخريجه ص : 63 .

5 : ابن القيم، " إعلام الموقعين عن رب العالمين "، تح : محمد عبد السلام إبراهيم ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411هـ – 1991م، (3 / 120).

لَفْظَ " الْخُبْثِ " لِبَشَاعَتِهِ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى الْعُدُولِ إِلَى لَفْظٍ هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَاهُ تَعْلِيمًا لِلْأَدَبِ فِي الْمَنْطِقِ، وَإِرْشَادًا إِلَى اسْتِعْمَالِ الْحَسَنِ، وَهَجْرِ الْقَبِيحِ مِنْ الْأَقْوَالِ، كَمَا أَرْشَدَهُمْ إِلَى ذَلِكَ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْأَفْعَالِ" ([1]).

تقبيح الوجه بقول : قُبِّحَ وجهه.

عن بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ قال : حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نِسَاؤُنَا مَا نَأْتِي مِنْهُنَّ وَمَا نَذَرُ، قَالَ: "ائْتِ حَرْثَكَ أَنَّى شِئْتَ، وَأَطْعِمْهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَاكْسُهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تُقَبِّحِ الْوَجْهَ، وَلَا تَضْرِبْ" ([2]).

قال العظيم آبادي : " أَيْ لَا تَقُلْ إِنَّهُ قَبِيحٌ، أَوْ لَا تَقُلْ قَبَّحَ اللَّهُ وَجْهَكِ، أَيْ ذَاتَكِ فَلَا تَنْسُبْهُ وَلَا شَيْئًا مِنْ بَدَنِهَا إِلَى الْقُبْحِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْحُسْنِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى صَوَّرَ وَجْهَهَا وَجِسْمَهَا، وَأَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَذَمُّ الصَّنْعَةِ يَعُودُ إِلَى مَذَمَّةِ الصَّانِعِ" ([3]).

قول المسلم لأخيه : يا كافر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا" ([4]).

قال ابن بطال : " يعنى: باء بإثم رميه لأخيه بالكفر ورجع وزر ذلك عليه إن كان كاذبًا " ([5]).

([5]).

---

1 : ابن القيم، "الطرق الحكمية"، (ص : 41).

2 : أبو داود، "السنن"، كتاب النكاح، بَابٌ فِي حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا، (2 / 245 / رقم : 2143). من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده. وقال الألباني : (حسن)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (1 / 66 / رقم : 12).

3 : العظيم آبادي، " عون المعبود"، (6 / 128).

4 : رواه الشيخان : البخاري، كتاب الأدب، باب مَنْ كَفَّرَ أَخَاهُ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ فَهُوَ كَمَا قَالَ، (8 / 26 / رقم ك 6103)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ: يَا كَافِرُ، (1 / 79 / رقم : 60). واللفظ للبخاري.

5 : ابن بطال، "شرح صحيح البخاري، (9 / 287).

قول : أخزاك الله

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَكْرَانَ، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ. فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ، وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِنَعْلِهِ، وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ: مَا لَهُ أَخْزَاهُ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لاَ تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ" ([1]).

" إذا دعوتم عَلَيْهِ بالخزي فقد أعنتم الشَّيْطَان، فَإِنَّهُ إذا دعِي عَلَيْهِ بِحَضْرَتِهِ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، وَلم ينْه عَنهُ يَنْفِرُ عَنهُ، أَو لِأَنَّهُ يتَوَهَّم أَنه مُسْتَحقّ لذَلِك، فَيُوقِعُ الشَّيْطَان فِي قلبه وساوس" ([2])، وقد بيّن العيني وجه عونهم للشيطان عليه : " أَنَّ الشَّيْطَانَ يُرِيدُ بِتَزْيِينِهِ لَهُ الْمَعْصِيَةَ، أَنْ يَحْصُلَ لَهُ الْخِزْيُ، فَإِذَا دَعَوْا عَلَيْهِ بِالْخِزْيِ، فَكَأَنَّهُمْ قَدْ حَصَّلُوا مَقْصُودَ الشَّيْطَانِ" ([3]).

قول : اللهم الْعنْه

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللَّهُمَّ العَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ، إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ" ([4]).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَّابًا، وَلاَ فَحَّاشًا، وَلاَ لَعَّانًا، كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ المَعْتَبَةِ: "مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ" ([5]).

---

1 : البخاري، كتاب الحدود، باب مَا يُكْرَهُ مِنْ لَعْنِ شَارِبِ الخَمْرِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنَ المِلَّةِ، (8 / 159 / رقم : 6781).

2 : العيني، "عمدة القاري"، (23 / 268 / رقم : 7776).

3 : ابن حجر، "فتح الباري"، (12 / 67).

4 : البخاري، كتاب الحدود، باب مَا يُكْرَهُ مِنْ لَعْنِ شَارِبِ الخَمْرِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنَ المِلَّةِ، (8 / 158 / رقم : 6780).

5 : البخاري، كتاب الأدب، بَابُ "لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا"، (8 / 13 / رقم : 6031).

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"لَا يَكُونُ المُؤْمِنُ لَعَّانًا" ([1]).

قال ابن بطال : " فإن قيل: هذا الحديث معارض لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : "أنه لعن شارب الخمر وعاصرها ومعتصرها" ([2])، ولعن كثيرًا من أهل المعاصى منهم من "ادعى إلى غير أبيه وانتمى إلى غير مواليه" ([3])، "ولعن المصور" ([4]) وجماعة يكثر عددهم. قيل: لا تعارض بين شىء من ذلك بحمد الله، ووجه لعنته لأهل المعاصى يريد الملازمين لها غير التائبين منها ليرتدع بذلك من فعلها وسلك سبيلها، والذى نهى صلى الله عليه وسلم عن لعنه فى هذا الباب قد كان أخذ منه حد الله، الذى جعله تطهيرًا من الذنوب، فحصل فى حالة مهيئة للتوبة، ورجا له التمادى على ما حصل له، من التطهير " ([5]).

قول : اللهم اغفر لي إن شئت

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لاَ مُكْرِهَ لَهُ " ([6]).

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، وَلاَ يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لاَ مُسْتَكْرِهَ لَهُ " ([7]).

---

1 : الترمذي، أبواب البر والصلة، بَابُ مَا جَاءَ فِي اللَّعْنِ وَالطَّعْنِ، (4 / 371 / رقم : 2019). وقال الترمذي : (هذا حديث حسن غريب). وقال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (2 / 1283 / رقم : 7769).

2 : أبو داود، "السنن"، كتاب الأشربة، باب بَابُ الْعِنَبِ يُعْصَرُ لِلْخَمْرِ، (3 / 326 / رقم : 3674)، وقال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (2 / 907 / رقم : 5090). من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

3 : مسلم، كتاب العِتق، بَابُ تَحْرِيمِ تَوَلِّي الْعَتِيقِ غَيْرَ مَوَالِيهِ، (2 / 1147 / رقم : 1370). من حديث إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ عن علي بن أبي طالب.

4 : البخاري، كتاب البيوع، باب ثمن الكلب، (3 / 84 / رقم : 2238).

5 : ابن بطال، "شرح صحيح البخاري"، (8 / 399).

6 : متفق عليه : البخاري، كتاب الدعوات، باب لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لاَ مُكْرِهَ لَهُ، (8 : 84 / رقم : 6339)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الْعَزْمِ بِالدُّعَاءِ وَلَا يَقُلْ إِنْ شِئْتَ، (4 / 2063/ رقم : 2679).

7 : متفق عليه : البخاري، كتاب الدعوات، باب لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لاَ مُكْرِهَ لَهُ، (8 / 74 / رقم : 6338). ومسلم، كتاب

"قَالَ الْعلمَاء سَبَب كَرَاهَته أَنه لَا يتَحَقَّق اسْتِعْمَال الْمَشِيئَة إِلَّا فِي حق من يتَوَجَّه عَلَيْهِ الْإِكْرَاه، وَالله تَعَالَى منزهٌ عَن ذَلِك، وَهُوَ معنى قَوْله: "فَإِن الله لَا مستكره لَهُ"، وَقيل: سَببهَا أَن فِي هَذِه اللَّفْظَة صُورَة الِاسْتِغْنَاء عَن الْمَطْلُوب مِنْهُ" ([1]).

قول : عليك السلام

عَنْ أَبِي جُرَيٍّ الْهُجَيْمِيِّ ([2])، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَوْتَى" ([3]).

قال ابن القيم : " وَقَدْ أَشْكَلَ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى طَائِفَةٍ، وَظَنُّوهُ مُعَارَضًا لِمَا ثَبَتَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّلَامِ عَلَى الْأَمْوَاتِ بِلَفْظِ (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ) ([4])، بِتَقْدِيمِ السَّلَامِ، فَظَنُّوا أَنَّ قَوْلَهُ "فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَوْتَى"، إِخْبَارٌ عَنِ الْمَشْرُوعِ، وَغَلِطُوا فِي ذَلِكَ غَلَطًا أَوْجَبَ لَهُمْ ظَنَّ التَّعَارُضِ، وَإِنَّمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: "فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَوْتَى" إِخْبَارٌ عَنِ الْوَاقِعِ، لَا الْمَشْرُوعِ، أَيْ: إِنَّ الشُّعَرَاءَ وَغَيْرَهُمْ يُحَيُّونَ الْمَوْتَى بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ كَقَوْلِ قَائِلِهِمْ ([5]) :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قيس بن عاصم... وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا

فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ وَاحِدٍ... وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَــدَّمَا

الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، باب الْعَزْمِ بِالدُّعَاءِ وَلَا يَقُلْ إِنْ شِئْتَ، (4 / 2063 / رقم : 2678).

1 : النووي، "المنهاج شرح صحيح مسلم "، (6 / 48).

2 : أبو جري الهجيمي اختلف فِي اسمه فقيل: جابر بن سُلَيْم، وقيل: سُلَيْم بن جابر، وهو منسوب إلى الهجيم بن عَمْرو بن تميم. عداده فِي أهل البصرة. [انظر : ابن الأثير، "أسد الغابة "، (48/6/رقم : 5763)].

3 : رواه أبو داود، "السنن"، كتاب الأدب، باب كَرَاهِيَةِ أَنْ يَقُولَ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، (3 / 353 / رقم : 5209)، والترمذي، "السنن"، أبواب الاستئذان والآداب، باب مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ أَنْ يَقُولَ عَلَيْكَ السَّلَامُ مُبْتَدِئًا، (5 / 72 / رقم : 2722). قال الترمذي : (حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)، وصححه الألباني، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (2 / 1234 / رقم : 7401).

4 : مسلم، كتاب الجنائز، بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ دُخُولِ الْقُبُورِ وَالدُّعَاءِ لِأَهْلِهَا، (2 / 671 / رقم : 975). من حديث بريدة.

5 : الجبوي، الدكتور يحيى، "شعر عبدة بن الطيب"، دار التربية للنشر والتوزيع، ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب، 1391هـ - 1971 م، (ص :87-88).

فَكَرِهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُحَيَّى بِتَحِيَّةِ الْأَمْوَاتِ، وَمِنْ كَرَاهَتِهِ لِذَلِكَ لَمْ يَرُدَّ عَلَى الْمُسَلِّمِ بِهَا" ([1]).

يُنهى عن قول : السلام على الله

عن عبد الله بن مسعود، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "..لَا تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ " ([2]).

قال الهروي معلّلاً قوله صلى الله عليه وسلم : (لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ) " لِأَنَّ مَعْنَى السَّلَامِ عَلَيْكَ هُوَ الدُّعَاءُ بِالسَّلَامَةِ مِنَ الْآفَاتِ، أَيْ: سَلِمْتَ مِنَ الْمَكَارِهِ أَوْ مِنَ الْعَذَابِ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ لِلَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، أَيْ: هُوَ الَّذِي يُعْطِي السَّلَامَ لِعِبَادِهِ، فَأَنَّى يُدْعَى لَهُ وَهُوَ الْمَدْعُوُّ عَلَى الْحَالَاتِ؟ وَوَرَدَ فِي الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ أَيِ الْمُخْتَصُّ بِهِ لَا غَيْرُكَ لِتَعْرِيفِ الْجُزْأَيْنِ الدَّالِّ عَلَى الْحَصْرِ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، أَيْ: حُصُولُهُ لَا مِنْ غَيْرِكَ، وَإِلَيْكَ يَعُودُ السَّلَامُ، أَيْ: مَا صَدَرَ مِنْ غَيْرِكَ مِنَ السَّلَامِ، فَإِنَّمَا لَهُمْ صُورَةٌ، وَأَمَّا حَقَائِقُهُ فَرَاجِعَةٌ إِلَيْكَ " ([3]).

لا تقل : تعس الشيطان

عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، عَنْ رَجُلٍ ([4])، قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَثَرَتْ دَابَّةٌ، فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: " لَا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ " ([5]).

---

1 : ابن قيم الجوزية، " زاد المعاد في هدي خير العباد"، (1 / 35).

2 : ابن ماجه، "السنن، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب مَا جَاءَ فِي التَّشَهُّدِ (1 / 290 / رقم : 899). وقال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (2 / 1234 / رقم : 7403).

3 : الهروي، " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، (2 / 731).

4 : قال صاحب "المستدرك" : " وَرَدِيفُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي لَمْ يُسَمِّهِ يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ خَالِدٍ سَمَّاهُ غَيْرُهُ: أُسَامَةَ بْنَ مَالِكٍ وَالِدَ أَبِي الْمَلِيحِ بْنِ أُسَامَةَ".[الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، " المستدرك على الصحيحين"، تح : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411هـ – 1990م، (4 / 324/ رقم : 7792)].

5 : أبو داود، "السنن"، كتاب الأدب، باب لَا يُقَالُ خَبُثَتْ نَفْسِي، (4 / 296 / رقم : 4982). قال الألباني (صحيح)، "تخريج "تخريج الكلم الطيب، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن

في هذا الحديث يرشد النبي صلى الله عليه وسلم العبد إلى الاحتماء بالله سبحانه وتعالى من شر الشيطان؛ فإنّ هذا هو الذي ينفعه، ويقيه من شره، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنّ الشيطان يقول في الحالة الأولى : " بِقُوَّتِي" ؛ أي بقوتي صرعته وغلبته، أمّا في الحالة الثانية فإنه يتصاغر، وقد قال الله تعالى : (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [فصلت : 36].

محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، تح : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط3، 1977م، (1 / 174 / رقم : 238).

المبحث الثاني

الكذب والغيبة والنميمة

كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم الدعوة إلى الصِّدق في القول والتحذير من الكذب، والنهي عن الغيبة، ونقل كلام الناس بعضهم في بعض، والأحاديث في ذلك كثيرة وفيرة، وعلى ذلك ربَّى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جيلاً من الصحابة وصفهم الله تعالى بأنهم خير أمة أخرجت للناس، وذلك أنهم اقتدوا برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخذوا من صفاته وأخلاقه.

المطلب الأول

الكذب

لقد حذر الإسلام من الكذب بشكل عام، وورد الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في التحذير من ذلك، كقول الله تعالى : (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) [النحل : 105]، وقوله صلى الله عليه وسلم: ".. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا " ([1])، ولقد عرَّف العلماء

1 : متفق عليه : البخاري، كتاب الأدب، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة: 119] وَمَا يُنْهَى عَنِ الكَذِبِ، (8 / 25 / رقم : 6094)، ومسلم، كتاب البر والصلة الآداب، باب قُبْحِ الْكَذِبِ وَحُسْنِ الصِّدْقِ وَفَضْلِهِ، (4 / 2012 / رقم : 2607)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الكذب بأنه :" الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو، عمدًا كان أو سهوًا، سواء كان الإخبار عن ماض أو مستقبل"([1]).

ولقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين بأنهم أهل الكذب في حديثهم مع الناس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم، قال: " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ " ([2]).

وأوصانا النبي صلى الله عليه وسلم بأن لا نحدث بكل ما سمعنا خشية الوقوع في الكذب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ" ([3]). قال النووي : " وَمَعْنَاهُ: يَكْفِيهِ ذَلِكَ مِنَ الْكَذِبِ؛ فَإِنَّهُ قَدِ اسْتَكْثَرَ مِنْهُ، وَأَمَّا مَعْنَى الْحَدِيثِ وَالْآثَارِ الَّتِي فِي الْبَابِ فَفِيهَا الزَّجْرُ عَنِ التَّحْدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ الْإِنْسَانُ؛ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ فِي الْعَادَةِ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ، فَإِذَا حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ فَقَدْ كَذَبَ؛ لِإِخْبَارِهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ" ([4]).

وللكذب صور متعددة، وفيما يأتي بيان بعض هذه الصور ([5]) :

أولا : الكذب على الله تعالى ورسوله :

وهذا أعظم أنواع الكذب، وهو نوعان: " النوع الأول: أن يقول: قال الله كذا، وهو يكذب، كاذب على الله، ما قال الله شيئًا. والنوع الثاني: أن يفسر كلام الله بغير ما أراد الله؛ لأن المقصود من الكلام معناه، فإذا قال: أراد الله بكذا كذا وكذا، فهو كاذب على الله، شاهد على الله بما لم يرده الله عز وجل، لكن الثاني إذا كان عن اجتهاد وأخطأ في تفسير الآية، فإن الله تعالى يعفو عنه؛ لأن الله قال: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) [الحج: 78]، وقال: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) [البقرة:

---

1 : النووي، "المنهاج شرح صحيح مسلم"، (1 / 69).

2 : متفق عليه : البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، (1 / 16 / رقم : 33)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ، (1 / 78 / رقم : 59).

3 : مسلم، مقدمة الإمام مسلم، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، (1 / 11 / رقم : 5).

4 : النووي، "المنهاج شرح صحيح مسلم، " (1 / 75).

5 : انظر، أبو حامد الغزالي، " إحياء علوم الدين"، (3 / 133- 137). وابن عثيمين، "شرح رياض الصالحين"، (6 / 155- 158).

286]، وأما إذا تعمد أن يفسر كلام الله بغير ما أراد الله، اتباعاً لهواه أو إرضاء لمصالح أو ما أشبه ذلك، فإنه كاذب على الله عز وجل " ([1]).

ثانيا : الكذب في الحديث بين الناس :

وهو من صفات المنافقين، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب.. الحديث" ([2]).

ثالثا: الكذب لإضحاك الناس:

عن معاوية بن حيدة القشيرى ([3])، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ " ([4]).

قال المناوي: "كرره إيذانًا بشدة هلكته؛ وذلك لأنَّ الكذب وحده رأس كلِّ مذموم، وجماع كلِّ فضيحة، فإذا انضم إليه استجلاب الضحك الذي يميت القلب... ويورث الرعونة كان أقبح القبائح، ومن ثم قال الحكماء: إيراد المضحكات على سبيل السخف نهاية القباحة" ([5]).

رابعا : شهادة الزور:

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟" – ثَلاَثًا– قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ – وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا– فَقَالَ: أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ"، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ " ([1]).

---

1 : ابن عثيمين، "شرح رياض الصالحين"، (6 / 155– 156).

2 : تقدم تخريجه في ص : 142 .

3 : معاوية بْن حيدة بْن معاوية بْن قشير بْن كعب بْن ربيعة بْن عَامِر بْن صعصعة القشيري. من أهل البصرة، غزا خراسان ومات بِهَا، وهو جد بهز بْن حكيم بْن معاوية. روى عَنْهُ ابنه حكيم بْن معاوية.[ابن الأثير، "أسد الغابة"، (5 / 200/ رقم : 4982)].

4 : رواه أبو داود، " السنن"، كتاب الأدب، بابٌ فِي التَّشْدِيدِ فِي الْكَذِبِ، (4 / 297 / رقم : 4990)، والترمذي، "السنن"، أبواب الزهد، باب فِيمَنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُضْحِكُ بِهَا النَّاسَ، (4 / 557/ رقم : 2315)، قال الترمذي : (هذا حديث حسن). وقال الألباني (حسن)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (2 / 1199 / رقم : 7134).

5 : المناوي، "فيض القدير"، (6 / 368).

واللافت للنظر أنّ النبي صلى الله عليه وسلم غيّر جلسته عند ذكره لقول الزور وشهادة الزور؛ زيادة للاهتمام بهذا الموضوع، ولفتاً لانتباه السامعين، قال العيني : " وَسبب الإهتمام بذلك، كَون قَول الزُّور أَو شَهَادَة الزُّور أسهل وقوعاً على النَّاس، والتهاون بهَا أَكثر؛ لِأَن الْحَوَامِل عَلَيْهِ كَثِيرَة: كالعداوة والحقد والحسد... وَغير ذَلِك، فاحتيج إِلَى الاهتمام بتعظيمه، والشرك مفسدته قَاصِرَة، ومفسدة الزُّور متعدية" ([2]).

إنّ " الحيف في الشهادة من أشنع الكذب، فالمسلم لا يبالي إذا قام بشهادة ما أن يقرر الحقَّ، ولو على أدنى الناس منه وأحبهم إليه، لا تميل به قرابة ولا عصبية، ولا تزيغه رغبة أو رهبة. وتزكية المرشحين لمجالس الشورى، أو المناصب العامة، نوع من أنواع الشهادة، فمن انتخب المغموط في كفايته وأمانته، فقد كذب وزوَّر، ولم يقم بالقسط" ([3]).

---

1 : تقدم تخريجه صفحة : 71 .

2 : العيني، "عمدة القاري، (13 / 218).

3 : الغزالي، محمد، "خلق المسلم"، دار الدعوة، ط7، 1429هـ – 2008م، (ص : 42).

المطلب الثاني

الغيبة

الغيبة أن يذكر المسلم أخاه في غيبته بما يكرهه، قال المناوي : "هي ذكر العيب بظهر الغيب بلفظٍ، أو إشارةٍ، أو محاكاةٍ" ([1])، وقد بيّن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفهوم الغيبة فقال : "أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟" قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ"، قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: "إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ" ([2]).

وقد حرّم الإسلام الغيبة، وحذّر منها، وقبّح أمرها كما في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات : 12].

ومما يجدر ذكره هنا ما ذكره العلماء من أنّ الغيبة تباح لأسباب، قال النووي :"اعلم أنَّ الغِيبة تباح لغرض صحيح شرعي، لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أبواب:

الأول: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما مما له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان كذا.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد المعاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، فازجره عنه.

الثالث: الاستفتاء، فيقول: للمفتي: ظلمني أبي، أو أخي، أو زوجي، أو فلان بكذا.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم.

الخامس: أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته،كالمجاهر بشرب الخمر ومصادرة أموال الناس.

---

1 : المناوي، "فيض القدير"، (3 / 129).

2 : مسلم، كتاب البر والصلة الآداب، بَابُ تَحْرِيمِ الْغِيبَةِ، (4 / 2001 / رقم : 2589). من حديث أبي هريرة.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب الأعمش، والأعرج والأصم، والأعمى والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك. فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليها، دلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة" ([1]).

وقد ذكر تلخيصها الصنعاني في كتابه "سبل السلام"، نقلاً عن بعضهم قوله :

الذَّمُّ لَيْسَ بِغِيبَــةٍ فِي سِتَّةٍ... مُتَظَلِّمٍ وَمُعَــرِّفٍ وَمُحَذِّرٍوَلِمُظْهِرٍ فِسْقًا وَمُسْتَفْتٍ وَمَنْ... طَلَبَ الْإِعَانَةَ فِي إزَالَةِ مُنْكَرٍ ([2]).

1 : النووي، "رياض الصالحين"، تح : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1419هـ / 1998م، (ص: 432- 433).

2: الصنعاني، " سبل السلام "، (2/ 671).

المطلب الثالث

النميمة

النميمة هي : نقل كلام الناس بعضهم في بعض للإفساد بينهم، قال ابن الأثير : " هِيَ نَقْل الْحَدِيثِ مِنْ قَوم إِلَى قَوم، عَلَى جِهَةِ الإفسادِ والشَّرّ " ([1]).

ولقد جاءت السنة النبوية تنهى عن النميمة، وتحذر الناس منها، من ذلك ما رواه حذيفة رضي الله عنه، قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ" ([2]).

وقد بيَّن ابن الملقن المراد بعدم دخول الجنة للنَّمام فقال : "وحُمل على ما إذا استحل بغير تأويل مع العلم بالتحريم، أو لا يدخلها دخول الفائزين" ([3]).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبْرَيْنِ، فَقَالَ: " إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا هَذَا: فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَأَمَّا هَذَا: فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ "، ثُمَّ دَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ، فَغَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا، وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا، ثُمَّ قَالَ: "لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا" ([4]).

قال ابن دقيق العيد: "فِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى عِظَمِ أَمْرِ النَّمِيمَةِ، وَأَنَّهَا سَبَبُ الْعَذَابِ، وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى النَّمِيمَةِ الْمُحَرَّمَةِ" ([5]).

أشار ابن دقيق العيد بقوله : (وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى النَّمِيمَةِ الْمُحَرَّمَةِ) إلى أنّ من النميمة ما لا يكون محرماً، قال النَّووي: " فَلَوْ دَعَتْ إِلَى النَّمِيمَةِ حَاجَةٌ فَلَا مَنْعَ مِنْهَا، كَمَا إِذَا أَخْبَرَهُ أَنَّ إِنْسَانًا

---

1 : ابن الأثير، "النهاية"، (5 / 120).

2 : مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ، (1 / 101 / رقم : 105).

3 : ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر (ت 804هـ)، " الإعلام بفوائد عمدة الأحكام"، تح : عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح، دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1417 هـ – 1997 م، (1 / 531).

4 : تقدم تخريجه صفحة : 24 .

5 : ابن دقيق العيد، " إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، مطبعة السنة المحمدية، (1 / 106).

يُرِيدُ الْفَتْكَ بِهِ أَوْ بِأَهْلِهِ أَوْ بِمَالِهِ، أَوْ أَخْبَرَ الْإِمَامَ أَوْ مَنْ لَهُ وِلَايَةٌ بِأَنَّ فُلَانًا يَسْعَى بِمَا فِيهِ مَفْسَدَةٌ، وَيَجِبُ عَلَى الْمُتَوَلِّي الْكَشْفُ عَنْ ذَلِكَ وَإِزَالَتُهُ" ([1]).

ومن الأدلة على أنّ من النميمة ما هو مباح، بل هو واجب ما رواه ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِسْمَةً، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: وَاللَّهِ مَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ بِهَذَا وَجْهَ اللَّهِ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ، وَقَالَ: "رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى، لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ" ([2]).

قال ابن بطَّال: "فى هذا الحديث من الفقه أنه يجوز للرجل أن يخبر أهل الفضل والستر من إخوانه بما يقال فيهم، مما لا يليق بهم؛ ليعرفهم بذلك من يؤذيهم من الناس وينقصهم، ولا حرج عليه فى مقابلته بذلك وتبليغه له. وليس ذلك من باب النميمة " ([3]).

---

1 : ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت 974هـ) " الزواجر عن اقتراف الكبائر"، دار الفكر، ط1، 1407هـ - 1987م، (2 / 197).

2 : البخاري، كتاب الأدب، باب مَنْ أَخْبَرَ صَاحِبَهُ بِمَا يُقَالُ فِيهِ، (8 /18 / رقم : 6059).

3 : ابن بطال، "شرح صحيح البخاري"، (9 / 252).

المبحث الثالث

كلمات السخرية والاستهزاء

هذان اللفظان يستعملها الناس على أنهما مترادفان، وقد وردا في القرآن الكريم، ومما لا شك فيه أنّ لكل منهما معنىً يختص به ؛ فإنه لا ترادف في كتاب الله تعالى، وإن كان الترادف يردُ كثيراً في كلام البشر، وقد فرّق بينهما العسكريُّ في كتابه "الفروق" فبيّن : "أن الإنسان يُستهزأُ به من غير أن يسبق منه فعل يُستهزأ به من أجله. والسُّخْرُ: يدل على فعل يَسبق من المسخور منه، والعبارة من اللفظين تدل عن صحة ما قلناه، وذلك أنك تقول: استهزأت به. فتعدى الفعل منك بالباء، والباء للإلصاق، كأنك ألصقت به استهزاء من غير أن يدل على شيء وقع الاستهزاء من أجله، وتقول: سخرت منه... كما تقول: تعجبت منه، فيدل ذلك على فعلٍ وقع التعجب من أجله" ([1]).

وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن السخرية فقال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات : 11]، وبين سبحانه أنّ المنافقين يستهزئون بآيات الله ورسوله والمؤمنين قال سبحانه : ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦﴾ [التوبة : 65-66].

وإذا نظرنا إلى الأحاديث النبوية وجدنا أنّ رسول الله الرسول صلى الله عليه وسلم ما ترك خيراً إلا أمر به، ولا شراً إلا نهى عنه، ولا خلقاً حسناً يجمّل الحياة، ويقوّي العلاقة بين الناس إلا حثّ عليه، ولا خلقاً ذميماً يضعف صلات المحبة والوئام بين الناس أو يقطعها إلا حذّر منه، وزجر عنه، ومن ذلك السخرية والاستهزاء بالآخرين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ " ([2])، وقال أيضاً : " كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ،

---

1 : العسكري، "الفروق اللغوية"، (ص : 254).

2 : مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ، (4 / 1986 / رقم : 2564).

وَعِرْضُهُ " ([1])، وإنّ المتأمل في كثير من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته في هذا المقام يكتشف دون عناءٍ أنها مستقاةٌ من معين القرآن كقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [الحجرات :11].

وللسخرية والاستهزاء تعبيرات وصور متعددة يصعب حصرها منها :

التعيير :

عَنِ المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ ([2])، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ ([3])، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ" ([4]).

لقد أنكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبي ذرٍّ إنكاراً شديداً، وزجره زجراً بليغاً، بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ "، أي إنّ هذا من أخلاق أهل الجاهلية. وهذا الحديث أصلٌ في التحذير من التعيير في مثل هذه الأمور ونحوها ؛ فإنّ أبا ذر كان قد عيّر بلالاً بأمه بقوله : " يَا ابْنَ السَّوْدَاءِ "، كما في رواية البيهقي ([5])، والبياض والسواد والطول والقصر ونحو هذه الصفات من الأمور الجبلِّيَّةِ، التي لا دخْل للإنسان فيها، فيقبح جداً التعيير بها، وكالتعيير بالغنى والفقر ؛ فإنّ التعيير في هذه الأمور ونحوها هو أذىً للخلق من جهة، وسوء أدبٍ مع الخالق سبحانه، وقد قال الله تعالى : ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [الزخرف :32].

---

1 : مسلم، كتاب البر والصلة الآداب، بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ، (4 / 1986 / رقم : 2564). من حديث أبي هريرة.

2 : الْحُلَّةُ : ثَوْبَانِ لَا يَكُونُ وَاحِدًا [النووي، "المنهاج"، (4 / 219)].

3 : الخَوَلُ: حَشَمُ الرجُل وأتباعُه، وأحدُهم خَائِلٌ. وَقَدْ يَكُونُ وَاحِدًا، ويقَعُ عَلَى العَبدِ والأمَة، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ التَّخْوِيل: التَّمليك. وَقِيلَ مِنَ الرِّعاية. [ابن الأثير، "النهاية "، (2 / 88)].

4 : تقدم تخريجه صفحة : 90 .

5 : تقدم تخريجه صفحة : 91 .

الهمز واللمز :

الهمز واللمز صفتان مذمومتان تضمّن القرآن الوعيد الشديد لمن اتصف بهما، قال الله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة : 1]. وقد قيل في الفرق بينهما: أن الهمز هو الطعن في الإنسان في غيبته، أمّا اللمز فهو الطعن فيه في حضرته ([1])، وقال ابن كثير : " والهمز بالفعل، واللمز بالقول" ([2]).

واللمز من صفات المنافقين، وأهل الجاهلية، وقد تقدّم أنّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشتد على أبي ذرٍ عندما لمز بلالاً بأمه، وقد كان المنافقون يلمزون المطوّعين في الصدقات كما قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة : 79].

وإذا كان اللمز هو الكلام المؤذي للإنسان في حضرته ؛ فإنّ أيَّ كلامٍ يجرح الآخرين، ويؤذيهم في مشاعرهم يكون داخلاً في اللمز، وقد يكون اللمز خفياً، بأسلوب التعريض، " ورب لمز خفي هو أشد من طعن صريح، وأعمق جرحًا في داخل النفس، لأن فيه بالإضافة إلى الطعن والتجريح بالعيب معنى استغباء الملموز واستغفاله، فكأن اللامز يشعر الذين في المجلس أن الملموز غبي لا يتنبه إلى الطعن الذي يوجه ضده في رمز الكلام. واللمز قبيحة اجتماعية تورث الأحقاد والأضغان، وتقطع أواصر الأخوة الإيمانية، وهو ظلم من الإنسان لأخيه الإنسان، وعدوان على حقه عليه" ([3]).

التنابز بالألقاب:

ومما جاء النهي عنه شديداً كلمات التنابز بالألقاب، وقد كان هذا شائعاً في بعض القبائل حتى جاء الإسلام ونهى عنه، فعن أَبي جَبِيرَةَ بْنِ الضَّحَّاكِ قَالَ: فِينَا نَزَلَتْ فِي بَنِي سَلِمَةَ ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات: 11] قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، وَلَيْسَ مِنَّا رَجُلٌ إِلَّا وَلَهُ

---

1 : انظر : السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف (ت 756 هـ)، " عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ"، تح : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، 1417 هـ - 1996 م، (4 / 259).

2 : ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، (7 / 352).

3 : حبنكة، "الأخلاق الإسلامية وأسسها"، (2 / 236).

اسْمَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ، فَكَانَ إِذَا دُعِيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِاسْمٍ مِنْ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ يَغْضَبُ مِنْ هَذَا: قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: 11] ([1]).

إن التنابز بالألقاب مما يؤذي الناس، إذ يحمل معنى التحقير والإهانة، لذا نهى الله عنه، وجعله من المحرمات، وجعله من الفسوق والظلم، وربما يصل التنابز بالألقاب إلى مستوى الشتيمة، كالنبز بالحمار، والثور، والكلب، ونحو ذلك. ومن شأن التنابز بالألقاب أنه يقطع أواصر الأخوة الإيمانية، ويفسد المودات، ويولد العداوات والأحقاد، وربما يوصل إلى التقاتل مع ثورات الغضب، وهيجان الحماقات ([2]).

فائدة :

قال الخازن: "قال بعض العلماء: المراد بهذه الألقاب ما يكرهه المنادى به أو يفيد ذمًّا له، فأما الألقاب التي صارت كالأعلام لأصحابها كالأعمش والأعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها، إذا لم يكرهها المدعو بها، وأما الألقاب التي تكسب حمدًا ومدحًا تكون حقًّا وصدقًا فلا يكره، كما قيل لأبي بكر: عتيق، ولعمر: الفاروق، ولعثمان: ذو النورين، ولعلي: أبو تراب، ولخالد سيف الله، ونحو ذلك" ([3]).

---

1 : أحمد، "المسند"، (30 / 221 / رقم : 18288)، والحاكم، "المستدرك"، كتاب الأدب، (4 / 314 / رقم : 7755). قال محقق المسند شعيب الأرنؤوط : (إسناده صحيح إن صحت صحبة أبي جبيرة بن الضحاك)، وقال الحاكم : (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ).

2 : حبنكة، " الأخلاق الإسلامية وأسسها"، (2 / 237)، بتصرف يسير.

3 : الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، " لباب التأويل في معاني التنزيل"، تصحيح : محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415 هـ، (4 / 181).

المبحث الرابع

لغة الجسد المنهي عنها

لقد خلق الله تعالى الإنسان على أحسن هيئة، ووضع فيه من الوسائل التي تمكِّنه من التواصل مع الآخرين، ومن هذه الوسائل : اللسان، ولغة الجسد: كالعينين، والكتفين، والرأس، ولا يكاد ينطق الإنسان كلمة إلا ويتفاعل معها بحركة في جسده، وفي هذا زيادة في توضيح الكلام، وكما أنّ في لغة اللسان ما هو منهيٌ عنه، فكذلك هناك في لغة الجسد ما هو منهيٌ عنه.

وقد تعددت أشكال لغة الجسد المنهي عنها، فمنها ما هو بالإشارة، ومنها ما يكون بالابتسامة التي يقصد منها الاستهزاء، وسنعرض في هذا المبحث عدة أشكال للغة الجسد المنهي عنها كما جاء في سنة النبي صلى الله عليه وسلم :

الإشارات التي تصدر من الإنسان بجوارحه للاستهزاء :

وقد تُسمى هذه الإشارات باللمز، قال الفيروزآبادي: " اللَّمْزُ: العَيْبُ، والإِشَارَةُ بالعَيْنِ ونحوِها" ([1])، قال الله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة : 1]

ولعل السرَّ في هذا الوعيد الشديد المذكور في الآية يكمُنُ في شدِّة الأذى النفسي الذي يلحق بالشخص الملموز، فقد تكون نظرة استهزاءٍ، أو حركة بيدٍ، أو برأسٍ ونحو ذلك أشدَّ من كلمة جارحة باللسان، وهذا مُشاهدٌ ومَلْموس في واقع التعامل بين الناس.

ومن الأمثلة على ذلك ما حَدث مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حين كان يطوف بالكعبة، فغمزه المشركون، روى عروة بن الزبير، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ([2]): قُلْتُ لَهُ: مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللهِ، فِيمَا كَانَتْ تُظْهِرُ مِنْ عَدَاوَتِهِ؟ قَالَ: حَضَرْتُهُمْ وَقَدِ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يَوْمًا فِي الْحِجْرِ، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ، سَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ

1 : الفيروزآبادي، "القاموس المحيط"، (ص : 524).

2 : القائل هنا : عروة بن الزبير مخاطباً عبد الله بن عمرو بن العاص.

جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ آلِهَتَنَا، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، أَوْ كَمَا قَالُوا: قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلَ يَمْشِي، حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ،

فَلَمَّا أَنْ مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ ([1]) بِبَعْضِ مَا يَقُولُ، قَالَ: فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ مَضَى، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الثَّانِيَةَ، غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ مَضَى، ثُمَّ مَرَّ بِهِمُ الثَّالِثَةَ، فَغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَقَالَ: " تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ "، فَأَخَذَتِ الْقَوْمَ كَلِمَتُهُ، حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَأَنَّمَا عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَاقِعٌ ([2])، حَتَّى إِنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَصَاةً قَبْلَ ذَلِكَ لَيَرْفَؤُهُ ([3]) بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ: انْصَرِفْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، انْصَرِفْ رَاشِدًا، فَوَاللهِ مَا كُنْتَ جَهُولًا" ([4]).

فائدة في خائنة الأعين :

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ، إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ وَقَالَ: "اقْتُلُوهُمْ، وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَلٍ وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ"، فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَلٍ فَأُدْرِكَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حُرَيْثٍ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَسَبَقَ سَعِيدٌ عَمَّارًا، وَكَانَ أَشَبَّ الرَّجُلَيْنِ فَقَتَلَهُ، وَأَمَّا مَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ فَأَدْرَكَهُ النَّاسُ فِي السُّوقِ فَقَتَلُوهُ، وَأَمَّا عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ الْبَحْرَ، فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفٌ، فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ: أَخْلِصُوا، فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لَا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَاهُنَا. فَقَالَ عِكْرِمَةُ: وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِي مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا الْإِخْلَاصُ، لَا يُنَجِّينِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا، إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِيَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ، فَلَأَجِدَنَّهُ عَفُوًّا كَرِيمًا، فَجَاءَ فَأَسْلَمَ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ، فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى

---

1 : فَسَّرَ بعض العلماء (الغَمْز) بِالْإِشَارَةِ، كَالرَّمْزِ بِالْعَيْنِ أَوِ الْحَاجِبِ أَوِ الْيَدِ. [انظر : ابن الأثير، "النهاية"، (3 / 386)].

2 : المعنى أنهم بُهتوا، وتركوا ما كانوا عليه من الغمز، واعتراهم السكون، من شدّة دهشتهم. قال ابن الأثير : " وَفِي صِفَةِ الصَّحَابَةِ (كأنّما على رُؤُوسهم الطَّيْر)، وصَفَهم بالسُّكون والوَقَار، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ طَيْشٌ وَلَا خِفَّةٌ، لِأَنَّ الطَّيْر لَا تَكَادُ تَقَعُ إِلَّا عَلَى شيءٍ سَاكِن"، ["النهاية "، (3 / 150)].

3 : أَيْ يُسَكِّنُه ويرفُقُ بِهِ وَيَدْعُو لَهُ. [ابن الأثير، "النهاية"، (2 / 241)].

4 : أحمد بن حنبل، "المسند"، (11 / 609-611 / رقم : 7036)، وقال شعيب الأرنؤوط : (إسناده حسن). وابن حبان، "صحيح ابن حبان"، (14 / 525 / رقم : 6567) .

الْبَيْعَةِ، جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَايِعْ عَبْدَ اللَّهِ، قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، ثَلَاثًا كُلَّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: "أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ" فَقَالُوا: وَمَا يُدْرِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ، هَلَّا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ؟ قَالَ: "إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ أَعْيُنٍ" ([1]).

المحاكاة :

وهي أن يقلّد الشخص في فعله إنساناً آخر، كأن يمشي كمشيته، يُقَالُ حَكَاهُ وحَاكَاه، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْقَبِيحِ ([2]).

"قال النووي: من الغيبة المحرمة المحاكاة، بأن يمشي متعارجا، أو مطاطيا رأسه، أو غير ذلك من الهيئات" ([3]).

وقد أنكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشدة على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما صدر منها شيءٌ من هذا، قالت رضي الله عنها : حَكَيْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَقَالَ: "مَا يَسُرُّنِي أَنِّي حَكَيْتُ رَجُلًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا"، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةٌ، وَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا، كَأَنَّهَا تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: "لَقَدْ مَزَجْتِ بِكَلِمَةٍ لَوْ مَزَجْتِ بِهَا مَاءَ البَحْرِ لَمُزِجَ" ([4]). وفي لفظ لأبي داود: فَقَالَ: "لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ" قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: "مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا" ([5]).

---

1 : النسائي، "السنن"، كتاب تحريم الدم، الحكم في المردت، (7 / 105 / رقم : 4067). قال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (1 / 476 / رقم : 2426).

2 : انظر : ابن الأثير، "النهاية"، (1 / 421) .

3 : المناوي، "فيض القدير"، (5 / 411 / رقم : 7786).

4 : تقدم تخريجه صفحة : 115 .

5 : تقدم تخريجه صفحة : 115 .

التبختر في المشي والتكبر فيه:

إنّ التبختر في المشي علامة الكِبر والغرور، وفيه استطالةٌ على الخلق، واستهانة بهم، حتى لو لم يتكلم المتبختر بذلك، لكنّ حركاته مُفصحةٌ بذلك، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ، يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَخَسَفَ اللهُ بِهِ الْأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" ([1]).

عبوس الوجه :

إنّ عبوس الوجه واقتضابه مما تنفر منه النفوس البشرية، ولكن كان يغلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم الابتسامة والبشارة، وهذا مما ينبغي أن يتحلى به الدعاة إلى الله والقادة والمربون والآباء والأمهات ؛ فإنه من أسباب المحبة، وتأليف القلوب، وكسب الثقة الآخرين، فعلامات الصِدق تظهر في وجوه الصادقين، وكذا علامات الكذب تظهر في وجوه الكاذبين، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْجَفَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَكُنْتُ فِيمَنِ انْجَفَلَ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: " أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ " ([2]).

وقد عاتب الله تعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما عبس في وجه ابن أم مكتوم، فقال تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ [عبس : 1-10]. عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أُنْزِلَ: ﴿آوَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس: 1] فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الأَعْمَى، أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرْشِدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ

---

1 : مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تَحْرِيمِ التَّبَخْتُرِ فِي الْمَشْيِ مَعَ إِعْجَابِهِ بِثِيَابِهِ، (3 / 1654 / رقم : 2088).

2 : أحمد بن حنبل، "المسند"، (39 / 201 / رقم : 23784)، والترمذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (4 / 652 / رقم : 2485)، وابن ماجه، "السنن"، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، بَابُ مَا جَاءَ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ، (1 / 423 / رقم : 1334). قال الترمذي :(هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ)، وقال شعيب الأرنؤوط : (إسناده صحيح). من حديث عبد الله بن عمر.

المُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الآخَرِ، وَيَقُولُ: "أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا؟" فَيَقُولُ: لَا، فَفِي هَذَا أُنْزِلَ " ([1]).

الإشارة بالسلاح :

والإشارة تكون غالباً باليد ؛ ولذا فهي من لغة الجسد، وقد نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ " ([2]).

إدامة النظر إلى أصحاب الإعاقة :

إنّ إدامة النظر إلى أصحاب الإعاقة قد يحزنهم، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا تُدِيمُوا النَّظَرَ إِلَى الْمَجْذُومِينَ" ([3]).

وقد علّمنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رأينا مُبتلىً أن نحمد الله تعالى على العافية، فعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ، فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ البَلَاءِ كَائِنًا مَا كَانَ مَا عَاشَ " ([4]). لكن ينبغي الحذر من أن يَسمعَه المُبتلى، فإنّ ذلك يحزنه ويغمُّه.

---

1 : الترمذي،"السنن"، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة عبس،(5 / 432 / رقم :3331). قال الترمذي : (هذا حديث غريب). وقال الألباني : (صحيح الإسناد)، "صحيح وضعيف سنن الترمذي"، (7/ 33/ رقم :1333).

2 : مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى السلم، (4 / 2020 / رقم : 2617).

3 : ابن ماجه، "السنن"، كتاب الطب، باب الجذام، (2 / 1172 / رقم : 3543). وقال الألباني : (صحيح)، الألباني، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (2 / 1216 / رقم : 7264).

4 : الترمذي ، "السنن"، أبواب الدعوات، باب مَا يَقُولُ إِذَا رَأَى مُبْتَلًى، (5 / 493 / رقم : 3431)، وقال الترمذي : (هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ). وقال الألباني : (حسن)، "صحيح وضعيف سنن الترمذي"، (7 / 341 / رقم : 3431).

المبحث الخامس

السباب واللعان والتكفير

لقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أنّ اللسان هو أخطر الأعضاء، وأنّ له التأثير الكبير على سلوك الإنسان، وأن استقامة اللسان سبب استقامة الإنسان، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: " إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ([1])، فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا؛ فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ، اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا " ([2]).

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم التحكُّمَ باللسان أنه مِلاك الأمر بالنسبة لاستقامة الإنسان، فعن معاذ بن جبل قال : قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ([3]) ذَلِكَ كُلِّهِ"؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: "كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا"، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ([4]) يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ" ([5]).

وقد بيّن صلى الله عليه وسلم جملة من المخاطر والمحاذير المتعلقة باللسان، وحذّر منها أشدَّ التحذير، وقد أجملها بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق : " وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ"، ومن هذه المخاطر والمحاذير السباب واللعن والتكفير.

---

1 : أي تَذِلّ وتَخْضَع. [ابن الأثير، "النهاية "، (4 / 188)].

2 : أحمد، "المسند"، (18 / 402 / رقم : 11908)، وقال محققه شعيب الأرنؤوط : (إسناده حسن)، والترمذي، "السنن"، أبواب الزهد، بَابُ مَا جَاءَ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ، (4 / 605 / رقم : 2407)، وقال الترمذي : (هَذَا حَدِيثٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ). وقال الألباني : (حسن)،"صحيح وضعيف سنن الترمذي"، (407/5/رقم : 2407).

3 : الْمِلَاكُ مَا بِهِ إِحْكَامُ الشَّيْءِ وَتَقْوِيَتُهُ. [المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: 1353هـ)، "تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي"، دار الكتب العلمية – بيروت، (7 / 305)].

4 : فَقَدَتْكَ وَأَصْلُهُ الدُّعَاءُ بِالْمَوْتِ ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي التَّعَجُّبِ. [المباركفوري، "تحفة الأحوذي"، (7 / 345)].

5 : الترمذي، "سنن الترمذي"، (5 / 12 / رقم : 2616)، وقال الترمذي : (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ). وقال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (2 / 913 / رقم : 5136).

المطلب الأول

السُّباب

"السَّبُّ هو الشَّتْمُ، يُقَالُ سَبَّهُ يَسُبُّهُ سَبّاً وسِبَاباً" ([1])، "والسبب: الطريق والباب أيضًا؛ وذلك لأنهما يتوصل بهما إلى ما بعدهما، وسمي الشتم الوجيع سبا؛ لأنه يوصل إلى المشتوم أو يتوصل به إلى أذاه، قال تعالى: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) [الأنعام: 108] أي يتكلمون بما لا يليق بجلاله... وقد يطلق على سبب السُّبَّة سبًا، ومنه: لا يسب الرجل أباه. قيل: كيف يسب أباه؟ قال: يسب أبا الرجل، فيسب أباه ([2]) " ([3]).

لقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من سباب المسلمين، ووصف من يصدر منه ذلك بالفسوق، فقال صلى الله عليه وسلم : "سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ" ([4]).

وقد بيّن صلى الله عليه وسلم أنّ من أفضل المسلمين عند الله من سَلِمَ المسلمون من لسانِه ويده، فعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّه عَنْه قَالَ : قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : " مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ " ([5]).

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أنّه إذا سمع عن أحدٍ أنه شاتم أحداً من المسلمين أو أساء إليه أن يزجره وينهاه عن ذلك، كما فعل صلى الله عليه وسلم مع أبي ذر عندما سبَّ رجلاً فعيّره بأمه، فعَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ : لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَا أَبَا ذَرٍّ !

---

1 : ابن الأثير، "النهاية "، (2 / 330) ، بتصرف يسير.

2 : أحمد بن حنبل، "المسند"، (11 / 431 / رقم : 6841)، قال المحقق شعيب الأرنؤوط : (إسناده صحيح على شرط الشيخين).

3 : السمين الحلبي، (2 / 163-164)، فتصرف يسير.

4 : البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعان، (8 / 15 / 6044).

5 : متفق عليه : البخاري، كتاب الإيمان، بَابٌ: أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ؟، (1 / 11 / رقم : 11). ومسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ تَفَاضُلِ الْإِسْلَامِ، وَأَيُّ أُمُورِهِ أَفْضَلُ، (1 / 66 / رقم : 42).

أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ " ([1]).

وقد بيّن صلى الله عليه وسلم أنّه إذا تسابَّ رجلان فالإثم على البادئ منهما، ما لم يعتد المظلوم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِئِ، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ" ([2]). قال النووي : "الْوَاقِعِ مِنَ اثْنَيْنِ مُخْتَصٌّ بِالْبَادِئِ مِنْهُمَا كُلُّهُ، إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ الثَّانِي قَدْرَ الِانْتِصَارِ، فَيَقُولُ لِلْبَادِئِ أَكْثَرَ مِمَّا قَالَ لَهُ، وَفِي هَذَا جَوَازُ الِانْتِصَارِ، وَلَا خِلَافَ فِي جَوَازِهِ، وَقَدْ تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة، قال الله تَعَالَى: (**وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ**) [الشورى: 41]، وَقَالَ تَعَالَى: (**وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ**) [الشورى:39]، وَمَعَ هَذَا فَالصَّبْرُ وَالْعَفْوُ أَفْضَلُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (**وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ**) [الشورى : 43]" ([3]).

وقد بيّن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ من أسباب الإفلاس يوم القيامة الإكثار من إيذاء المسلمين باللسان واليد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟" قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ" ([4]).

---

1 : سبق تخريجه ص: 90 .

2 : مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بَابُ النَّهْيِ عَنِ السِّبَابِ، (4 / 2000 / رقم : 2587).

3 : النووي، "المنهاج شرح صحيح مسلم"، (16 / 141).

4 : مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، (4 / 1997 / رقم : 2581).

وقد ورد في الأحاديث النبوية النهيُ عن سبِّ جملة من المعاني والأعيان، من ذلك :

النهي عن سب الأموات :

عن عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لاَ تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا " ([1]).

والحكمة في النهي عن سبهم والله أعلم: أنّ سبهم نوعٌ من الحساب والجزاء، وحسابهم وجزاؤهم بعد موتهم عند الله سبحانه وتعالى وحده، وإليه الإشارة بقوله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا"، وفي سبِّ الأموات إيذاءٌ لأقاربهم من الأحياء، فعن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ، فَتُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ " ([2]).

النهي عن سب الدهر :

مما هو شائع بين الناس سبُّ اليوم، وسبُّ الشهر، وسبُّ السنة، وسبُّ الساعة، كشتم بعضهم للساعة أو لليوم أو للشهر أو للسنة التي عرف فيها فلاناً أو صاهر فلاناً ونحو ذلك، وقد نهى صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك، كما ورد في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : " يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ " ([3]).

قال الخطّابي : " قوله: أنا الدهر، معناه أنا صاحب الدهر، ومدبر الأمور، التي تنسبونها إلى الدهر، فإذا سب ابن آدم الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور، عاد سبه إليَّ؛ لأني فاعلها، وإنما

---

1 : البخاري، كتاب الجنائز، باب مَا يُنْهَى مِنْ سَبِّ الأَمْوَاتِ، (2 / 104 / رقم : 1393).

2 : رواه أحمد، "المسند "، (30 / 150 / رقم : 18210)، قال محققه شعيب الأرنؤوط : (حديث صحيح)، والترمذي، "السنن"، أبواب البر والصلة، باب لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ، (4 / 353 / رقم : 1982)، وقال الترمذي : (وَقَدْ اخْتَلَفَ أَصْحَابُ سُفْيَانَ فِي هَذَا الحَدِيثِ)، وصححه ابن حبان، " صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان"، (7 / 292 / رقم : 3022). وقال الألباني : (صحيح)، "صحيح وضعيف سنن الترمذي"، (4 / 482 / رقم : 1982).

3 : متفق عليه :البخاري،كتاب تفسير القرآن،باب(وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ)[الجاثية:24]،(6 / 133 / رقم : 4826). ومسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ، (4 / 1762 / رقم : 2246).

الدهر زمان، جُعل ظرفا لمواقع الأمور، وكان من عادة أهل الجاهلية إذا أصابهم شدة من الزمان أو مكروه من الأمر أضافوه إلى الدهر وسبوه فقالوا: بؤسا للدهر، وتبا للدهر " ([1]).

النهي عن سب الصحابة :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ " ([2]).

قال القاضي عياض : " توقير أصحابه وبرّهم وَمَعْرِفَةُ حَقِّهِمْ : وَمِنْ تَوْقِيرِهِ وَبِرِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوْقِيرُ أَصْحَابِهِ وَبِرُّهُمْ، وَمَعْرِفَةُ حَقِّهِمْ، وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ، وَحُسْنُ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ، وَالْإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَمُعَادَاةُ مَنْ عَادَاهُمْ، والإضراب عَنْ أَخْبَارِ الْمُؤَرِّخِينَ، وَجَهَلَةِ الرُّوَاةِ، وَضُلَّالِ الشِّيعَةِ وَالْمُبْتَدِعِينَ الْقَادِحَةِ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ.. وَأَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ فِيمَا نُقِلَ عَنْهُمْ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ فِيمَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفِتَنِ أَحْسَنُ التَّأْوِيلَاتِ، ويخرّج لهم أصوب المخارج؛ إذ هم أَهْلُ ذَلِكَ، وَلَا يُذْكَرَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِسُوءٍ، ولا يغمص عَلَيْهِ أَمْرٌ، بَلْ تُذْكَرَ حَسَنَاتُهُمْ وَفَضَائِلُهُمْ وَحَمِيدُ سيرهم، ويسكت عما وراء ذلك" ([3]).

النهي عن التسبب في سب الوالدين :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مِنَ الْكَبَائِرِ أَنْ يَشْتُمَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ : " نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَشْتُمُ أَبَاهُ، وَيَشْتُمُ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ " ([4]).

---

1 : الخطابي، "أعلام الحديث"، (4 / 1904).

2 : رواه الشيخان : البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا"، (5 / 8 / رقم : 3673). ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب تَحْرِيمِ سَبِّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، (4 / 1967 / رقم : 2541).

3 : القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت 544هـ)، " الشفا بتعريف حقوق المصطفى"، دار الفيحاء – عمان، ط2، 1407 هـ، (2 / 116).

4 : مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا، (1 / 92 / رقم : 90).

قال النووي : " وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ إِلَى آخِرِهِ فَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ تَسَبَّبَ فِي شَيْءٍ جَازَ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الشَّيْءُ، وَإِنَّمَا جَعَلَ هَذَا عُقُوقًا؛ لِكَوْنِهِ يَحْصُلُ مِنْهُ مَا يَتَأَذَّى بِهِ الْوَالِدُ تَأَذِّيًا لَيْسَ بِالْهَيِّنِ " ([1]).

النهي عن سب الريح :

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ " ([2]).

والظاهر أنّ النهيَ عن سبِّ الريح كالنهي عن سب الدهر، فإنّ الريح من جنود الله وخلقه، فهو يصرِّفها كيف يشاء، فإن شاء جعلها شرقيةً وإن شاء جعلها غربية، وإن شاء جعلها صرصراً عاتية، وإن شاء جعلها ليِّنةً نافعة، وإن شاء جعلها مبشِّرةً بين يدي رحمته، وإن شاء جعلها نذير عذابٍ، سبحانه جلَّ شأنه وتقدست أسماؤه.

النهي عن سب الديك :

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ" ([3]).

لقد علل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهيَه عن سبِّ الديك بقوله : " فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ"، فكيف يُسبُّ هذا المخلوق الجميل، ذو الصوت الحسن، الذي جعله الله سبباً للقيام بعبادة هي أعظم العبادات، أو من أعظمها !

---

1 : النووي، "المنهاج شرح صحيح مسلم "، (2 / 88).

2 : الترمذي ، "السنن"، أبواب الفتن، بَابُ مَا جَاءَ فِي النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيَاحِ، (4 / 521 / رقم : 2252)، قال الترمذي : (حديث حسن صحيح).

3 : رواه أحمد، "المسند"، (36 / 12 / رقم : 21679)، وقال محققه شعيب الأرنؤوط : (رجاله ثقات رجال الشيخين)، أبو داود، "السنن"، كتاب الأدب،بَابُ مَا جَاءَ فِي الدِّيكِ وَالْبَهَائِمِ، (4 / 327 / رقم : 5101)، وصححه ابن حبان، " صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان"، (13 / 37 / رقم : 5731)، وقال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، (2 / 1222/ رقم : 7314).

النهي عن سب الحُمَّى :

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ ([1]) أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ: "مَا لَكِ؟ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ ([2])؟" قَالَتْ: الْحُمَّى، لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا، فَقَالَ: "لَا تَسُبِّي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ " ([3]).

والظاهر أنّ النهي عن سبِّ الحُمَّى كالنهيِ عن سبِّ الريحِ وسبِّ الدهر ؛ فإنّ الحُمى خلق من خلق الله تعالى يصيب بها من يشاء من عباده. وهي من وجهٍ آخر وسيلة إلى أمرٍ مرغوبٍ مطلوب وهو تكفير الخطايا، فكيف تسبُّ إذن !

---

1 : صحابية، روى لها مسلم هذا الحديث، ولم أجد لها تاريخ وفاة. انظر : ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، " الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، تح : علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412 هـ - 1992 م،(4 / 1938). وابن الأثير، " أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)، " أسد الغابة في معرفة الصحابة"، تح : علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ - 1994 م، (7 / 325). وابن حجر، "الإصابة في تمييز الصحابة"، (8 / 399).

2 : أَيْ ترتَعِد مِنَ البَرْد، [ابن الأثير، "النهاية"، (2 / 305)].

3 : مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ حُزْنٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، (4 / 1993 / رقم : 2575).

المطلب الثاني

اللعن

اللعن: الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وهو من الله تعالى في الأخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من رحمة الله وتوفيقه. وأما من الناس فهو الدعاء بذلك. وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ [النساء: 52] أي أبعدهم من رحمته، وكان الرجل إذا تمرد أبعدته العرب خوف أن تلحقهم جريرته فيقولون: هو لعين بني فلانٍ أي ملعونهم ([1]).

وقد حذّر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أن يكون المسلم طعاناً أو لعاناً أو فاحشاً أو بذيئاً، وبيّن أنّ هذا يتناقض مع صفات المسلم الصادق، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ" ([2])، وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَكُونُ المُؤْمِنُ لَعَّانًا" ([3])، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا" ([4]).

وبيّن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حال اللّعانين يوم القيامة فقال : "لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ" ([5])، قال ابن القيم رحمه الله: " لأن اللعن إساءة، بل من أبلغ الإساءة، والشفاعة إحسان، فالمسيء في هذه الدار باللعن سلبه الله الإحسان في الأخرى بالشفاعة، فإن الإنسان إنما يحصد ما يزرع، والإساءة مانعة من الشفاعة التي هي إحسان. وأما منع اللعان من

---

1 : انظر : الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، (ص : 741). والسمين الحلبي، "عمدة الحفاظ"، (4 / 27).

2 : تقدم تخريجه صفحة : 104 .

3 : الترمذي، "السنن"، أبواب البر والصلة، بَابُ مَا جَاءَ فِي اللَّعْنِ وَالطَّعْنِ، (4 / 371 / رقم : 2019)، وقال الترمذي : (حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ).

4 : مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، (4 / 2005 / رقم : 2597).

5 : مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النَّهْيِ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا، (4 / 2006 / رقم : 2598). عن أبي الدرداء.

الشهادة؛ فإن اللعن عداوة، وهي منافية للشهادة، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم سيد الشفعاء، وشفيع الخلائق؛ لكمال إحسانه ورأفته ورحمته بهم" ([1]).

ولقد عدَّ النبي صلى الله عليه وسلم لعن المؤمن كقتله، فقال: "وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ" ([2])، قال النووي : " فَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُمَا سَوَاءٌ فِي أَصْلِ التَّحْرِيمِ، وَإِنْ كَانَ الْقَتْلُ أَغْلَظَ" ([3]).

وقد بين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ اللعنة إذا خرجت من فم صاحبها فإن كان المخاطّب بها أو المعنيُّ بها مستحقاً للّعن، وإلا رجعت إلى اللّاعن ؛ فعن أَبَي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا، رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا، وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا " ([4]).

وهذه النصوص وغيرها تبيّن أنّ لعن المسلم من الكبائر، وقد ذكر ذلك ابن حجر الهيتمي في كتابه "الزواجر عن اقتراف الكبائر"، فقال : " الْكَبِيرَةُ التَّاسِعَةُ وَالثَّمَانُونَ وَالتِّسْعُونَ وَالْحَادِيَةُ وَالتِّسْعُونَ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ: سَبُّ الْمُسْلِمِ وَالِاسْتِطَالَةُ فِي عِرْضِهِ وَتَسَبُّبُ الْإِنْسَانِ فِي لَعْنِ أَوْ شَتْمِ وَالِدَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَسُبَّهُمَا وَلَعْنُهُ مُسْلِمًا" ([5]).

هذا وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن لعن الدواب، كما في حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : " خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ "، قَالَ عِمْرَانُ : فَكَأَنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ " ([6])، والظاهر أنّ

---

1 : ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)، "بدائع الفوائد"، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (3 / 207).

2 : البخاري، كتاب الأدب، باب مَا يُنْهَى مِنَ السِّبَابِ وَاللَّعْنِ، (8 / 15 / رقم : 6047)، عن ثابت بن الضحاك.

3 : النووي، " المنهاج شرح صحيح مسلم"، (2 / 125).

4 : أبو داود، "السنن"، كتاب الأدب، باب في اللعن، (4 / 277 / رقم : 4905). قال الألباني : (حسن)، الألباني، "صحيح الجامع"، (1 / 343 / رقم : 1672).

5 : ابن حجر الهيتمي، " الزواجر عن اقتراف الكبائر"، (2 / 92).

6 : مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النَّهْيِ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا، (4 / 2004 / رقم : 2595).

النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد بذلك معاقبة المرأة الأنصارية، لأنها لعنت من لا يستحق اللعن، قال ابن الجوزي : " إِن قيل: اللَّعْنَة الْبعد، وَإِنَّمَا يكون جَزَاء الذَّنب، والناقة غير مكلفة، فَكيف تقع عَلَيْهَا لعنة؟ فَالْجَوَاب من أَرْبَعَة أوجه: أَحدهَا: أَن معنى وُقُوع اللَّعْنَة عَلَيْهَا خُرُوجهَا من الْبركَة واليمن، ودخولها فِي الشَّرّ والشؤم... وَالثَّانِي: أَنه نهى عَن ركُوبهَا؛ لِأَن لَاعن النَّاقة ظلمها باللعن، فتخوف رُجُوع اللَّعْنَة عَلَيْهِ... وَالثَّالِث: أَن دَعْوَة اللاعن للناقة كَانَت مجابة، وَلِهَذَا قَالَ: "إِنَّهَا ملعونة". وَالرَّابِع: أَنه إِنَّمَا فعل هَذَا عُقُوبَة لصَاحِبهَا لِئَلَّا يعود إِلَى مثل ذَلِك" ([1]).

وهذا النهيُ عن اللعن ليس على عمومه وإطلاقه، إنما هو في حقِّ من لا يستحقون اللعن، وفيه توجيهٌ للمسلم أن يتوقى هذا الأمر، وأن يحذر أشدَّ الحذر من أن تغلب عليه هذه الصفة فيكون لعّاناً، وقد بيّنت النصوص من القرآن والسنة أنّ هناك من يستحقون اللعن، من ذلك قول الله تعالى : ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود : 18].

وقد لعن صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليهود والنصارى، الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ([2])، ولعن من آوى مُحدثاً، ومَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَمَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَغَيَّرَ منار الأرض ([3])، ولعن السارق ([4])، ([4])، ولَعَنَ الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ ([5])، ولَعَنَ آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ ([6]).

---

1 : ابن الجوزي، " كشف المشكل من حديث الصحيحين"، (1 / 487 – 488).

2 : رواه الشيخان : البخاري، كتاب الجنائز، باب مَا يُكْرَهُ مِنَ اتِّخَاذِ المَسَاجِدِ عَلَى القُبُورِ، (2 / 88 / رقم : 1330)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ، عَلَى الْقُبُورِ وَاتِّخَاذِ الصُّوَرِ فِيهَا وَالنَّهْيِ عَنِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ، (1 / 376 / رقم : 529). واللفظ للبخاري، من حديث عائشة.

3 : مسلم، كتاب الأضاحي، باب تَحْرِيمِ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى وَلَعْنِ فَاعِلِهِ، (3 / 1567 / رقم : 1978)، من حديث علي بن أبي طالب.

4 : متفق عليه : البخاري، كتاب الحدود، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} [المائدة: 38] وَفِي كَمْ يُقْطَعُ؟، (8 / 161 / رقم : 6799)، ومسلم، كتاب الحدود، باب حَدِّ السَّرِقَةِ وَنِصَابِهَا، (3 / 1314 / رقم : 1687).

5 : أبو داود، "السنن"، كتاب الأشربة، باب الْعِنَبِ يُعْصَرُ لِلْخَمْرِ، (3 / 326 / رقم : 3674). قال الألباني : (صحيح)، "صحيح الجامع الصغير"، (2 / 907 / رقم : 5091). من حديث ابن عمر.

6 : مسلم ، كتاب المساقاة، باب لَعْنِ آكِلِ الرِّبَا وَمُؤْكِلِهِ، (3 / 1219 / رقم : 1598).

المطلب الثالث

التكفير

لقد حرم الإسلام أن يكفر المسلم أخاه المسلم بغير سبب شرعيٍّ لتكفيره، وبيّن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ من وصف مسلماً بصفة الكفر، فإن كان ذلك بحقٍّ، وإلا رجعت عليه، وذلك لما رواه أَبو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالفُسُوقِ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالكُفْرِ، إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ" ([1]). وما رواه عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا" ([2]).

وقد ذكر الإمام النووي عدة أوجه في معنى هذا الحديث :

"أَحَدُهَا: أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى الْمُسْتَحِلِّ لِذَلِكَ، وَهَذَا يُكَفَّرُ، فَعَلَى هَذَا مَعْنَى بَاءَ بِهَا أَيْ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ.

الثَّانِي: مَعْنَاهُ رَجَعَتْ عَلَيْهِ نَقِيصَتُهُ لِأَخِيهِ، وَمَعْصِيَةُ تَكْفِيرِهِ ([3]).

الثَّالِثُ: أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى الْخَوَارِجِ الْمُكَفِّرِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ.

الرَّابِعُ: مَعْنَاهُ أن ذلك يؤول بِهِ إِلَى الْكُفْرِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعَاصِيَ كَمَا قَالُوا: بَرِيدُ الْكُفْرِ، وَيُخَافُ عَلَى الْمُكْثِرِ مِنْهَا أَنْ يَكُونَ عَاقِبَةَ شُؤْمِهَا الْمَصِيرُ إِلَى الْكُفْرِ " ([4]).

وقال القرطبي : "وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْمَقُولَ لَهُ إِنْ كَانَ كَافِرًا كُفْرًا شَرْعِيًّا فَقَدْ صَدَقَ الْقَائِلُ وَذَهَبَ بِهَا الْمَقُولُ لَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَجَعَتْ لِلْقَائِلِ مَعَرَّةُ ذَلِكَ الْقَوْلِ وَإِثْمُه" ([5]).

---

1 : البخاري، كتاب الأدب، باب مَا يُنْهَى مِنَ السِّبَابِ وَاللَّعْنِ، (8 / 15 / رقم : 6045).

2 : البخاري، كتاب الأدب، باب مَنْ كَفَّرَ أَخَاهُ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ فَهُوَ كَمَا قَالَ، (8 / 26 / رقم : 6104).

3 : وهو مثل قول ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، "الاستذكار"، تح : سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1421 – 2000، (8 / 548)، وقول ابن بطال، في "شرح صحيح البخاري"، (9 / 287).

4 : انظر : النووي، " المنهاج شرح صحيح مسلم "، (2 / 49 – 50).

5 : ابن حجر العسقلاني، "فتح الباري"، (10 / 466).

والدارس للتاريخ يرى الضرر الكبير، والمصائب التي وقعت على الأمة بسبب الخوارج الذين كانوا يكفرون المسلمين، والمتأمل في أحوال الأمة اليوم يُدرك خطورة الأمر ؛ فقد استبيحت الدماء والأموال بسبب من ساروا في هذا الطريق الذي زجر عنه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورهّب من سلوكه، وبالتالي يُدرك حكمة التوجيهات النبوية، والتي جاءت حاسمة في هذا المجال.

الخاتمة

الحمدُ للهِ الذي بِنِعْمَتِه تَتِمُّ الصَّالحاتُ، وتُنالُ البركاتُ، وتُسْتَجَابُ الدَّعواتَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خيرِ البريَّاتِ مُحمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ وعلى آله وصحبه ومَنْ والاهُ.

أمَّا بَعدُ :

فقد خلص الباحث من هذه الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات، وهذه أهمها موجزة في النقاط الآتية :

أولا : أهمُّ النتائج :

1- تضمنت السنة النبوية أصولاً وضوابطَ وآداباً من خلالها يصلح اللسان، وتحسن ألفاظه، وتُصان من الخطأ والخلل.

2- الكلمة لها دور خطير، فبها يدخل الإنسان في الإسلام، وبها يخرج منه، لذا لها أهمية بالغة، ويجب مراعاتها، فربَّ كلمة رفعت صاحبها، وربَّ كلمة أسقطت صاحبها.

3- للكلام دور بارز ومهم في الإصلاح بين الناس، والدعوة إلى الإسلام ؛ لأنّه الوسيلة الأهم إلى ذلك.

4- الناظر في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، يجد أنه كان يتصف بصفات جليلة، منها : (الإيجاز، والتقعيد، والتقسيم، والوضوح، وجمال البدء، وحسن الختم).

5- لقد اتسم أسلوب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه كان يراعي أحوال من يخاطبهم ويكلمهم على قدر عقلوهم، وكان يُنزل الناس منازلهم، وكان ينتقي طيب القوله وليِّنَه، وكان يبتعد عن فحش الكلام وسيِّئِه.

6- تميَّزت طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في عرضه لكلامه بأنها تحمل طابع التنوع حَسَبَ الحالِ، فمرةً يكرر الكلام ثلاثاً إشعاراً منه بأهميته، ومرةً يرفع صوته لبيان كلامه، ويقول الكلام بوضوح وترسل؛ ليبيِّن للسامع ما قاله.

7- لقد جاء كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتبطاً بأسباب : رداً على سؤال، أو حلاً لمشكلة، أو تعقيباً على موقف، أو إزالة لشبهة، أو بيانَ حكمٍ لمسألةٍ واقعة، أو موقفاً مع طفل أو شاب أو شيخ أو امرأة أو مشرك أو مع كتابيٍّ، وفي كل ذلك نجد كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مناسباً للمقام ولمقتضى الحال، فيكون كلامه وبيانه شافياً كافياً، يفعل فعله في النفوس، كما يفعل الدواء الناجع في معالجة الأمراض المستعصية.

8- لقد كان من هديِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لم يوجد موقف مناسب ليورد كلامه عليه، استثمر مناسبة ليورد الكلام عليها.

9- لقد طبّق النبي صلى الله عليه وسلم عبارة (لكل مقامٍ مقالاً) في كلامه، حيث أنه كان يُلَمِّحُ في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح، وأحياناً يصرح في الموضع الذي لا يحسن في التلميح، وذلك حسب المقام الذي يستدعي ذلك.

10- للأدب في الكلام الحظٌ الأوفر في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أتانا بمنهجٍ متكامل في الأدب في سنته، كأدب النصح والنقد، وأدب الحوار، وأدب المزاح وغير ذلك.

11- الكلام على قسمين : كلام طيب نافع مفيد، وكلام خبيث سيء ضار، وحملت لنا سنة النبي صلى الله عليه وسلم الكثير من الأحاديث التي تنهى عن سيء الكلام، وتنفر منه، ومن ذلك : النهي عن الألفاظ المنكرة، والكذب والغيبة والنميمة، والسباب اللعان والتكفير، والسخرية والاستهزاء.

ثانياً : أهم التوصيات :

1- أوصي الجهات الرسمية (كوزارة الأوقاف والشؤون الدينية) والجامعات والمعاهد المهتمة بالدعوة والتربية، بإقامة دورات في أصول الكلام وآدابه في السنة النبوية.

2- أوصي طلاب الدراسات الموضوعية في السنة النبوية، إلى دراسة الأصول والآداب في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم دراسة أوسع وأعمق.

3- طرح مساق علمي وتربوي في الجامعات ضمن المساقات العامة للتخصصات العلمية كافة بعنوان : (أصول الكلام وآدابه في السنة النبوية) ؛ بقصد تزويدهم برصيد علمي ومعرفي في هذا

مجال أصود الدعوة وأساليبها، وكيف ندعوا الناس إلى الله تعالى، بالإضافة إلى توجيههم إلى أدب الإسلام العظيم.

4- الاهتمام بدراسة السنة النبوية دراسة موضوعية، بما يخدم طلبة العلم، والدعاة إلى الله، والناس كافة.

5- أن يعي الدعاة إلى الله تعالى والمربون، مدى أهمية الكلام في دعوتهم وتربيتهم للأجيال القادمة، وكيفية استخدام الوسائل المناسبة من أجل تربيتها وتزكيتها.

وفي الختام أحمد الله تعالى على عونه لي بإتمام هذه الدراسة، وأساله الإخلاص في القول والعمل، إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

الفهارس

1. فهرس الآيات الكريمة

2. فهرس الأحاديث

3. فهرس المصادر والمراجع

4. فهرس الموضوعات

فهرس الآيات الكريمة

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ	البقرة	31	21
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ	البقرة	172	44
تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ	البقرة	196	13
لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا	البقرة	286	143
شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ	آل عمران	18	49
يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ	آل عمران	64	62
فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ	آل عمران	159	67
وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ	النساء	5	74
وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ	النساء	39	57
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ	النساء	52	166
وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا	النساء	63	33
وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا	النساء	113	41
لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ .	النساء	114	28
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا .	النساء	145	135
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ..	المائدة	1	23
وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ..	الأنعام	108	106
وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ ..	الأنعام	125	119
وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ وَذِكْرَىٰ .	الأعراف	11	126
وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ..	التوبة	74	23
ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ..	التوبة	79	152

قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم..	التوبة	66-65	110
مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ ..	التوبة	113	125
وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ	يونس	53	49
أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ	هود	18	168
قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ	هود	32	30
وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ..	هود	118- 119	129
فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ	يوسف	54	11
وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ	إبراهيم	4	30
وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ	النحل	44	46
وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا	النحل	78	
إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ	النحل	90	119
إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ	النحل	105	142
ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ	النحل	125	59
وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ	الإسراء	53	63
وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى	طه	28 -27	30
وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ	الأنبياء	107	126
وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ	الحج	78	143
يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ	المؤمنون	51	11
رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ	المؤمنون	100-99	11
أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ)	النمل	82	12
وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ	القصص	34	30

إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ	القصص	56	125
وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ	العنكبوت	43	53
وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ	الروم	22	21
تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ	السجدة	16	58
وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ	سبأ	24	130
قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ	سبأ	25	131
فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ	فاطر	8	126
وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ	الصافات	24	23
وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ	ص	20	30
قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ	الزمر	15	82
حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا	فصلت	3-1	128
ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ	فصلت	34	26
وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ	فصلت	36	141
وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ	الشورى	39	161
وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ	الشورى	41	161
وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ	الشورى	43	122
نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ	الزخرف	32	151
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ	الحجرات	11	152
وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا	الحجرات	12	146
إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ	الحجرات	13	135
مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ	ق	18	20
وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ	الذاريات	23-22	49
ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ	الرحمن	4-1	20

يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ	الصف	8	104
وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ	المجادلة	8	15
لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ	الحشر	20	106
وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ	القلم	4	132
عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ	عبس	4-1	156
وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ	الهمزة	1	151

فهرس الأحاديث

الحديث	الراوي الأعلى	الصفحة
آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ..	أبو هريرة.	142
ائْتِ حَرْثَكَ أَنَّى شِئْتَ..	معاوية بن حيدة.	135
ابْتَاعِيهَا فَأَعْتِقِيهَا، فَإِنَّ الوَلاَءَ لِمَنْ أَعْتَقَ..	عائشة.	88
أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟..	أبو هريرة.	145
اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ	عدي بن حاتم	27
أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟..	أبو هريرة.	160
أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟	عمر بن الخطاب.	82
أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟	عائشة.	86
أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٍ تُدْخِلُهُ	ابن عمر.	111
إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ..	أبو سعيد الخدري.	158
إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا، حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ.."	أنس بن مالك.	71
إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ..	ابن عباس.	132
إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ..	أنس بن مالك.	137
إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ..	أبو هريرة.	168
إِذَا قَعَدْتُمْ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ..	عبد الله بن مسعود.	55
اصْطَبِرْ.."	أسيد بن حضير.	108
الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ..	عمر بن الخطاب.	77
أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ..	أبو هريرة.	38
أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ..	ابن عمر.	156
أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ..	مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ.	127
أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا..	عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو.	94
أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ..	معاذ بن جبل	158
أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا..	أبو هريرة.	83
أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ..	أبو بكرة.	83
أَلْحِقُوا الفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا..	ابن عباس.	43

أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ..	أبو الدرداء.	128
أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ.."	عائشة.	59
أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ	البراء بن عازب.	130
انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَخْطُبُ..	أَبو رِفَاعَةَ	60
انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ..	عبد الله بن عمر.	40
انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ..	علي بن أبي طالب.	118
أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ..	عمر بن الخطاب	17
إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي..	ثوبان.	120
إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ..	النعمان بن بشير	44
إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ..	ابن عباس.	125
إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ..	أبو الدرداء	166
إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ..	أبو هريرة	28
إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا..	أبو هريرة.	23
إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا..	عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ.	120
إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا..	أنس بن مالك	102
إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ..	شداد بن أوس.	50
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ، وَلَا التَّفَحُّشَ	أبو الدرداء.	86
إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا..	جابر بن عبد الله.	46
إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ..	أبي هريرة.	50
إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ..	أبو هريرة.	39
إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمْ يَكُنْ..	عائشة.	46
إِنَّ لِهَذِهِ البَهَائِمِ أَوَابِدَ كَأَوَابِدِ الوَحْشِ..	رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ.	39
إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُلِّمَ فَوَاتِحَ الْخَيْرِ..	ابن مسعود	55
إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا..	جابر بن عبد الله	27
إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا	عبد الله بن عمر	32
إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا"	عبد الله بن عمرو بن العاص.	69

إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا..	عبد الله بن عمر.	83
إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ المُسْلِمِ..	عبد الله بن عمر.	82
إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ	أنس بن مالك.	108
إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ..	معاذ بن جبل.	60
إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ	عمر بن الخطاب	39
إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا..	عائشة	80
إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ..	ابن عباس.	147
إِنِّي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِأَتَأَلَّفَهُمْ	أبو سعيد الخدري.	123
إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً..	عائشة.	96
إِنِّي لأمزح، ولا أقول إِلَّا حقًّا	ابن عمر.	109
اهْجُهُمْ – أَوْ هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ..	البراء بن عازب	33
اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا..	عائشة	105
أَهْدَيْتُمُ الْفَتَاةَ؟ قَالُوا: نَعَمْ..	ابن عباس.	101
أُوتِيتُ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ..	عبد الله بن عمرو	55
أَيْ عَمِّ قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ..	المسيب	124
أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ ؟	جابر بن عبد الله.	81
أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ..	ابن عمر	168
أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا..	أبو هريرة	44
أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ..	عبد الله بن أبي أوفى	48
بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ..	أبو هريرة.	142
بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يحقر..	أبو هريرة.	149
بَلْ أَنَا يَا عَائِشَةُ وَا رَأْسَاهُ	عائشة.	95
بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ..	عبد الله بن عمر	17
بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ، يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ..	أبو هريرة.	156
تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ	أبو ذر.	107
تَزَوَّجْتَ يَا جَابِرُ؟	جابر بن عبد الله.	97
تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ..	عبد الله بن عمرو.	154
ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ..	أنس بن مالك.	51
دعهما".	عائشة.	103

جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ	أنس بن مالك.	104
الحج عرفة	عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ	39
حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ..	علي بن أبي طالب	74
حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ..	عبد الله بن مَسْعُودٍ.	68
حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ	أبو هريرة	26
الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ	أنس بن مالك.	124
خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ..	عمران بن حصين	166
خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْكٍ، فَتَطَهَّرِي بِهَا	عائشة.	87
خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي	ابن عباس.	94
دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ..	أبو هريرة.	113
الدِّينُ النَّصِيحَةُ ..	تميم الداري	26
ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ..	العباس بن عبد المطلب.	17
رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى، لَقَدْ أُوذِيَ..	عبد الله بن مسعود.	148
سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ	عبد الله بن مسعود.	159
سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ،يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ..	أبو هريرة.	52
صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ.. "	عمرو بن أخطب.	40
السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ	أبو هريرة.	98
الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ..	أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ	57
عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ..	عائشة.	51
غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ،فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لاَ يَتْبَعْنِي..	أبو هريرة.	52
عَقَلْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْو "	مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ.	68
فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ:أُعْطِيتُ جَوَامِعَ..	أبو هريرة	42
فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا..	أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ	68
قَامَ فِينَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا، فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الخَلْقِ..	عمر بن الخطاب	40
قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا..	حذيفة.	40
قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ..	خباب بن الأرت.	52

قُولُوا لَهُمْ كَمَا يَقُولُونَ لَكُمْ	عمار بن ياسر	105
كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ"	عبد الله مسعود	122
كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ"	عائشة.	63
كَانَ فِي كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْتِيلٌ، أَوْ تَرْسِيلٌ"	جابر بن عبد الله	73
كَانَ كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَامًا فَصْلًا يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ"	عائشة.	46
كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ وَذَكَرَ السَّاعَةَ اشْتَدَّ غَضَبُهُ وَعَلَا صَوْتُهُ"	جابر.	72
كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْرِدُ الْكَلَامَ كَسَرْدِكُمْ هَذَا..	عائشة	46
كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ العَادُّ لَأَحْصَاهُ "	عائشة.	47
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعِيدُ الكَلِمَةَ ثَلَاثًا لِتُعْقَلَ عَنْهُ.."	أنس بن مالك.	47
كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ..	صهيب.	52
كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ..	أبو هريرة.	114
الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ	أبو هريرة	20
كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..	أنس بن مالك.	122
كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ	عائشة.	95
لَا تُدِيمُوا النَّظَرَ إِلَى الْمَجْذُومِينَ	ابن عباس.	157
لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي..	أبو سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ	162
لاَ تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ..	عائشة.	161
لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ، فَتُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ	الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ	161
لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ	زيد بن خالد	163
لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ..	أبيٌّ بن كعب	163
لَا تَسُبِّي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا..	جابر بن عبد الله	164
لاَ تَغْضَبْ	أبو هريرة.	39
لَا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ..	أُسَامَةَ بْنَ مَالِكٍ.	139

لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ..	أبو جُرَيٍّ الْهُجَيْمِيِّ	138
لَا تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ..	عبد الله بن مسعود.	139
لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدَنَا..	بريدة.	134
لَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ القَلْبَ	أبو هريرة.	110
لاَ تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ	أبو هريرة.	136
لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ..	عمر بن الخطاب.	32
لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ	يَحْيَى الْمَازِنِيِّ	43
لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ	حذيفة بن اليمان	29
لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ	حذيفة بن اليمان	147
لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالفُسُوقِ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالكُفْرِ..	أبو ذر الغفاري	168
لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ..	أبو هريرة.	157
لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي..	عائشة.	63
لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ..	أبو هريرة.	137
لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ..	أبو الدرداء	165
لَا يَكُونُ المُؤْمِنُ لَعَّانًا	ابن عمر.	165
لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ	أبو هريرة.	80
لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا	أبو هريرة.	166
لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا..	جابر.	168
لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا..	ابن عمر	168
لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ..	أبو هريرة.	168
لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ..	علي بن أبي طالب	168
لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا..	عائشة	168
لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ..	معاذ بن جبل.	57
لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ..	عائشة.	115
لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا ..	عبد الله بن مسعود.	50
لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ.."	سعد بن أبي وقاص	155
لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ :عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ..	أبو هريرة	11

لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَّابًا.."	أنس بن مالك.	64
إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ	عائشة.	73
لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا..	عائشة.	69
لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ..	أم كلثوم بنت عقبة	29
لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ ..	ابن مسعود.	104
مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: اسْمِي حَزْنٌ، قَالَ: بَلْ أَنْتَ سَهْلٌ..	عَبْدِ الحَمِيدِ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ شَيْبَةَ.	64
مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ..	أنس بن مالك.	88
مَا بَالُ العَامِلِ نَبْعَثُهُ فَيَأْتِي يَقُولُ: هَذَا لَكَ..	أبو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ.	89
مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"	عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الحَارِثِ بْنِ جَزْء.	107
مَا فَعَلَتْ فُلَانَةُ؟	عائشة.	101
مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ "	أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ	64
مَا لَكَ يَا جَابِرُ؟	جابر بن عبد الله.	98
مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ..	عبد الله بن مسعود.	50
مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ..	أبو هريرة.	121
مَا يَسُرُّنِي أَنِّي حَكَيْتُ رَجُلًا..	عائشة.	156
المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ	أسماء بنت أبي بكر.	79
مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ..	أبو موسى الأشعري.	53
مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ..	أبو موسى الأشعري.	54
مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا.	أبو موسى الأشعري	53
مَرْحَبًا بِابْنَتِي..	عائشة.	66
مَرْحَبًا بِالوَفْدِ، الَّذِينَ جَاءُوا غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى.	ابن عباس	65
مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ..	مالك بن أنس	24
الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِئِ..	أبو هريرة.	161

مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ	عائشة	51
مِنَ الْكَبَائِرِ أَنْ يَشْتُمَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ..	عبد الله بن عمرو	163
مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ	ابي هريرة.	51
مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَعِضُّوهُ، وَلَا تَكْنُوا	أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ	91
مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ، فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ..	عمر بن الخطاب.	158
مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ..	أبو سعيد الخدري	35
مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ	أبو موسى الأشعري.	160
مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ	جرير بن عبد الله.	79
مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيصْمُتْ	أبو هريرة	25
من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة..	أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ	74
مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ	عن المغيرة.	51
مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ..	سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ أَبِيهِ.	122
مهلا يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش..	عائشة.	70
الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ..	أبو هريرة.	134
وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً	أبو هريرة	49
وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ	أبو هريرة	12
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا ..	أبو هريرة	49
وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ..	عبد الله بن مسعود	142
وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو	95
وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ، يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ	سَمُرَة بن جندب	23
وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ..	عائشة.	49

وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ ..	ثابت بن الضحاك	167
وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ	عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو	72
وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ..	معاوية بن حيردة.	144
يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ..	أبو هريرة.	162
يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ..	المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ	90
يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ..	أبو ذر الغفاري.	151
يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ..	أبو ذر الغفاري.	91
يا أبا عُمَيرٍ، ما فعَل النُّغَيرُ	أنس بن مالك.	67
يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ	ابن عمر.	48
يَا ذَا الأُذُنَيْنِ	أنس بن مالك.	109
يَا عَائِشَةُ، لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ..	عائشة.	60
يَا عَائِشَةُ، مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ؟	عائشة.	101
يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ أَسْلِمْ تَسْلَمْ..	عدي بن حاتم	31

فهرس المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.

2. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت 606هـ)، " النهاية في غريب الحديث والأثر"، تح : طاهر أحمد – الزاوى محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م.

3. أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ)، "المسند"، تح : شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ – 2001 م.

4. الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور (ت 370هـ)، "تهذيب اللغة"، تح : محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م.

5. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (ت 1420هـ)، "إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل"، إشراف : زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، ط2، 1405 هـ – 1985م.

6. ----------: "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها"، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1415 هـ – 1995 م.

7. ----------: "صحيح أبي داود – الأم"، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1423 هـ – 2002 م.

8. ----------: "صحيح الجامع الصغير وزياداته"، المكتب الإسلامي.

9. ----------: " ضعيف الجامع الصغير وزيادته"، المكتب الإسلامي.

10. ----------: " غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام"، المكتب الإسلامي – بيروت، ط3، 1405هـ.

11. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت 256 هـ)، " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، تح : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

12. ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت 449هـ)، "شرح صحيح البخاري"، تح : أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ – 2003م.

13. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت 516هـ)، "شرح السنة"، تح : شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، ط2، 1403هـ

- 1983م.

14. بكار، عبد الكريم، "المتحدث الجيد"، دار السلام، مصر، ط2، 1433هـ / 2012م.

15. البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر (ت 685هـ)، " تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة"، تح : لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، 1433 هـ - 2012م.

16. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (ت 458هـ)، " الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث"، تح : أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط1، 1401هـ.

17. ----------: "دلائل النبوة"، تح : د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط1، 1408 هـ - 1988 م.

18. التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين (ت 741هـ)، " مشكاة المصابيح"، تح : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط 3، 1985م.

19. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت 279هـ)، "سنن الترمذي "، تح : أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)،

وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط2، 1395 هـ - 1975 م.

20. ----------: "سنن الترمذي"، تح : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، 1998 م.

21. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت 728هـ)، "تخريج الكلم الطيب"، تح : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط3، 1977م.

22. الجبوي، يحيى، "شعر عبدة بن الطيب"، دار التربية للنشر والتوزيع، ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب، 1391هـ - 1971 م.

23. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ)، " التعريفات "، تح: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1، 1403هـ -1983م.

24. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ)، "غريب الحديث" ، تح : الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط1، 1405هـ - 1985م.

25. ---------- : كشف المشكل من حديث الصحيحين"، تح : علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض، د.ط، د.ت.

26. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت 405هـ)، " المستدرك على الصحيحين"، نح : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411هـ – 1990م.

27. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت 354هـ)، " صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان"، تح : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط2، 1414 – 1993.

28. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت 852هـ)، "تقريب التهذيب"، تح : محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، ط1، 1406هـ – 1986م.

29. ----------: " فتح الباري شرح صحيح البخاري"، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة – بيروت، 1379هـ

30. ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت 974هـ) " الزواجر عن اقتراف الكبائر"، دار الفكر، ط1، 1407هـ –

1987م.

31. ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت 562هـ)، "التذكرة الحمدونية"، دار صادر، بيروت، ط1، 1417 هـ.

32. الحمويّ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626هـ)، "معجم البلدان"، دار صادر، بيروت، ط2، 1995 م.

33. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد (ت 388 هـ)، " أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)"، تح الدكتور محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط1، 1409 هـ - 1988 م.

34. أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت 275هـ)، "سنن أبي داود"، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت. د. ط - د. ت.

35. ابن دقيق العيد، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري (المتوفى: 702هـ)، " إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، مطبعة السنة المحمدية، د. ط، د. ت.

36. ابن الدماميني، محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين (ت 827 هـ)، " مصابيح الجامع"، تح : نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط1،

1430 هـ - 2009 م.

37. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت 748هـ)، "سير أعلام النبلاء"، تح : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405 هـ / 1985 م.

38. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد(ت: 502هـ)،" المفردات في غريب القرآن"، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1، 1412 هـ.

39. ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت 795هـ)، "جامع العلوم والحكم"، تح : شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط7، 1422هـ - 2001م.

40. الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى(ت : 1205هـ)، " تاج العروس من جواهر القاموس"، تح : مجموعة من المحققين، دار الهداية. د. ت - د. ت.

41. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت 538هـ)، " الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1407 هـ.

42. زين الدين الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت

666هـ)، "مختار الصحاح"، تح : يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط 5، 1420هـ / 1999م.

43. السامرائي، فاضل صالح، "معاني النحو"، دار الفكر، عمان، ط4، 1430هـ – 2009م.

44. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت 902هـ)، "المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة"، تح : محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي – بيروت، ط1، 1405 هـ – 1985م.

45. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ)، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، تح : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة، ط1،1420هـ – 2000 م.

46. السندي، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (ت 1138هـ)، " حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه"، دار الجيل – بيروت، د. ط – د. ت.

47. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت 911هـ)، " الإتقان في علوم القرآن "، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974 م.

48. ----------: " الديباج على صحيح مسلم بن

الحجاج"، تح : أبو إسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية – الخبر، ط1، 1416 هـ – 1996 م.

49. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت 1250هـ)، "فتح القدير"، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط1، 1414 هـ.

50. الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت : 476هـ)، اللمع في أصول الفقه"، دار الكتب العلمية، ط1، 2003 م – 1424 هـ.

51. الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني، أبو إبراهيم، عز الدين، (ت 1182هـ)، " التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ"، تح : د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1432 هـ – 2011 م.

52. ----------: " سبل السلام"، دار الحديث. د. ط – د. ت.

53. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت 360هـ)، "المعجم الأوسط"، تح : طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة. د. ط – د. ت.

54. ----------: "المعجم الصغير"، تح : محمد شكور

محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار – بيروت، عمان، ط1، 1405 – 1985.

55. ----------: "المعجم الكبير"، تح : حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط2. د. ت.

56. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت 310هـ)، " جامع البيان في تأويل القرآن"، تح : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ – 2000 م.

57. الطحاوي، "أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت 321هـ)، "شرح مشكل الآثار"، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415 هـ، 1494 م.

58. عباس، فضل حسن، "البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني "، دار الفرقان، عمان – الأردن، ط2، 1409هـ – 1989م.

59. ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت 1421هـ)، " تسهيل الفرائض"، دار ابن الجوزي، 1427هـ.

60. العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (ت 1329هـ)، " عون المعبود شرح سنن أبي داود"، دار الكتب العلمية

– بيروت، ط2، 1415 هـ.

61. ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت : 769هـ)، "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك"، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، ط20، 1400 هـ – 1980 م.

62. العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت 855هـ)، " عمدة القاري شرح صحيح البخاري "، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ط – د. ت.

63. الغزالي، محمد السقا (المتوفى: 1416هـ)، "خلق المسلم"، دار الدعوة، ط7، 1429هـ – 2008م.

64. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت 505هـ)، "إحياء علوم الدين "، دار المعرفة – بيروت. د. ط – د. ت.

65. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، "معجم مقاييس اللغة"، تح : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م.

66. فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (المتوفى: 666هـ)، "مفاتيح الغيب "، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، 1420 هـ.

67. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت 170هـ)، "كتاب العين "، تح: د.مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال. د.ط – د. ت.

68. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت 817هـ)، "القاموس المحيط"، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط2، 1426 هـ – 2005 م.

69. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو 770هـ)، " المصباح المنير في غريب الشرح الكبير"، المكتبة العلمية – بيروت. د.ط – د. ت.

70. القاري، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الهروي (المتوفى: 1014هـ)، " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" دار الفكر، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ – 2002م.

71. قاسم، حمزة محمد، " منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري"، راجعه : الشيخ عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، 1410 هـ – 1990 م.

72. ابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، (ت: 620هـ)، "روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل"، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ – 2002م.

73. القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت 923هـ)، " إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323 هـ.

74. قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي (ت 1385هـ)، "في ظلال القرآن"، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط7، 1412 هـ.

75. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت 751هـ)، " إعلام الموقعين عن رب العالمين "، تح : محمد عبد السلام إبراهيم ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411هـ - 1991م.

76. ----------: " زاد المعاد في هدي خير العباد"، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط 27، 1415هـ /1994م.

77. ----------: "الطرق الحكمية "، مكتبة دار البيان ، د.ط، د.ت.

78. ----------: "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، تح : محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط1، 1416 هـ - 1996م.

79. ----------: " مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة"، دار الكتب العلمية – بيروت، د.ط، د.ت.

80. الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ)، "الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"، تح : عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت. د.ط – د. ت.

81. لاشين، الدكتور موسى شاهين، " فتح المنعم شرح صحيح مسلم"، دار الشروق، ط1، 1423 هـ – 2002 م.

82. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت 273هـ)، " سنن ابن ماجه"، تح : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي. د. ط – د. ت.

83. مالك، مالك بن أنس بن عامر الأصبحي المدني (ت 179هـ)،موطأ الإمام مالك، تعليق :محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1406 هـ – 1985م.

84. المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني (ت 1414هـ)، " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، ط3، 1404 هـ، 1984 م.

85. المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت 1353هـ)، "تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي"، دار الكتب العلمية – بيروت.

86. المراغي، أحمد بن مصطفى (ت 1371هـ)، " علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع".د. ب. د.ط – د. ت.

87. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، تح : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. د. ط – د. ت.

88. المطيري، أبو عمر علي بن عبد الله بن شديد الصياح، "إشكال وجوابه في حديث أم حرام بنت ملحان"، دار المحدث للنشر والتوزيع، ط1، ذو القعدة 1425 هـ.

89. ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت 804هـ)، " الإعلام بفوائد عمدة الأحكام"، تح : عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح، دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1417 هـ – 1997 م.

90. ---------- : " التوضيح لشرح الجامع الصحيح"، تح : دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق – سوريا، ط1، 1429 هـ – 2008 م.

91. المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي (ت 1031هـ)، "التوقيف على مهمات التعاريف"، عالم الكتب – القاهرة، ط1، 1410هـ-1990م.

92. ----------: " فيض القدير شرح الجامع الصغير"، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط1، 1356م.

93. الميداني، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الدمشقي (ت 1425هـ)، "البلاغة العربية"، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416 هـ - 1996 م.

94. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت 303هـ)، "السنن الصغرى للنسائي "، تح : عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط2، 1406هـ - 1986م.

95. ----------: "السنن الكبرى"، تح : حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1421 هـ - 2001.

96. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت 676هـ) ، "رياض الصالحين"، تح : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،ط3، 1419هـ/1998م.

97. ----------: "المجموع شرح المهذب "، دار الفكر. د.ط

– د. ت.

98. ----------: " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط2، 1392هـ.

99. الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي، " الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم"، دار المنهاج – دار طوق النجاة، ط1، 1430 هـ – 2009 م

100. ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين(ت: 761هـ)، "شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب"، تح : عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا ، د. ط – د. ت.

101. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت 213هـ)، "السيرة النبوية "، تح : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1375هـ – 1955 م.

102. الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت 807هـ)، " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، تح : حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ، 1994 م.

103. الوَلَّوِي، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي، " ذخيرة العقبى في شرح المجتبى"، دار المعراج الدولية للنشر، ط1، 1416 هـ – 1996 م.

المواقع الإلكترونية :

موقع الإسلام سؤال وجواب / الشيخ محمد صالح المنجد / **https://islamqa.info.**

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحات
الإهداء	ب
الشكر والتقدير	ت
الملخص	ث
المقدمة	1
أهمية الموضوع	1
أسباب اختيار الموضوع	2
إشكالية الدراسة	2
أهداف الدراسة	3
الدراسات السابقة	4
منهجية الدراسة وإجراءاتها	5
خطة الدراسة	6
الفصل الأول : مفهوم الكلام وأهميته	10
المبحث الأول : مفهوم الكلام والأصول والآداب	11
المطلب الأول : مفهوم الكلام	11
المطلب الثاني : مفهوم الأصول	16
المطلب الثالث : مفهوم الآداب	18
المبحث الثاني:أهمية الكلام وأثره في بناء العلاقات الاجتماعية، والدعوة إلى الإسلام	20
المطلب الأول : البيان واختلاف اللغات نعمة دالة على الله	20
المطلب الثاني : مسؤولية الكلمة وخطورتها	23
المطلب الثالث : الكلمة الطيبة صدقة	26
المطلب الرابع : أهمية الكلام في الإصلاح بين الناس	28
المطلب الخامس : أهمية الكلام في الدعوة إلى الإسلام	30

الفصل الثاني :صفات كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأسلوبه في الخطاب	36
المبحث الأول : صفات عامة في كلامه صلى الله عليه وسلم	38
المطلب الأول : الإيجاز	38
المطلب الثاني : التقعيد	42
المطلب الثالث : التقسيم	44
المطلب الرابع : الوضوح	46
المطلب الخامس : جمال البَدء	48
المطلب السادس : حُسن الخَتْم	55
المبحث الثاني : أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب	59
المطلب الأول : مراعاة أحوال المخاطبين	59
المطلب الثاني : انتقاء طيّب الكلام وليّنه	63
المطلب الثالث : الابتعاد عن الفُحش والفظاظة في الكلام	69
المطلب الرابع : طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في عرض الخطاب	71
الفصل الثالث : مناسبة الكلام للمقام	75
المبحث الأول : السبب المناسب للكلام	77
المطلب الأول : وجود سبب مناسب للكلام	77
المطلب الثاني : إيجاد سبب مناسب للكلام	81
المبحث الثاني : لكل مقام مقال	85
المطلب الأول : التلميح في المقام الذي لا يحسن فيه التصريح	86
المطلب الثاني : التصريح في المقام الذي لا يصلح فيه التلميح	90
المطلب الثالث : الكلام مع الأهل بهدف الترويح والتسلية	94
المطلب الرابع : الكلام مع الصاحب في السفر بهدف الترويح والتسلية	98
المطلب الخامس : غناء العرس	101
المطلب السادس : هجاء المشركين	104
المطلب السابع : أدب المزاح	107
المطلب الثامن : أدب النقد والنصح	112
المطلب التاسع : أدب الحوار	118

الفصل الرابع : محاذير ومناهٍ شرعية في الكلام	131
المبحث الأول : الألفاظ المنكرة	132
المبحث الثاني : الكذب والغيبة والنميمة	141
المطلب الأول : الكذب	141
المطلب الثاني : الغيبة	145
المطلب الثالث : النميمة	147
المبحث الثالث : كلمات السخرية والاستهزاء	149
المبحث الرابع : لغة الجسد المنهي عنها	153
المبحث الخامس : السباب واللعن والتكفير	158
المطلب الأول : السباب	159
المطلب الثاني : اللعن	165
المطلب الثالث : التكفير	168
الخاتمة	170
الفهارس	173
فهرس الآيات الكريمة	174
فهرس الأحاديث القولية	178
فهرس المراجع والمصادر	187
فهرس الموضوعات	205